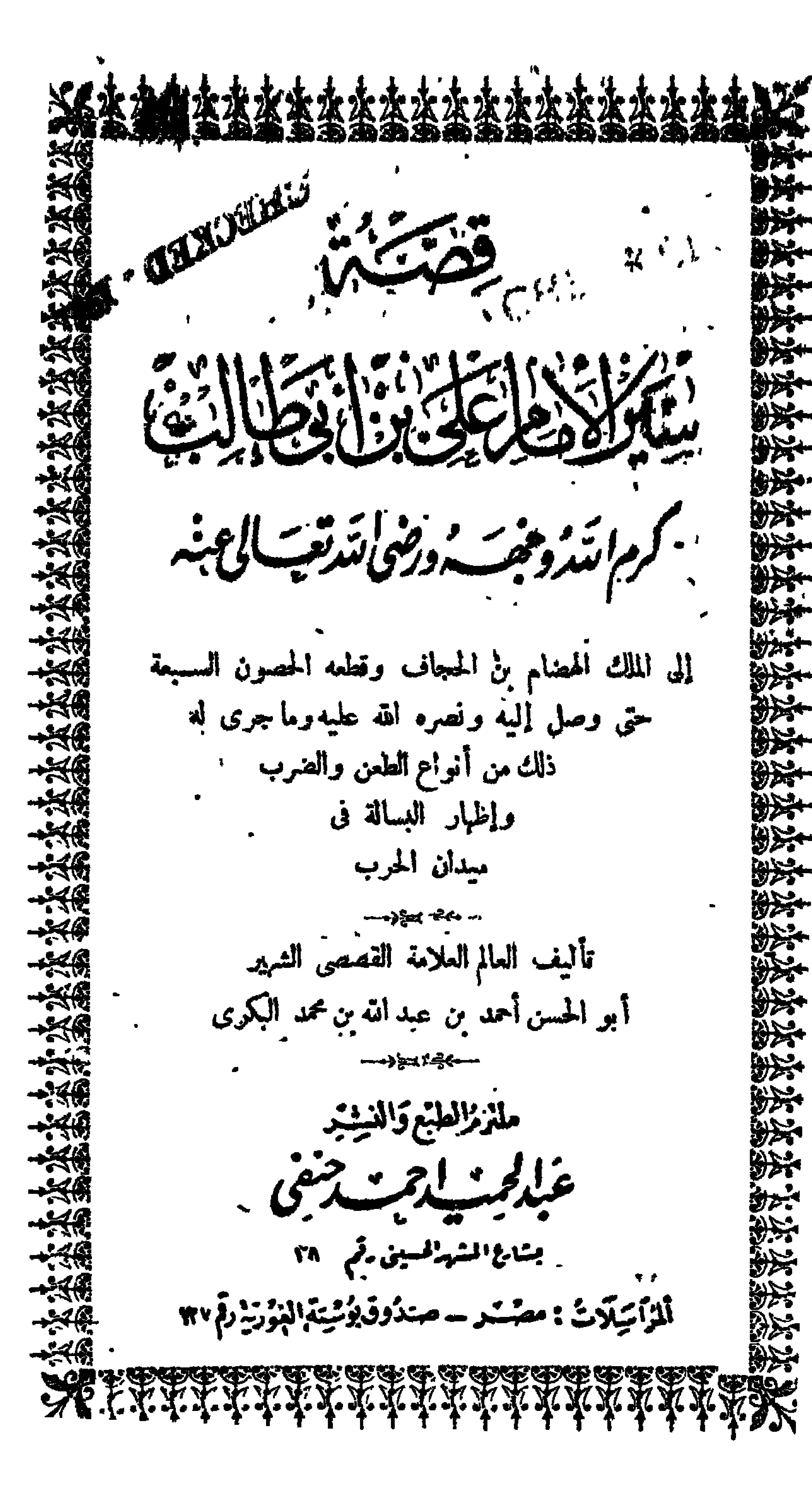


قصة

سيدنا الإمام علي بن أبي طالب

كرم الله وجهه ورضي الله تعالى عنه

إلى الملك الهضام بن الحجاف وقطعه الحصون السبعة
حتى وصل إليه ونصره الله عليه وما جرى له
ذلك من أنواع الطعن والضرب
وإظهار البسالة في
ميدان الحرب

تأليف العالم العلامة القصصي الشهير
أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن محمد البكري

ملتزم الطبع والنشر
عبد الحميد أحمد حنفي
بشارع المشهد الحسيني رقم ٢٨
المراسلات : مصر — صندوق بوستة الغورية رقم ١٢٧



قصة

كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه

إلى الملك الهضام بن الجحاف وقطعه الحصون السبعة
حتى وصل إليه ونصره الله عليه وما جرى له
فى ذلك من أنواع الطعن والضرب
وإظهار البسالة فى
ميدان الحرب

تأليف العالم العلامه القصصى الشهير
أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن محمد البكرى

ملتزم الطبع والنشر
عبد الحميد احمد حنفى
شارع المشهد الحسينى رقم ١٨
المراسلات : مصر - صندوق بوستة الغورية رقم ١٣٦

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا

الحمد لله الذى تفرد بعز بقائه ونور بمعرفته قلوب أوليائه وطيب أسرار الصادقين بطيب ثنائه الحى القيوم الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة فى أرضه وسمائه أحمده سبحانه وتعالى حمداً تعرف بالعجز من عدد آلائه . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذى تفرد بعزه وبقائه وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله خاتم أنبيائه وسيد أصفيائه اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبى الكريم والرسول السيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاماً دائمين متلازمين بدوام أرضه وسمائه وسلم تسليما كثيرا .

وبعد : فقد روى أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن محمد البكرى رضى الله عنه قال حدثنا يوسف بن عبد الله وخالد بن رفاعة الجهنى قالا حدثنا خلق كثير يروى بعضهم عن بعض فأخذنا من ذلك ما نرجو إن شاء الله تعالى تعليقه على قدر الروايات قالوا حدثنا صاحب الحديث عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجده المبارك وكان يوم ريح ومطر إذ سمعنا صوتا جهورياً من وراء المسجد يقول السلام عليك يا محمد ورحمة الله وبركاته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فالتفت لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ردوا على إخوانكم السلام يرحمكم الله فقلنا يا رسول الله على من نرد ونحن لم نر أحداً ! نرد على الملائكة أم على الجان ؟ فقال بل على إخوانكم الجان الذين آمنوا

يصدقوا برسالتى ثم نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم اظهر لنا أيها المتكلم لنراك فظهر لنا
شيخ كبير قال على رضى الله عنه وإذا به عرفطة بن شماخ وكنت به عارفا لأن النبى
صلى الله عليه وسلم كان قد أرسلنى معه إلى قومه فأحرقت بأسماء الله تعالى وبنوره
منهم زيادة عن خمسين قبيلة من الجن وآمن منهم خلق كثير فسلم عرفطة على النبى
صلى الله عليه وسلم وجلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حاجتك قال يارسول
الله قد جئتك لأخبرك عما نحن فيه من الحرب والوقائع وقتال القبائل الجواهل فقال
النبى صلى الله عليه وسلم مع من ياعرفطة فقال مع كفار الجن ومردتهم وعفاريتهم عبدة
الأصنام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ديارهم قريبة منا أم بعيدة ياعرفطة فقال
ياسيدى فى جبال وأوكار وأودية شتى وقد اهلكنا منهم خلقا كثيرا واهلكوا
منا خلقا كثيرا وان لهم صنما يسمونه (المنيع) وقد تعالى الله عز وجل أن يشبه
ويمثل وهو السميع البصير فصنمهم هذا قائم بخدمته الملك الهضام بن الحجاف ابن
عون بن غانم الباهلى المقلب بمرارة الموت لعنه الله والصنم المنيع موكل به مارد يقال له عتريس
بن داريس بن إبليس وله عشيرة عظيمة وقبيلة جسيمة ونحن فى غزوهم وجهادهم وقد
اشتدت بلية القوم وتعاظم امر الهضام وكفر بالله تعالى واتخذ من دون الله إلها وهو
الذى يسمونه المنيع وقد جعل له جنة ونارا وجعل لها زبانية وسماهم الغلاظ الشداد
وجعل له ملائكة وسماهم البررة الكرام وجعل فى جنته الأشجار والأطيار وجعل فيها
المخدرات المنعمات وسماهن الحور العين وجعل له عرشا وكرسيا وله شياطين من العفاريت
الطيارين وسماهم الملائكة المقربين . وأنت يارسول الله لم يبلغك شىء من ذلك كله وقد
اشتد تمرد القوم وطغيانهم وكفرهم برب العالمين .

(قال الراوى) فلما سمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفطة اشتد به الغيظ
والغضب حتى عاد يضطرب كالسفينة فى الريح العاصف وسجد على الأرض طويلا ثم
رفع رأسه وقد سكن ما به من الغيظ ولمع النور من بين عينيه صلى الله عليه وسلم حتى
لحق عنان السماء ثم أقبل على عرفطة وقال له انصرف شكر الله سعيك واحسن إليك وانى
ابعث لهم رسولا وهو سيفى ونقمتى على أعدائى فقال عرطفة يارسول الله إذا بعثت
للقوم رجالا من الإنس ابادوهم وقتلوهم فان عساكر الإنس يقاتلون عساكر الانس ولا
يطيقوا قتال الجن ومردتهم ولم يبلغك منهم ما تريد إلا الفارس الصنديد والبطل الشديد
قالع الحلقة والقصر المشيد ومبيد الانس والجن فى البئر العميق والقرار البعيد مفرق

الكتائب ومظهر العجائب والغرائب صاحب الحسام القاضب والغمام الساكب ابن عمك : أمير المؤمنين على بن أبى طالب ثم غاب عرفطة عن أعين الناس فنظروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تغير لونه وظهر غيظه واحمرت عيناه وتقوس حاجباه فعظم ذلك على المسلمين وجلسوا حوله ينظرون إلى الأرض ويحدقون إلى الامام على كرم الله وجهه ويشيرون له يسألونه عما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم والامام على صامت لم يتكلم ولم يرد عليهم .

(قال الراوى) فبينما الناس فى ذلك وإذا بجبريل عليه السلام قد نزل من عند رب العالمين فوثب له النبى صلى الله عليه وسلم قائما على قدميه فرحا مسرورا وهو ينادى لبيك لبيك اللهم انا نسألك الفرج منك يامفرج كل هم وكاشف كل كرب ومزيل كل هم وغم وخرج النبى صلى الله عليه وسلم من المسجد وقال لا يقم أحد من مقامه حتى أعود اليكم وخرج فمكث قليلا ثم رجع الى أصحابه وهم جلوس وقد تهلل وجهه صلى الله عليه وسلم فرحا وسرورا وجعل النور يشرق من بين عينيه صلى الله عليه وسلم فتواثبت الناس اليه فيما يسألونه عن أمره (قال الراوى) فقال لهم النبى ﷺ اجلسوا بارك الله فيكم فجلس الناس جميعا وصمتوا فقال النبى ﷺ أين سلمان وعمار فأجاباه بالتلبية ها نحن بين يدك قل ماشئت يا رسول الله فانا لكلامك سامعون ولأمرك مطيعون فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم سيروا فى شوارع المدينة ونادوا الصلاة جامعة لمسجد المختار لله الواحد القهار فلما سمع الصحابة ذلك النداء جعلوا يهرعون اليه من كل جانب ومكان حتى امتلأ المسجد بالناس ثم صعد النبى صلى الله عليه وسلم المنبر وخطب خطبة بليغة فشوق إلى الجنة ونعيمها وحذر من النار وجحيمها .

(قال الراوى) قال النبى صلى الله عليه وسلم معاشر المسلمين ان الله جل وعلا تقدست اسماؤه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولا إله غيره يعبد رفع السماء بلا عمد وأرسى الجبال بلا وتد وزين السماء بالنجوم الزاهرات والافلاك الدائرات وأجرى فيها الشمس والقمر آيات لأولى الالباب وبسط الأرضين بحكمته على تيار الماء وثبتها بالجبال الراسيات وأضحك ثغور البقاع والجامدات يفيض دموع السحاب المسخرات وأثبت فى الرياح العاصفات مخاليب الطيور الصافنات وقوى قبة الجبال الراسيات على تلاطم أمواج البحار الزاخرات وعلى أستار أوراق الأغصان الناضرات .

(قال الراوى) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها المسلمون انما أنا بشر مثلكم كل مما تأكلون منه وأشرب مما تشربون منه ولا أعلم ما كان ولا ما يكون ولا يحيط بذلك منا الا من يقول للشىء كن فيكون وخلق كل شىء بقدرته وعظمته ثم بعد ذلك أعلمكم انه قدوفد

على عرفطة من إخوانكم فى الدين وهو من الجن المؤمنين وقد اخبرنا عن اللعين الملك الهضام بن الحجاف بن عون بن غانم الباهلى لعنه الله قد اتخذ لهصنما وسماه المنيع فتعالى الله جل جلاله وتقدست أسماؤه لم يشبه بشىء ولا يمثل باسمه أحد سواه وذكر مع ذلك أنه صنع له جنة ونارا وملائكة وزبانية فيدخل من أطاعه وأطاع صنمه فى جنته ويعذب بناره من عصاه وعصى صنمه وقد غره حكم إبليس اللعين واستدراجه وأهاله . فلما سمعت ذلك كبر على وعظم لدى ولاخفف عنى ذلك إلا حبيبى جبريل وقد أتانى وأخبرنى عن ربى عز وجل وهو يقول لى يا محمد الله يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك إنى قد علمت بمافى نفسك وما قد نزل بك وإنى مبشرك أن دمار القوم ودمار صنمهم على يد رجل من أهل بيتك يحبه الله والملائكة وقد جعله الله سيف نقمتك وباب مدينتك الذى ماسجد لصنم قط وهو زوج البتول ابنتك والمتولى لدعوتك وحامل رايتك الفتى الولى مفرق الكتائب ومظهر العجائب والغرائب الحسام القاضب والليث المحارب والغيث الساكب ليث بنى غالب أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه وهذا إشارة من عند ربى العلى الأعلى

(قال الراوى) ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم كشف عن يده فاذا فيها حريرة سوداء مكتوب فيها بقلم القدرة لم يكتبها كاتب فلما نشرها النبى صلى الله عليه وسلم ظهر لنا منها نور له شعاع عظيم فقال الصحابة يارسول الله أخبرنا بما فيها فنظر فاذا فيها مكتوب بمشيئة الجبار أمارة من الطالب الغالب إلى أمير المؤمنين على ابن أبى طالب كرم الله وجهه ففرح المسلمون بذلك فرحا شديدا وقالوا لقد فاز من أمره الجبار وقربه برسوله محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأخيار وأحزن بذلك الكفار (قال الراوى) ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل على أصحابه وقال لهم معاشر المسلمين هل فيكم من وصل إلى ديار اللعين الهضام بن الحجاف بن عون فيخبرنا بما شاهده من أباطيله واعوانه وكفره وطغيانه فقام عند ذلك رجل من المسلمين يقال له عبد الله بن أنيس الجهنى رحمة الله تعالى عليه وقال يارسول الله انا اخشى أن يداخل قلبك الوهم والهم من وصفى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا ابن أنيس فانا لا نخاف مع الله أحدا فقال يارسول الله بأبى أنت وأمى ان خبره عظيم إن الهضام بن الحجاف لما نظر إلى أصنام العرب التى يعبدونها من دون الله عز وجل دعته نفسه أن يصنع له صنما من الحديد الصينى وبنى له قبة عظيمة وجعل فى سماء القبة حجرا من المغناطيس وفى أسفل القبة حجرا آخر وعن يمين القبة حجرا

وعن يسارها حجرا يوازن بعضها بعضا ويعادل بعضها بعضا وأوقف الصنم فى وسطها فى الهواء يجذبه كل حجر بقوته وذلك الصنم مرصع بالجواهر واليواقيت النفيسة وكساه بالحرير الملون ونصب له كرسيا مرتفعا مكللا بالدر والجواهر وشده بقضبان الذهب الأحمر والفضة البيضاء فما كان من العاج الأبيض كانت كواكبه من الذهب الأحمر وماكان من الآبنوس الأسود كانت كواكبه من الفضة البيضاء ثم جعل لتلك القبة بابا عظيما من الذهب الأحمر وعلق على باب القبة سترا مزركشا وعلق من داخل القبة قناديل من اللؤلؤ بسلاسل من ذهب توقد بطيب الأدهان وبنى من خارج القبة بيتا عظيما مانعا بالعلو وجعل سقف القبة من خشب الصندل وفصل أرضها وحيطانها بالرخام الملون وجعل من ورائها بيتا آخر مثل البيت الأول وما زال كذلك حتى جعلها سبعة أبيات يلى بعضها بعضا ولها سبعة أبواب منها ماهو من العاج ومنها ماهو من الآبنوس وغير ذلك وقد ركب فى تلك البيوت جامات من البلور المختلف الألوان فاذا طلعت الشمس على تلك الكواكب أشرق نورها على تلك البيوت والقبة وجعل على كل باب حاجبا موكلا به فاذا ورد اليه وارد أو قصد اليه قاصد من بعض الملوك أوقفه الحاجب الأول والثانى كذلك حتى ينتهى إلى الباب السابع وكلما جاوز بابا نظر إلى غيره فاذا هو أعظم من الذى قبله فاذا وصل إلى المكان الذى فيه عدو الله الهضام وجده جالسا على سريره وقد أحدقت به جنوده والحجاب حوله فاذا وقف بين يديه أمره الهضام بقلع ثيابه فيقلعها ويلبسونه ثيابا غيرها ويقولون له إن ثيابك هذه عصيت فيها فهى تصلح لك ولا تصلح أن تدخل بها على الاله المنيع وأنت تطلب منه الغفران ثم يدفع له خاتما من الحديد ويقولون له إن هذا الخاتم الذى تريد به عفوه عنك فاذا ثبت فى يدك فقد عفا عنك وقبل توبتك

(قال الراوى) ثم بعد ذلك يأمر الملك الهضام بفتح القبة لذلك الشخص فاذا دخل على الصنم وجد فى نفسه شيئا فيظن ان الصنم قد قربه اليه فيقولون له أشدد يدك على الخاتم ولا تخلعه فيغضب عليك الاله الذى أنت طالب رضاه وكلما قرب من الصنم جذبته السلسلة إلى ورائه فاذا كان لا يقلع الخاتم من يده يأمرونه بالسجود فيخر ساجدا ولم يزل كذلك حتى يهتف به من جوف الصنم الشيطان الموكل به ويأمره بالقيام فيقوم فيحضر ذلك الشخص ما أمكنه من الذهب والفضة أو من جواهر

أوطيب أو جوار أو عبيدأو خيل على قدر ما تصل إليه قوته وقد استولى اللعين المضام بهذه الحيلة والزينة على الأموال والجنود والعبيدوكل شيء ذكرناه .

(قال الراوى) فلما فرغ من ذلك خرج إلى فلاة عظيمة ملء الأرض فجمع الصناع وأمر بحفر حفرة طويله طولها أربمائة ذراع وعرضها مثل ذلك ثم جعل لها أساسا وبناها بالصخور العظام وأوقف عليها ألف عبد سودا غلاظا وأفرد لها ألف بعير يحملونها الأحطاب والأخشاب والف عبد يحمون لهم ذلك ويحملونه إلى الحفرة والف عبد يضرمون النار فى الليل والنهار وسمى تلك الحفرة جهنم حتى إذا مر بها طائر احترق من حرها وشدة لهبها وبنى لها دركات عاليات (قال الراوى) فلما فرغ من ذلك بنى طائرة واسعة طولها عشرون فرسخا وعرضها مثل ذلك وجعل طينها المسك والزعفران وأحجارها من جميع الالوان مثل الأحمر والأصفر والأبيض والأخضر والأزرق وغرس فيها الأشجار وجمع فيها كامل الأوصاف والأطيار ، وبنى فى وسطها دكة بيضاء من الرخام المختلف الألوان واتخذ فيها قصورا وجعل سقوفها من الذهب الأحمر والفضة البيضاء وجعل فيها مجالس وقبابا زاهرات وفرش أرضها من العقيق الأحمر والسندس الأخضر وجعل فيها جوارى أبكارا كأنهن الاقمار وتظم ذوائبهن بالدر والياقوت ووكل بأبواب تلك المقاصير غلمانا مردا جردا وسماهم الملائكة عليهم حلل من أنواع الحرير وعلى رؤسهم عمائم خضر وجمع فى هذه المقاصير من الفواكه الصيفية والشتوية من أطيب الاثمار وجعل فيها الاطيار تغرد على الاغصان بأنواع اللغات وجعل فيها أصناف الطيب المدقوق المعجون بماء الوردمن حول المقاصير وفيها الخمر مسكوب والعسل مصبوب واللبن محلوب يصب فى قنوات مصنوعة فمن أطاع هذا الصنم أدخله هذه الجنة وتلذذ بنعيمها ومن عصاه أدخله هذه النار يتلظى فى جحيمها وقد تزايد أمر هذا اللعين الجبار وشاع بين العرب بشجاعته وعظم شره حتى لقبوه : بمرارة الموت . (قال الراوى) فلما سمع ذلك رسول الله ﷺ قال يا ابن أنيس لقد حدثتنى عن أمر عظيم لم أسمع مثله قط وأين أرضه وبلاده ومستقره قال يارسول الله بأطراف اليمن مائلا إلى العمران فى وادى القمر فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أين أمير المؤمنين وحامى حوزة الدين مفرق الكتائب ومظهر العجائب ومبدى الغرائب الليث المحارب والغيث الساكب والحسام القاضب ليث بنى غالب أمير المؤمنين على بن أبى

طالب (قال الراوى) فلما سمع نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب وثب قائما على قدميه وأنشد يقول :

لبيك من داع ومن منادى لبيك نور الله فى البلاد
لبيك من داع إلى الرشاد فرجت عنى كربة الفؤاد
قل ما تشا يا أكرم العباد أفديك بالأهلين والأولاد

(قال الراوى) فلما سمع ذلك رسول الله ﷺ تبسم ضاحكا من قول الامام على كرم الله وجهه ورضى عنه ثم أقبل الامام على النبى ﷺ ووقف بين يديه فضمه النبى ﷺ إلى صدره وقبله بين عينيه وقال معاشر المسلمين هذا على بن عمى ووارث علمى وزوج ابنتى وحامل رايتى وسيف نقمتى من أساء اليه اساء إلى ومن أحسن إليه أحسن إلى ومن أحبه فقد أحبنى ومن أبغضه فقد أبغضنى اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصره من نصره واخذل من خذله ثم قال له عليه الصلاة والسلام أسمعت ما وصفه عبد الله بن أنس الجهنى عن عدو الله الهضام بن الحجاف وتجبره وكفره وجموعه قال نعم يارسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا الحسين أن الله أمرنى أن أخبرك بهذا الخبر وقد وعدنى ربى بنصرك وحفظك ورجوعك إلى سالما غانما فماذا تقول وآمر لك عصابة من المسلمين وجماعة من المؤمنين تسير فيهم إلى عدو الله الكافر وقد بلغنى أنه فى تكاثر من الورود وأن الله تعالى أكثر منهم عددا وهو القادر على ان لا يبقى منهم أحدا .(قال الراوى) فاطرق الامام على رأسه الى الأرض مليا ثم رفع رأسه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ونظر إليه ولم يتكلم ثم عاد إلى إطراقه ساعة ثم رفع راسه ولم يتكلم ثم اعادها ثالثا فعظم ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم وقد تبين فى ذلك الوقت فى وجوه المنافقين الفرح وقال بعضهم لبعض ان على بن أبى طالب كره التوجه إلى الملك الهضام ويحق له ذلك ومن يقدر على وصف عبد الله بن انيس وتكلم المؤمنون على قدر ماوصل اليهم وقال بعضهم لاشك انه يطلب جماعة منا يسير بهم إلى عدو الله ولكنه استحيا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يذكر له ذلك وقال بعضهم ان عليا كره الخروج من غير جزع ولا نزع وكثر الأقوال بين الناس وعظم ذلك على النبى ﷺ فقال يا أبا الحسين ما هذا السكوت والتوانى برد الجواب وما علمت منك إلا أنك لما آمرك به مبادر وإلى ما اخبرتك به مسارع فهل لك من حاجة فتقضى اوكلمة فتمضى

(قال الراوي) فلما سمع ذلك الامام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه من رسول الله ﷺ تبسم ضاحكا وقال يارسول الله حاجتى تقضيها كائنة ما كانت ؟ قال نعم : أي والذي بعثني بالحق بشيرا ونذيرا إني أقضيها ان وجدت إلى قضائها سبيلا فقال الامام على رضى الله عنه ألم تأتك البشرى من عند المولى الكريم رب العالمين أن ترسلني لهذا الأمر وضمن لك سلامتي وحفظ رعايتي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نعم يا أبا الحسن فقال الامام على كرم الله وجهه إذا كان معي من يعصمني ويسلمني ويحفظني فلا حاجة لى بأحد غيره ولا تبعث لهذا الأمر أحدا سواى فحسبي يا رسول نصر الله عز وجل وهو خير الناصرين وأسأل الله البلوغ الى مرادك وجلب المسرة إلى فؤاك

(قال الراوي) فلما سمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم تهلل وجهه فرحا وسرورا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا الحسن كفيت الله شافيك وأهلك معاديك ثم كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون جميعا عند ذلك فرحين بما كشف الله عن قلوبهم من الهم والكرب وارغام انف المنافقين اعداء الله قال عبد الله بن أبي بن سلول لعنه الله وهو رأس المنافقين بالمدينة هذه أعظم فرحة وحق اللات والعزى لتحرقن عظام على بن أبي طالب بنار الهضام بن الحجاف ولو خرج محمد اليه بجميع اصحابه ما قدروا عليه ولا بقيتم ترون على بن أبي طالب بعد هذا اليوم ان هو خرج اليه (قال الراوي) ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا بدواة وقرطاس وقلم ودفعها إلى الامام على بن أبي طالب وقال له اكتب يا ابا الحسن إلى عدو الله الهضام كتابا بالتحذير والانذار فكتب الامام على كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من رسول الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن عبد مناف داعى الورى إلى طريق الخير والغفران إلى : الهضـــام بن بن الحجاف الباهلي أما بعد : فقد اتصل الينا ما انت عليه من التكبير والتجبر والعتو على الله عز وجل وما صنعه من جنة ونار ياويلك والويل ثم الويل لك تتخذ الحديد والجنادل اربابا من دون الله عز وجل ارأيت ما صنعته من نارك لو أنك أمرت عبيدك الذين هم فى هذه المدة ينقلون الحطب والأخشاب ان يسكتوا عنها يوما واحدا لسكن لهيبها وانقطع وهجها وخمد حرها ياويلك والويل لقومك بل لو حملوا اليها الماء وسكبوه فيها لطفئت حرارتها وذهبت جمرتها فأين نارك من نار وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين لا يخمد حرها ولا يبرد لهيبها وهى لا توقد بحطب ولا بخشب بل قد توقد بسخط

الله عزوجل فلا تخمد فى ليل ولا فى نهار عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. واعلم ان نارك التى توقدها إنما هى جزء منها وهى اثنان وسبعون جزءا وأما جنة الخلد التى وعد المتقون . ففيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين لا يفنى نعيمها ولا يزول ولا يتغير ولا تنقص ثمارها ولا يصفر ورقها والمؤمنون فيها متنعمون فى جوار رب العالمين وعلى الأرائك متكئون وأما جنتك التى احدثتها فلو امرت بمنع الماء عنها لجفت اغصانها وتساقط ورقها وفسد ثمرها فاترك ما أنت عليه من المكر والتكبر يا ويلك واعلم أنك ميت ومبعوث ومسئول عن فعلك وما أنت عليه وتكبرك على خالقك ورازقك ولا تنفعك نارك فقل معى قولا عدلا: لا إله إلا الله محمد رسول الله واشهد لى بالرسالة تكن من الفائزين والصديقين فان ابيت رميتك بسف قاطع وبطل مانع كرار غير فرار مؤيد بنصر من الله العزيز الجبار مسلط على الكفرة الأشرار ويعجل لك ولصنمك الدمار ويرميك وجميع قومك بالبوار وقد انذرناك قبل الهجوم عليك والوصول إليك فانظر لنفسك وتدبر امرك والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى واطاع الملك الأعلى (قال الراوى) ثم ان الامام عليا كرم الله وجهه قرأ الكتاب على النبى صلى الله عليه وسلم فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم الكتاب بيده الكريمة وطواه بعد ان ختمه بختمه الشريف ثم قال يا أبا الحسن خذ معك من المسلمين رجلا فاذا قربت من ديار عدو الله فقدمه امامك رسولا بهذ الكتاب فان اجابك إلى مادعوناه اليه وآمن بالله وصدق برسالتى فكف يدك عنه فان الله حليم لا يعجل بالعقوبة على من عصاه وان أبى هو وعصى وتجبر وطغى وبغى فانظر لنفسك وتدبر أمرك واحذر من الحصون فى مسيرك وتوكل على الله وقل لا حول ولا قوة إلا الله العلى العظيم (قال الراوى) ثم أقبل النبى صلى الله عليه وسلم على اصحابه وقال لهم من يمضى برسالتى مع ابن عمى وانا أضمن له الجنة ولا يكون إلا عارفا بديار القوم فعند ذلك نهض قائما اليه رجل من القوم يقال له جميل بن كثير العابدى وقال يا رسول الله انا امضى بكتابك مع ابن عمك على وكان جميل رجلا مشهورا وبطلا مذكورا لأنه كان قريب عهد بالاسلام وكان لا يخفى عليه شىء من مياه العرب ولا من منازلهم فدفع له النبى ﷺ الكتاب وقال سر يا ابن كثير وقل لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

(قال الراوى) ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم اخرج مع ابن عمى على بن ابى

طالب رضى الله عنه فعند ذلك قال جميل بن كثير يا رسول الله دعنى أتقدم أمام ابن عمك فانى لا أطيق المسير معه وإن شاء الله تعالى أسبقه إلى ديار عدو الله الهضام وأسير إليه راجعاً برد الجواب وألاقيه وأسرع له الخطاب فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جميل أصلح الله شأنك فقال نعم يا رسول الله ثم أتى إلى داره وأصلح شأنه وشد راحلته وأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وودعه وودع من كان حاضرا من المسلمين فقال النبي ﷺ سر يا جميل وقل لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم

(قال الراوى) ثم إن جميلا ركب على ناقته وخرج من المدينة وجد المسير وهو طالب ديار عـــدو الله الهضام هـذا ما كان من حديث جميل ، وأما ما كان من حديث أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه فانه أقام بالمدينة بقية يومه فلما دخل المساء أقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بخبر الذى مضى ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا الحسن : أيهما أحب إليك ؟ تخرج على مطيتك أم على جوادك ؟ بل المطية أصلح فانها تحمل الزاد وتصبر على مشقة السير وطى المراحل والركوب إلى المنازل وقد جعلت الأمر اليك فقال له الإمام أنا موقن بحفظ الله ومتوكل على الله ولو جعلت الأمر إلى فانى لا أسير من عندك إلا راجلا فقال له النبي ﷺ يا أبا الحسن فكيف يكون لك طاقة بحمل الزاد فقال له الامام رضى الله عنه وحق الذى اختارك واصطفاك لا أزال صائما حتى يردنى الله اليك سالما (قال الراوى) فلما سمع النبي ﷺ ذلك الكلام من الإمام على كرم الله وجهه تغرغت عيناه بالدموع ثم قال اللهم لا تفجعنى بفقده ولاتحزنى من بعده اللهم إنه وديعتى اليك فاحفظه حتى ترده سالما إلى يا من لا تخيب عنده الودائع ثم ان الإمام عليا رضى الله عنه انصرف الى منزله وبات تلك الليلة يتحدث مع أولاده . فلما أصبح الصباح وانشق الفجر بضيائه ولاح قام على رضى الله عنه فتوضأ وأفرغ عليه آلة حربه وتحزم بمنطقته وتنكب بحجفته وضم أولاده إلى صدره وجعل يقبل هـذا مرة وهذا مرة ثم أقبل على فاطمة الزهراء رضى الله عنها فودعها وقبلها بين عينيها ثم خرج الى المسجد وصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح ثم قال يا رسول الله منك القول ومنى السمع والطاعة أتأذن لى بالخروج فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لله الأمر من قبل ومن بعد فاذا عزمت فتوكل على الله ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على قدميه ونهض الناس معه ولم يبق أحد إلا خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوصى الإمام علياً

كرم الله وجهه ويحدثه بما يجرى له فى طريقه والناس يتعجبون من سير الإمام وحده فلما بعد عن المدينة وقف النبى ﷺ وودع الإمام عليا وودعه المسلمون ثم أن النبى ﷺ دعا للإمام بدعوات لا تحجب عمن خلق الأرض والسموات ثم أمر الإمام بالمسير وقال سر بارك الله فيك الله خليفتى عليك (قال الراوى) ثم أن النبى صلى الله عليه وسلم رجع وأمر الناس بالرجوع فرجع الناس وسار الإمام طالبا بلاد اللعين الهضام وحيداً بنفسه ليس معه من يؤانسه إلا الله تعالى وكان المنافقون قد خرجوا جميعاً عند الوداع وهم يقولون أما ترون هذا على ابن أبى طالب إذ هو تعرض لمرارة الموت لم يبق لهذه الديار يعود وهم فرحون مسرورن ويقولون قد فقد على بن أبى طالب حين صار لمرارة الموت والنبى صلى الله عليه وسلم والصحابة يدعون للإمام بالنصر والتأييد على أعدائه فهذا ما كان من أمر المنافقين والنبى صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) وأما ما كان من أمر الإمام على كرم الله وجهه فانه سار واستقام به المسير وأسلم نفسه لله عز وجل وأنشد وجعل يقول :

أسير وحدى إلى ماقد أراجيه	إذ كل ما قدر الله من أمر الاقيه
لا تكره الموت فى بدو ولا حضر	أن يدن منك فكن أنت مدانيه
أسير مستسلماً لله معتمداً	عليه فى كل أحوالى أناجيه
به ألوذ ومالى عنه من عوض	جل الاله فأنى من محبيه
مالى سواه ومالى عنه مصطبر	وكيف عبد يرجى من مراجيه
صلى الاله على طه وعترته	مادام طير على غصن يناجيه

(قال الراوى) فبينما الإمام سائر وقد غاب عن المدينة وإذا بصائح من ورائه ينادى يا أبا الحسن سألتك بالله وبرسوله إلا ماوقفت لى حتى ألحقك فوقف الإمام والتفت إلى ورائه وإذا برجل طويل السواعد عريض المناكب وهو يسرع فى خطاه ويهرول فى مشيه فتأمله الإمام على رضى عنه فاذا هو رجل من أشرار المنافقين يقال له ورقة ابن خضيب من أقارب ابن أبى بن سلول المنافق لعنه الله وكان ذلك الملعون يتجسس الأخبار لعدو الله الهضام بن الحجاف ويظهر الإسلام ويكتم النفاق ويريد بذلك أن يظفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه على فلم يجد لذلك سبيلا فلما نظر الإمام خرج فى ذلك اليوم وحيدا فريداً أقبل ذلك الرجل على قومه المنافقين فرحا مسروراً وقال لهم الآن قد بلغت مرادى وبلغت أمنيتى وها أنا أريد أن أرافق على بن أبى طالب

إلى أن أجد منه فرصة أو غفلة عند نومه أو مسيره فاقطع رأسه وأمضى بها إلى الملك الهضام لأنال عنده المنزلة العليا وعند الإله المنيع الرفيع وأتقرب اليهم وأصير عندهم صاحب قدر وأشفى قلبى من العلل فقال إخوانه المنافقون شكرتك اللات والعزى وفرحوا بذلك فرحا شديداً لما يعلمون من شجاعته وقوة قلبه فما منهم من أحد إلا وقد وعده بصلته وجعل له جعلا إن وصل إلى ذلك .

(قال الراوى) فعند ذلك خرج ورقة بن خضيب ولحق أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه معارضا له سالكا طريقه قال فالتفت الإمام اليه وقال من أنت ومن أين أتيت وإلى أين تريد ؟ فقال ورقة أتيت أريد مرافقتك ومصاحبتك ومساعدتك على أعدائك لأنى متهج بمحبتك ومجتهد فى خدمتك فقال أمير المؤمنين كرم الله وجهه ورضى الله عنه من أحبنا التى يحبنا نعيما ومن أبغضنا جحيما وكان الله بما قضى عليما أرجع ياورقة لا أنس لى بك والله أعلم بما أضمرت فجزاك الله عليه يوم الدين يوم يقوم الناس لرب العالمين فقال ورقة ياأبا الحسن : إنى ما أتيت حتى أستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المرافقة لك والمسير معك والمساعدة لك على اعدائك ثم إنه لج عليه فى السؤال بالمخادعة والحيلة ومع ذلك لم يخف عن الإمام ما أضمره اللعين وما هو طالبه فأخذ حذراً منه وولى عنه إلى ناحية من الطريق وسمح له بالمسير معه (قال الراوى) ثم سار الإمام متجانبا متباعداً عنه وسار عدو الله إلى جانبه ولم يبدله شيئاً وكتم أمره فقال له الإمام إن كان ولا بد من صحبتى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكراً فأجابه ورقة إلى ذلك وقال بأبى أنت وأمى وكيف أتعرض لك فى شىء وأنت من بيت النبوة ومعدن الرسالة وإنما أقتبس منك ومن علمك ولا أنازعك فى صنعك ولا أمانعك فى أمرك وانما أنا مساعدك فى سفرك ومعاونك على أعدائك فعند ذلك خلى سبيله الإمام وجد فى سيره وأنشد ، وجعل يقول :

من صاحب الليث يرجو منه خدعته ... يسقى من أظفافره كأس الردى جرعا
من يشرب السم لا يأمن عواقبه ... لو كان يعلم عقبى السم لامتنعا
من أضمر الشر يأتى نحوه عجلا ... مسارعا قاصدا قد جاء متبعاً

(قال الراوى) فلما سمع ورقة هذه الأبيات من الإمام لم يرجع عما أضمره بل ازداد غيظاً على غيظه ولم يزالا سائرين والإمام على يقول حسبى الله ونعم الوكيل حتى وجب عليهما الظهر فلم يجد الإمام ماء يتوضأ منه فسارا الى أن قرب العصر

فأشرف الامام على رجل واقف على بئر وقد ملأ أستقيه وإلى جانبه مائدة منصوبة وعليها صحف مملوءة بالطعام وأقراص من العيش فلما نظر ذلك الرجل الامام وورقة قال هلما إلى الطعام الفاخر والماء البارد بلا ثمن ولا جزاء فأسرع اليه الامام ولم يمهله حتى قبض على أطواقه وجلد به الارض وجلس على صدره وحز رأسه ثم عمد إلى الماء فأراقه ثم حفر حفرة كبيرة وجعل فيها الطعام ورد عليه التراب حتى غيبه وصار كأنه لم يفعل شيئا فقال له ورقة يا أبا الحسن قد تجارأت فى فعلك وأسرفت فى صنعك وظلمت فى حكمك بما فعلت بهذا الرجل الذى يبرد الماء لعابر هذا الطريق وينصب المائدة للجيعان من غير ثمن ولا جزاء وتقدمت اليه وذبحته وإلى طعامه فدفنته والى مائه فأرقته وتركتنا نلتهب عطشا فوالله لقد تجارأت فى فعلك وأسرفت فى صنعك فقال له الامام على رضى الله تعالى عنه ألم أقل لك لا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا ارجع الآن فانك لن تستطيع معى صبرا .

(قال الراوى) فازداد اللعين كفرا وامتلأ غيظا وقال فى نفسه كيف أرجع وأدع ابن أبى طالب وحق اللات والعزى لا أرجع حتى أقطع رأسه وأمضى بها إلى الملك الهضام وابرد قلبى وأشفى غليلى ثم اقبل على الامام بمكره وخداعة وقال يا أبا الحسن أنتم اهل الجود والكرم والاحسان والعفو والامتنان ولست أعود إلى شىء تكرهه فسمح له الامام بالمسير معه فسارا الى وقت العصر ثانى يوم فأشرف الامام رضى الله تعالى عنه على حوض مملوء ماء وبجانبه مسجد قد طلع النخل على جدرانه وإذا بشيخ كبير جالس الى جانبه وعنده جارية حسناء وعليها انواع الزينة وثياب مزعفرة فلما وصل اليها الامام رضى الله عنه حل منطقته ووضع سلاحه وأخرج زنادا كان معه وقدح منه نارا واطلقها فى المسجد فاحترق سريعا وتساقطت حيطانه ثم أنه حفر حفرة وعمد إلى الصبيه فجعلها فيها ورجمها حتى ماتت ثم عمد إلى الشيخ فقطع يديه ورجليه وتركه مخضبا بدمائه ثم عمد إلى الماء فتوضأ وصلى . وانصرف كأنه لم يفعل شيئا . (قال الراوى) فلما رأى ذلك ورقة ثار وامتلأ غيظا وحنقا على الامام رضى الله عنه لكنه خشى من صولته وهجومه عليه فقال له وهو يلين له الكلام يا ابن أبى طالب والله ما امرك الله بهذا ولا رسوله ولا نطق بذلك القرآن عمدت إلى المسجد فأحرقته وهدمته والآن عاد خرابا وعمدت إلى الشيخ فقطعت يديه ورجليه من غير ذنب ولا جناية سبقت منه اليك ثم عمدت الى صبية من

أحسن الناس وجها فرجمتها حتى ماتت وهى كانت لاتصلح لتلك والله لانصرت وهذا الفعل فعالك فتبسم الإمام وقال والله لولا أنى أريد أن أظهر لك بيان ما رأيته وإلا كنت عجلت بروحك ولا كذبت على وعارضتنى فى شىء لا تعرفه ولا لك عليه طاقة ولكن أسامحك وامض إلى حال سبيلك ولا تتعرض لى فاهلكك فانظر لنفسك وتدبر أمرك وانظر إلى ما أنت له صانع وسيظهر لك يا ويلك ما رأيت وعاينت وإن سألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرك به فارجع عنى واستغنم السلامة وأكرم الناس من إذا قدر عفا وهذه الثانية فان صحبتنى وعدت إلى الثالثة جازيتك بفعلك يا ويلك ألم أقل لك ما قاله العبد الصالح لموسى بن عمران عليه السلام إنك لن تستطيع معى صبرا فقال له ياأباالحسن اعف عما قت ولست أعود إلى ماتكرهه ودخل على الإمام بمكره وخداعه وهو يظن أنه يظفر به (قال الراوى) فسمح له الإمام بالمسير معه ولم يزالا سائرين إلى غروب الشمس وهو على غير طريق فبينما هما سائرين وإذا بواد فيه عين ماء كبيرة كثيرة المياه وبجانبها حظيرة واسعة وعلى بابها عبد عظيم الخلقة أحمر العينين عريض المنكبين مفتول الساعدين فلما نظرهما قال للإمام اعدلوا إلى هذا المنزل الرحب الطيب الخصيب فقال ورقة عند ذلك اعدل بنا يا أبا الحسن إلى ذلك المنزل فقد ولى النهار وأقبل الليل فقال الإمام سر ولا تتعرض لما ليس لك به علم فقال ورقة والله ما بك إلا خوف من هذا الأسود حيث رأيته يطيل النظر اليك

(قال الراوى) فلما سمع الإمام ذلك تغير وجهه وقال لورقه ويلك أمثلى يفزع من أبيض أوأسود وأنا من أهل العلم والتأويل والدلالة والتفصيل ثم عطف الإمام ناحية العبد فلما رآه العبد مقبلا اليه قام ورحب به وفتح باب الحظيرة فدخل الإمام على رضى الله عنه ودخل ورقه ودخل الأسود فى نحوهما وأغلق باب الحظيرة ، فلما وصل الإمام إلى وسط الحظيرة وإذاهو بجماجم مقطوعة وعظام مهشومة فوقف ينظر إلى ذلك ويتفكر ويتعجب وإذاهو بسبعين عظيمين قدخرجا من جانب الحظيرة وقصد واحد منهما إلى نحو الإمام والآخر إلى ورقة فالسبع الذى وصل إلى ورقة هدر وزمجر فلما عاين ذلك قصد إلى نحو الامام وهو يرتعد كالسعفة فى الريح البارد واصطكت اسنانه واهتزت ركبتاه من شدة مانزل به من الخوف والفزع وهو ينادى برفيع صوته أدركنى ياأبا الحسن خالفتك فهلكت فبالله عليك خاصنى مما أنا فيه ولا تؤاخذنى بسوء أفعالى فأنت من أهل

الكرم والجود (قال الراوى) فتبسم الإمام ضاحكا من مقالته ، وأما الإمام فلم يعتن بالسبع الذى وصل اليه ولم يلتفت إلى ميلته فلما قرب السبع من الامام رضى الله عنه صرخ عليه صرخته المعروفة الهاشمية فتضعضع السبع من شدتها ووقف مكانه وخمدت قوته من صوت الامام رضى الله تعالى عنه وجعل ينادى : أنا البطل الصبور أنا الأسد الغيور أنا الصنديد المذكور أنا زوج البتول أنا السيف المسلول أنا ابن عم الرسول أنا مفرق الكتائب . أنا مظهر العجائب أنا مبدى الغرائب . أنا الحسام القاضب . أنا البحر الساكب أنا ليث بنى غالب أنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب . ثم وثب إلى السبع بقوته وضربه ضربته المعروفة فزعق السبع زعقة عظيمة وخر إلى الأرض ميتا .

(قال الراوى) ثم حمل الإمام رضى عنه على السبع الذى حمل على ورقة فوثب عليه ونادى أنا الليث التمام . أنا الأسد الضرغام أنا البطل المقدام أنا جالب الحمام أنا قاتل اللئام أنا مفرج الزحام عند ما اشتبك الحرب وعلا القتام فعند ذلك فر السبع داخل البيت فرارا عظيما عند ما نظر ما حل بأخيه وجعل العبد يحد النظر إلى الإمام رضى الله عنه ويتعجب مما فعل واغتاظ غيظا شديدا حتى احمرت عيناه فجرد صفيحة هندية وتقدم إلى السبع يحرضه ، وهو فى شدة غيظه وزفيره على قتل أخيه فحرضه على الإمام فعمد السبع إلى الامام وعمد الأسود إلى ورقة يريد قتله قبل قتل الامام فقال ورقة للأسود مهلا على وقيت الردى وكفيت شر العدا فانى معين لك على أمرك وحامل معك لنصرك فانى من أكبر أعدى الناس اليه ولا صحبته إلا محتالا عليه لعلى أجد منه غفله أو فرصة فى نومه فأصل اليه فأقتله وأقطع رأسه وأمضى بها إلى الملك الهضام لأنال بها المرتبة العليا والآن احتطنا بعدو الملك الهضام واحتوينا عليه فى هذا المكان فنكون شركاء فى قتله فان قتلناه فتكون لنا اليد العليا والمرتبة الرفيعة عند الملك الهضام وعند الاله الرفيع المنيع (قال الراوى) فعند ذلك فرح الأسود من مقاله ومال على الإمام وكذلك ورقة حمل مع الأسود على الإمام وكشف الغطاء وقال يابن أبى طالب إلى أين طالب وما أنت عليه عازم إلى متى نكتم ما فى القلوب وفيها نار لا تخمد ولهيب لا يبرد فانظر لنفسك وتدبر أمرك فقد آن أوانك وانقطع حسك ودخلت فى رمسك فلم يلتفت اليه الامام وهجم على السبع وضربه بذى الفقار ضربه هاشمية بين عينيه فخرج السيف يلمع من بين فخذيه فلما نظر الأسود ذلك انذهل واندهش وحار وارتعش وعلم أنه إن أقدم على الامام ارداه وأعدمه الحياة فرمى صفيحته من يده إلى الأرض ونادى يا ابن

أبى طالب أبق على أسيرك وأحسن إلى أكن لك خادما فانى لم أعلم بك ولا بمكانك حتى سمعت بذكرك من رفيقك أحسن إلى يا أبا الحسن أحسن الله اليك .

(قال الراوى) فلما سمع ذلك منه الإمام قال اعتزل حتى أفرغ من عدو الله وأعود اليك فيقضى الله بحكمه ماهو قاض ثم عمد الإمام إلى ورقة وقال يا رأس النفاق والجهالة على الإطلاق قد أظهرت ياعدو الله ما كنت له ساترا وما أنت عليه عازم وضامر فانظر الآن لنفسك وتدبر أمرك فقد آن أوان قتلك ودخولك إلى رمسك ومصيرك إلى النار وبئس القرار ثم نادى ورقة يا بن أبى طالب سألتك بحق محمد بن عمك إلا ماأبقيت على وأحسنت بكرمك إلى فقال له بعد نفاقك وكفرك ماأبقى عليك هيهات هيهات فلما أيقن اللعين بالهلاك قال يا ابن أبى طالب أبى الظلم لايفارقك ولا يفارق ابن عمك فحدثنى عما ظهر لك فى طريقك هذه من سوء فعلك مما لا يرضاه الله ثم أفعل ما بدا لك فانى أشهد أنك وإبن عمك محمداً ظالمان ساحران متعديان

(قال الراوى) فغضب الإمام من مقالة ورقة غضباً شديداً وقال ياعدو الله إن الله تبارك وتعالى قد باعد بيننا وبين الظلم والعدوان وجعلنا من أهل الكرم والإحسان والفضل والامتنان وقراءة القرآن وأعطانا من العلم والتأويل مالا تعرفه أنت ولا آباؤك ولا أجدادك ويل لك ولقومك فأنا أكشف لك جميع ما رأيته فى طريقنا : أما الرجل الذى أقبلنا عليه وعنده الماء والطعام فانه كان مسموما وإنما صنعه للناس حيلة فاذا أكل أحد من الطعام وشرب من الماء هلك لوقته فيأخذ ما كان عليه وما كان معه وقد أهلك بهذه الحيلة خلقاً كثيراً فلما أتيته قتلته عمن قتل من الناس وأهرقت الماء ودفنت الطعام لئلا يأكل منه الطير والوحوش فيهلكوا ، وأما الشيخ الذى أتيناه عند المسجد وعنده الجارية لأنها ابنته وهو ينكحها للصادر والوارد فاذا نزل عنده سالك طريق أو عابر سبيل عرض عليـــه ابنته فان أجابه الى ذلك كان والا تركه حتى ينام ويسرق جميع مامعه وهو مقيم على هذه الحالة فى هذا المكان فلما قدمت عليه ووصلت اليه قطعت يديه ورجليه من أجل سرقته ورجمت الجارية لزناها حتى ماتت وأحرقت المسجد وأما هذه الخطيرة وهذا الأسود وهذان السبعان فيقتل بهما جميع من أتى اليه فى هذه الخطيرة ويأخذ ما كان معه وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبراً

(قال الراوى) ثم أن الإمام تقدم إلى ورقة وضربه بذى الفقار على رأسه ففلقه نصفين ووصل الى الأرض وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما نظر

الأسود إلى ذلك حار واندهش وذهب عقله ونادى يا ابن أبي طالب أمدد يدك فانى أشهد أن لا إله الا الله وان ابن عمك محمداً رسول الله وانى كنت فى لجج الضلالة سارح وعلى أمواج الشرك طافح والآن قد علمت وتيقنت أن أمرك ملكوتى فلا زلت لك بعد هذا اليوم مواليـــا ولأعدائك معاديا فعند ذلك تبسم الإمام رضى الله تعالى عنه وقال خذ سلب عدو الله وامض حيث شئت مصاحبا الإسلام فقال يا أمير المؤمنين مالى لا أكون معك وبين يديك فقال الإمام هذا جبل بعيد ومرتق صعب شديد لا يصل اليه إلا كل ضامر سلول وللجماجم أكول فقال الأسود هذا الوصف لا أجده إلا لك يا ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم أنت زوج البتول وابن عم الرسول وسيف الله المسلول ألا يا أمير المؤمنين سألتك بحق ابن عمك إلا ما أخبرتنى إلى أين تريد فقـال له إنى أريد عدو الله الهضام ابن الجحاف وصنمه المنيع وحصنه الرفيع لأذيقه السم النقيع

قال الراوى فقال الأسود وقد تحول وجهه إلى الاصفرار لما ان سمع بذكر الهضام فقال يا أمير المؤمنين لا تعرض نفسك للهلاك فنذ [illegible] ذكرته غير سالك فكيف تصل اليك وبينك وبينه سبعة أودية وفيها سبعة حصون وكلها مشحونة بالرجال والأبطال لا يطير عليهم طائر إلا منعوه ولا من الجوازى حتى يستخبروه ووصولك إلى صنما أبدا من ذلك وان له جنة ونارا يدخل فى جنته من أطاعه ويدخل فى ناره من عصاه وأنا أخشى عليك مما أعلمه من الأهوال فقال له الإمام امض أنت الى حال سبيلك فان معى ربى يعيننى وينصرنى وهو معى أينما توجهت فهو حسبى ونعم الوكيل ثم قال ما اسمك قال اسمى مواثب فقال الامام أكتم أمرى ولا [illegible] أمرى [illegible] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدد إسلامك [illegible] فقال [illegible] ياسيدى هذا الذى أضمرت عليه .

قال الراوى فعند ذلك ودع أمير المؤمنين [illegible] المدينة قاصدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل أمير المؤمنين سائراً إلى بلاد الهضام حتى ولى النهار وأقبل الليل فبعد غروب الشمس صلى المغرب والعشاء [illegible] حتى لاح الفجر فصلى الصبح وسار وطاب له المسير وطوى الله له البعاد و[illegible] عليه كل صعب شديد

قال الراوى .. حدثنا أمير المؤمنين رضى الله تعالى عنه [illegible] كنت أرى الجبال الشاهقة أمامى فبينما أنا أتفكر فى الوصول اليها [illegible] علوت عليها بحول الله تعالى وقوته ولا أدرى بنصب ولا ألم ولا [illegible] ذلك [illegible] سبحانه وتعالى وبركة رسول الله

الله عليه وسلم ثم أنشد يقول .

طاب المسير بنور الله إذ لمعا	وبان مطلع ضوء الفجر إذ طلعا
قتلت جرثومة الكفار كلهم	رأس النفاق وخلى النصح وابتدعا
أذقته ضربة من يد قسورة	تركته مثل سكران إذا وقعا
نصفين قد قسم البتار بينهما	والموت بينهما والحتف قد صرعا
غيث يقول وليث فى معاركه	تلق الأعادى ولا تخشى لهم جزعا

(قال الراوى)وسار الامام رضى الله عنه يطوى المنازل ولايعرج على المناهل الى ان وصل أرض اليمن وجعل يكمن بالنهار ويمشى بالليل الى ان بلغ أطراف البلاد وأشرف على العمران وقد وصل الى وادى الظل وهو أول الأودية السبعة وهو واد معشب أخضر نعمه عظيمة كثيره النبات والأشجار والمياه والظل المديد مع اختلاف الألوان وحسن تغريد الأطيار وإذا فيه رعاة ومعهم أغنام وأنعام ثم نظر إلى صدر الوادى فاذا هو بحصن حصين مشيدمتين وهو يسمى الوجيه وهو فى صدر الوادى يلوح كأنه لؤلؤة بيضاء له نور ساطع وإشرق لامع فلما نظر اليه الامام حمد الله وشكره وأثنى عليه على تيسير العسير الذى قرب اليه البعيد وسهل عليه كل صعب شديد (قال الراوى) ثم انه انحدر الى ذلك الوادى واذا عارضه نهر ماء جار يلوح صفاء بياضه والخيل والأنعام والأبل والمواشى والرعاة فى البر الآخر مما يلى ديار القوم والرعاة مجتمعون ومعهم واحد بيده غابة يصفر بها وهم يصفقون ويلعبون ويرتجزون الأشعار فنزل الامام رضى الله تعالى عنه الى جانب النهر وقد نظره القوم ولم يخاطبهم ثم انه حل منطقته وتوضأ وصلى فلما رآه القوم يصلى بهتوا اليه ولم يدر ما هو صانع وقد دهشوا من ركوعه وسجوده وقيامه وقعوده فقطعوا ماكانوا فيه من لهوهم ولعبهم وقال بعضهم لبعض كأن هذا من بعض كهنة العرب وقال بعضهم إنما هو ساحر وقال بعضهم إنما هو به جنة وقد أكثر القوم فى الامام رضى الله تعالى عنه وهو مشغول عنهم بما هو فيه (قال الراوى) فلما فرغ من صلاته مال متكئا الى حجفته فقال له بعض القوم من أين أنت أيها الرجل فقال لهم من طين من حمأ مسنون خلقنى وقدرنى الذى يقول للشيء كن فيكون فقال لهم الراعى ألم أقل لكم انه مجنون قذفته جنة الى هذا المكان فترك الراعى قول أصحابه وقال له ياهذا من أين أقبلت ؟ فقال له الامام من عند مولاى الذى كفانى بنعمته ونعمني

بفضله وكرمه فقال له الراعى أفقير مولاك أم غنى ؟ فقال له الامام هو مولى الموالى علمه بحالى يكفى عن سؤالى مالك المشرق والمغرب والبر والبحر والسهل والوعر والأرض والسماء عليه توكلت وبه أستعنت فقال له الراعى صدقت وبالحق نطقت أقدم علينا أيها الرجل فالطريق أمامك هذه الصفة صفة إلهنا المنيع وهو فى إحسانه بديع ثم انهم سروا بقوله سرورا عظيما وفرحوا به فرحا شديدا وقالوا يابنى بلغت السلامة ومناك وأدركت هواك فان أحببت أن تأتى الينا فدونك والجسر عن يمينك واجعل راحتك عندنا لنسر بك فقال لهم الامام من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وانى أرجو أن أكون على الطريق متبع النبى الناصح .

(قال الراوى) فأعرض الرعيان عنه لأنهم لم يفهموا كلامه وقالوا له إن فى كلامك تخليطا وفى لسانك تفريطا وان كلا منا لك ضائع ثم أعرضوا عنه ورجعوا إلى لعبهم ولهوهم وأقام الامام رضى الله عنه مكانه إلى ان وجب العصر فصلاه وإذا بالرعيان تصارخوا وتصايحوا فقال لهم الامام معاشر القوم ما بال صراخكم فقالوا لا تنظر إلى قطيع الظباء منحدرا من الجبل فلما نظر الامام الى ذلك ونب قائما على قدميه ثم نزع أطماره وسلاحه وقال لهم دونكم حفظ أثوابى وسلاحى فقالوا وأين تريد فقال لهم أريد هذه الظباء لعلى أنال منها ظبيا فلم يبق أحد منهم الا وقد ضحك من قوله واستهزأ عليه ثم قال بعضهم لبعض ألم أقل لكم ان الرجل هائم على وجهه مخبوط فى عقله ثم تركهم الامام ومضى وهم ينظرون اليه ويظنون انه لا يبرح من مكانه لعظم خلقته وكبر بطنه .

(قال الراوى) ثم سار الامام حتى توارى عن أعين الرعاة وقد قطع الشعاب وهو يثب من ربوة الى ربوة ومن شجرة الى شجرة حتى أدركها وهى فى شدة جريها فقبض على اثنين منها واحدة بيمينه وأخرى بيساره وأقبل كأنه الريح الهبوب والظباء فى يديه فلما رأى الرعاة الظباء فى يديه ذهلوا وكبر الامام فى أعينهم ولم يزل الامام سائرا حتى أتى الى سلبه واستخرج سكينا وذبحهما وسلخهما وأجاد غسلهما ثم حفر حفرة والتفت يمينا وشمالا يطلب حطبا فلم يجد شيئا الا شجرة قديمة كبيرة وقد يبست أغصانها فأقبل اليها وتبرك عليها وجذبها فقلعها بعروقها من أصلها وجعل يجرها الى ان أتى الى الحفرة وجعل يكسر منها وهو غير مكترث حتى جعلها هشيما وفرش أرض الحفرة حصى ثم أخذ من ذلك الحطب يرمى فى الحفرة حتى ملأها ثم قدح زناده فأخرج نارا وأضرمها فى ذلك الحطب فأججت

وصارت جمرا فكشف الجمر عن الحصى وأخذ الظبيين ورماهما فى هذه الحفرة وردعليهما النار من فوقهما هذا والرعاه ينظرون اليه ويتعجبون من فعاله وهابوا أن يتقدموا اليه وامسكوا عن سؤاله .

(قال الراوى) فلما فرغ الامام مما أراد غسل يديه ولبس ثيابه وقعد ينظر غروب الشمس لأنه كان صائما فقال له الرعاة يافتى نحن ضيوفك الليلة لتطعنا مما اقتنصت من الظباء فقال لهم الامام إنما يضاف من يكون قاطنا بالديار وأنا فى دياركم غريب فقالوا له يافتى سألناك بالهك الذى تعبده إلا ما عرفتنا باسمك الذى تعرف به لأننا رأينا منك ما لم نره من احد غيرك فقال لهم اسمى زيد وكانت أمه سمته زيدا وسماه أبوه حيدرة وسماه النبى ﷺ عليا لما أمره الله ان يسميه بذلك الاسم الحسن فقالوا له يافتى لقد أعطاك الله من الشجاعة والبراعة ما لم يعطه لأحد غيرك وبقى القوم يتحدثون بحديثه وما ظهر لهم من قوته وشجاعته .

(قال الراوى) فبينما هم كذلك إذا وقعت صيحة عظيمة وصرخة مزعجة من الوادى وتتابع الصياح والصراخ فجعلت الرعاة تسرد أغنامها وإبلها وخيلها يرومون أن يجمعوها وأسرع بعضهم إلى أهل الحصن يستنجدونهم هذا الامام ينظر اليهم وإذا بخيول مسرعة وأسنة لامعة وكراديس متلاحقة فظن الامام أنهم قد عرفوه وان اهل الحصن قد خرجوا له فلم يكن من أمره إلا انه شد منطقته وقبض حجفته وتأهب للقتال وجلس ينتظر وصول القوم اليه فاقبلت الخيل افواجا وجالت فى الودى وكانت اربعة آلاف فارس وضموا جميع ما فى الوادى من المواشى فسار الف بالغنيمه وثلاثة آلاف حميه لأصحابهم من أن يطرقهم طارق او يلحقهم لاحق وفرت جميع الرعاة فى خبايا الوادى وهم يبكون ويصارخون فقال لهم الامام لم تبكون وليس لكم مال ولا نوال وإنما المال لغيركم وانتم مستأجرون فقالوا له يافتى إنما نبكى على انفسنا لأن سيدنا الأعظم الهضام إذا أخذ له مال رجع بالقيمة علينا ويقول انتم سلمتم مالى لأعدائى فلم يرض لنا بالقتل بل يحرقنا بناره وقد فعل ذلك بمن كان قبلنا من الرعاة وقد رأيت ما دهمنا من كثرة الخيل ونحن اعرف الناس بهم وبملكهم :(قال الروى) كالون ملكهم الهضام وإلهه المنيع لما وصلوا اليهم من هؤلاء الأقوام ولم يخلصوا الغنائم من أيديهم لأنهم قوم قد عرفوا بالبلية وطوارق المنية وصاحبهم قد أيتم العرب وهو الجالب لأعدائه العطب تبلغ أذنيه ارض فارس ونحو كرمان وإلى ارض اليمامة وأرض نعمان ولا يسمع ببلد إلا هجم عليها

ولا حاة إلا أتى اليها ولاعسكرا إلا يلقاه ولا جيش إلا وافاه ولا تقصر يده إلا عن بلدة واحدة فانه يهاب التقرب اليها ولا يجسر على الهجوم عليها فقال الامام رضى الله تعالى عنه ماهذه البلدة التى لا يقرب اليها ولا يجسر على الهجوم عليها فقالوا له مدينة يثرب مسكن محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب فان بها فارسا لا كالفرسان وشجاعا لا كالشجعان ويقال عنه إنه مصرق الكتائب ومظهر العجائب ومبدى الغرائب وهازم الجيوش ومفرق المواكب الحسام القاضب والليث الغالب والبحر الساكب ليث بنى غالب امير المؤمنين على بن أبى طالب .

(قال الراوى) فلما سمع الامام هذا الكلام تبسم ضاحكا وقال ايها الراعى ما اسم هذا الرجل وما الذى يعبد وأين مسكنه فقد حدثتنى بعجب فقال له يعرف بالمغضب واما معبوده فانه صنعه من الجزع اليمانى وكانت العرب تأتى اليه وإلى صنمه فيخبرهم بجميع ما يسألونه عنه فلما كان يوم من الأيام والناس محدقون به ويسألونه ويتضرعون اليه وكان الناس قد شكوا إلى ملكهم المغضب من على بن أبى طالب بما فعل بسادات العرب من القتل والأسر وبهدلة الشجعان ومنازلة الفرسان فقال لهم ياقوم تأخروا عنى لأتقدم إلى الاله العظيم واشاوره لكم فى هذا الغلام وفى المسير اليه فتأخروا عنه جميعا .

(قال الراوى) فعند ذلك تقدم الملك المغضب الى إلهه وهو معتمد فيه وواثق به واستشاره فى حرب على بن أبى طالب وقال إلهى قد سمعت ماذكرته العرب من خبر هذا الغلام وشجاعته وقتله الفرسان وقد حارت العرب فى أمره وشكوا من فعاله وعجزوا عن قتاله وقد شكوا إلى واليك جميع ذلك فهل لك ان تشير لنا ان نسير اليه ونقاتله وننصرنا عليه وانت اخبر واعلم منا بذلك فهما امرتنا به امتثلناه فانا من اهل خدمتك وتحت مشورتك والطائعين لك ولأمرك فقل لنا ما انت قائل .

(قال الراوى) فلما فرغ من كلامه دخل الشيطان فى جوف الصنم ونهى المغضب عن ذلك وهو يظن ان الكلام من الصنم وهو إبليس بجوفه ثم تمثل وارتجز وأنشد يقول :

دع ماقصدت من ارتكاب مهالك	ومكاره مقرونة ببلاء
لا تطلبن لقا على إنه	وحش الفلاة كذا وسفاك دماء
كذا إلهك كاره للقائه	أبدا وإنه كاره للقائى

(قال الراوى) فلما سمع المغضب والعرب كلام الصنم حزنوا من كلامه فخاف الملك

وخافت العرب ورجعوا عن عبادته ونفروا من زيارته فقالوا إلهك يذل ولا ينصر فهو أولى بأن يذل ويحرق فتفرقوا عنه ولم يبق أحد ينظر إليه فعند ذلك تسامعت العرب والقبائل بملكها الهضام وصنمه المتبع وقيامه على طول الأيام معلقا فى الهواء فانعطفت العرب جميعهم اليه ورأوا منه معجزات وكلمهم بالدلائل ووعدهم بهلاك على بن أبى طالب وودوا أن يكفيهم مؤنته ويكف عنهم شره ويطفىء عنهم جمرته فانصرفت وجوههم اليه وأقبلوا بجمعهم عليه فعظم على المغضب واستنجد بالعرب وبذل لهم الأموال وطرقنا بالجموع العظام فجرى بينه وبين صاحبنا الهضام حرب شديد ما شهدت العرب مثله وأقاموا مدة من الشهور يقتتلون حتى فنى أكثر الجماعات وافترقوا على ما هم عليه من العداوة والبغضاء وبقى كل واحد منهم يغير على صاحبه كما ترى وكانت العرب سعت بينهم بالصلح على أنهم يجتمعون جميعا ويسيرون إلى على بن أبى طالب ولم يكن قد انفصل بينهم أمر (قال الراوى) فتبسم الامام على رضى الله عنه ضاحكا من قوله ثم اطرق برأسه إلى الأرض ساعة وهو يتفكر فى أمر الحصون التى بينه وبين عدو الله الهضام فأجمع أمره على ملاقاة المغضب وقومه وأقبل على الراعى المخاطب له وقال إلى أين هؤلاء القوم سائرون وإلى أين يقصدون وفى أى مكان يقيمون بالغنيمة ؟ فقال له يافتى ماهو منا بعيد فبيننا وبينه قدر فرسخين فى مضيق بين جبلين يجمعون السائمة إلى ذلك المضيق ثم يقع البيع والشراء فيها فيأخذ كل واحد ما يخصه وينصرف إلى حال سبيله ويقصد كل واحد منهم مكانه ومحل نومه فقال الامام يا ويلكم فما منع صاحب هذا الحصن عن لحاقهم فقالوا له يافتى تجلى لك إلهنا بالبركة إن فى كل حصن ألف رجل ولو اجتمع كل من فى الحصون لكان هو كفؤا للجميع (قال الراوى) فلما سمع الامام ذلك الراعى المخاطب له أخذ سيفه ودرقته وجرابه وشد وسطه بمنطقته ثم أتى إلى جانب النهر وثبت عزمه ووثب فارتفع فى الهواء ارتفاعا عاليا فعبر بتلك الوثبة إلى جانب النهر الآخر وكان عرض ذلك النهر أكثر من عشرين ذراعا ففزع الرعاة مما عاينوه وذهلت عقولهم وارتعدت فرائصهم واصفرت وجوههم خوفا من الامام فقال لهم مهلا ياقوم لن ينالكم منى إلا خير إن شاء الله تعالى فان غبت عنكم حتى جن الليل فأخرجوا ما فى الحفرة وكلوه فأنتم أحق به من النار فقالوا له إلى اين تريد فقال لهم أريد أن الحق القوم فعسى أنال منهم خيرا ورشدا فظن الرعاة أنه يطلب منهم رفدا ومعاونة

فقالوا له يافتى إن القوم إن وقعت أعينهم عليك لم يسمعوا كلامك دون أن يسفكوا دمك وهم أربعة آلاف فارس وملكهم المغضب أعظم من الجميع وأكثرهم أذية ومع ذلك إن وهبوك شيئا أخذ منك فلا تعرض نفسك للهلاك (قال الراوى) فقال لهم الإمام بعد أن سمع ذلك الكلام لاصبر لى عن القوم ولا بد من اللحوق بهم فلم يكن غير قليل حتى لحق بالقوم ونظر الخيل والأسنة تلمع فقصر الامام فى مشيه حتى دخل القوم فى المضيق والسائمة معهم وليس لذلك المضيق منفذ غير هذا الذى دخلوا منه فلما دخلوا بأجمعهم أتى الامام إلى فم المضيق وجلس تحت درقته جاثيا من وراء صخرة قابضا بيده على سيفه وهو يسمع حديث القوم فى بيعهم وشرائهم وقد غابت الشمس فصلى الإمام المغرب فى مكانه وقال اللهم ارزقنى من عندك قطرا حلالا طيبا ولم يزل القوم كذلك إلى أن دخل الليل وطلع القمر وامتلأت الأرض بنوره فبينما هو كذلك إذ سمع يعار غنم ورغاء إبل فاذا هو بشويهات وفرسين ومطيتين بغير سروج وفارس معتقل برمحه ولأمته فقال الامام يوشك أن هذا قسم هذا الفارس فكمن الامام إلى أن خرج الفارس وما معه من فم المضيق فلما قارب الامام لم يمهل عليه حتى وثب عليه وضربه بذى الفقار فوقع على الأرض قطعتين فأخذ الامام جميع مامعه وعدل به إلى ناحية وتركه ورجع إلى مكانه فلم يكن إلا هنيهات وقد أقبل آخر على مثال الأول وهو ينادى صاحبه يا أبا المعين قف حتى أجمع سهمى بسهك ونسير جميعا فلم يرد عليه فما استتم كلامه إلا وقد وأفاه الامام ولوى شماله إلى يمينه وقبض عليه ودق عنقه فى الأرض وضم الجواد إلى الجواد والماشية وجر الرجل الأول من الطريق الى خارج مضيق وجر صاحبه اليه ورجع الى مكانه فلم يستقر واذا هو بصهيل خيل ورغاء ابل ويعار غنم وثلاثة فوارس من وراء تلك الأغنام والإبل والخيل فتفكر الامام فيما يحتال به عليهم ساعة حتى خرجوا من المضيق فاسف الامام عل خروجهم وخاف أن ينبهم قبل أن يفرغ منهم .

(قال الراوى) فتقدم الامام إلى أحدهم وضربه بالسيف على مراق بطنه فخرج السيف يلمع من ظهره فسقط الى الأرض نصفين وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فالتفت اليه صاحباه فوثب الامام رضى الله عنه عند التفاتهما وضرب أحدهما فجندله طريحا يخور فى دمه وأراد الثالث فسبقه الى داخل المضيق وهو صارخ مستغيث باصحابه وهو يقول أدركونى فقدهلك أصحابكم وهلكتم جميعا فاطلبوا لأنفسكم الخلاص

فقالوا بأجمعهم ياويلك ماالذى دهاك فقال ياقوم إنه بباب المضيق موت نازل وسيف فاصل وهو لكل من خرج منكم قاتل فصاح به المغضب وقال ياويلك وسأله عن حاله فأخبره بما رأى وعاين من أمير المؤمنين فقال له أيها السيد رأيت منه شجات مزعجات وصولات متداركات لاتكون لبشر ولكنه سماوى الفعال ومبادر للقتال فصاح به اللعين وقال لعل أن يكون معه جيش كثير فقال يامولاى مامعه أحد وهو يسعى على أقدامه إذا وثب جاوز الفرس بالوثبة ويخلع الرأس من الرقبة فصاح به المغضب وقال لا أم لك لعله يكون من بعض عمار هذا المكان أو مارد من مردة الجان ثم التفت إلى رجلين من قومه قد عرفوا بالشدة والقوة والمراس .

(قال الراوى) فقال لهما المغضب انظرا إلى ما يقول الجبان فنهضا على أقدامهما وركبا خيولهما فعطفا بفرسيهما وسلا سيوفهما إلى أن قربا من باب المضيق فصرخا من الطارق لنا فى مكاننا فى هذا الليل الغاسق من المتعرض لنا فى سطوتنا فان كنت من الجن فنحن مردة الجن وإن كنت من الإنس فنحن من عتاة الإنس فمن أنت ياويلك انطلق قبل أن نرميك بالعطب ونجلك بالويل والغضب هذا والامام ساكت لم يرد عليهما جوابا وهما على وجل والامام قد لصق بالأرض إلى أن وصلا اليه وحاذياه بفرسيهما فوثب اليهما كالأسد وقبض بيده على جواد الأول ورفعه من الأرض وضمه الى صدره ثم حذف به الجواد الثانى فوقعت الصدمة على رجلين من الفرسين فاندق الفرس الثانى واندق صاحبه وسقط الأول على أم رأسه فانشج شجة عظيمة ووثب هائما من حيث خرج من المضيق صارخا مستغيثا بقومه فبادروا اليه وقالوا ماوراءك قال ورائى البحر المغرق والموت المفوق فقالوا صف لنا ما رأيت قال فانى رأيت مالا يقدر أحد على وصفه فقالوا ماهو لا أم لك فقال هل رأيتم رجلا يحمل فرسا براكبه قالوا لا قال هذا الرجل حمل فرسا براكبه ثم صدم به الآخر فدق الفرس وراكبه (قال الراوى) فلما سمع القوم ذلك ذهلوا وحاروا وقالوا كيف يكون ذلك وكيف يتفق أن رجلا يفعل هذا الفعل فقال ها هو بباب المضيق فمن أراد أن يعلم الأمر بالتحقيق فعليه بباب المضيق فينظر إلى ما نظرته بالتصديق فما فرغ من قوله حتى وهب اليه المغضب بنفسه وفار من شدة غيظه ، وصاح عليه وضربه بسيفه فقتله وقال قبحتك اللات والعزى تبالك ولمن ذكرت أمن الرجال هذا من لايخاف سطوتى ولا يزول من صولتى ثم قال احفظوا على أنفسكم

حتى أعود اليكم فقال له قومه أيها الملك معك أربعة آلاف فارس من صناديد العرب والسادات من ذوى الرتب وتقدم أنت بنفسك دونهم ونحن نعلم أن فيك الكفاءة لأهل الأرض فى الطول والعرض ولكن نخشى عليك أن يكون هذا من عمار الجان أو من الجن الأشرار فنخاف عليك من طوارقهم فقال لهم بحق اللات والعزى لا بدلى من الدنو اليه والهجوم عليه . فان كان من الإنس قتلته وإن كان من الجن أبدته ولا يقال انى امتنعت من قتال الجان ثم إنه حزم وسطه وجرد سيفه وأخذ حجفته وكان عدو الله عظيم الخلقة كبير الجثة شديد الهمة فتوجه إلى الامام رضى الله تعالى عنه وهو يبربر كالأسد وينشد ويقول :

أيها الطارق فى ليل غسق ... واتكى فينا بسر قد سبق
انى أنا المغضب واسمى قد سبق ... أقطع الهامات فى يوم الفرق
أتاك ليث شربه من الغدق ... فى يده سيف صقيل كالشفق
قد قال من ولى وفى القول صدق ... من يركب البحر فلا يأمن الغرق

(قال الراوى) فلما سمع الامام قول المغضب علم أنه كبير القوم ورئيسهم فقال هذا والله بغيتى ومرادى اللهم سهل ساعته قال واقبل عدو الله منفردا بنفسه حتى وصل إلى باب المضيق فنظر إلى القتلى وهم مجندلون فتحقق الأمر وارتعدت أوصاله وذهل باله وطاش عقله . وقال وحق اللات والعزى لقد صدق صاحبنا فيما قال وانما ظلمناه بقتلنا اياه ، ثم انه وقف بباب المضيق وهو ذاهل العقل وقد سمعه الامام رضى الله تعالى عنه وهو يقول وحق اللات والعزى مافعل هذه الفعال أحد من الأمم السابقة ولا قدم عاد وثمود ولا العمالقة ولا يقدر على ذلك الا الغلام الذى يقال له على بن أبى طالب (قال الراوى)فلما سمع الامام مقالته تقدم اليه وهو على مهل فلما دنا منه ووصل اليه نظره عدوالله فتحير وصارلايدرى مايصنع وما قدر أن يتقدم أو يتأخر فبينماهو كذلك اذ وثب اليه الامام وهجم عليه ولوح بحسامه وقال ويل لك ولآبائك واجدادك أنا المنعوت بهذه الفعال . أنا مبدى العجائب. أنا مظهر الغرائب. أنا البحر الساكب . أنا مفرق الكتائب . أنا الليث المحارب .أنا فتى بنى غالب . أنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب .

(قال الراوى)فلما سمع عدو الله مقالة الامام علم أنه هو لامحالة فارتعدت فرائصه وذهبت قوته وأيقن بالهلاك فصرخ بأعلى صوته وقال ياقوم أدركونى قبل أن أهلك

فتهلكوا جميعا فلما سمع القوم صراخه أجابوه واسرعوا اليه فلما نظر الامام سرعة القوم هجم على عدو الله وقد أمسك جوارحه فلم يستطع أن يتحرك فوافاه الامام بضربة هاشمية علويه علــى صدره فسحت صدره وذراعيه فسقط عدو الله الى الأرض قطعتين وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلم يصل اليه أصحابه الا وهو على الأرض قطعتين يضطرب فى باب المضيق وهو يتكلم بكلام لا يفهم حتى خمد حسه وانقطع نفسه فتعجب القوم وقالوا وحق اللات والعزى مالنا بقتال الجن من طاقة فقال رجل منهم أسكتوا حتى أخاطبه فان كلمنى عرفته ايش يكون أن كان انسياً أو جنياً ثم تقدم الى ناحية فم المضيق وقال أيها الشخص المريد والأسد المكيد والليث الشديد أخبرنا بما تريد ولك عندنا الاجابة والاكرام والفضل والانعام والرخاء والرفد والزمام ولك الأمان فى كل موطن ومكان فاخبرنا بما تريد وما تطلب تكن أهل الاحسان والفضل والامتنان .

(قال الراوى) فلما سمع الامام رضى الله تعالى عنه ذلك أجابهم وقال أريد منكم كلمة النجاح والفوز والصلاح وهى أن تقولوا معى بأجمعكم : لا اله الا الله محمد رسول الله فلما سمع القوم ذلك قالوا وحق اللات والعزى ماهذا الاجنى وقال بعضهم ماهذا الا بشر مثلكم آدمى وما نرى من الرأى الا أن نكون فى مكاننا حتى يصبح الصباح فينكشف لنا هذا الأمر فلما اجتمع رأيهم على ذلك تأخروا الى ، وراثهم فى داخل المضيق فلما رأى الامام رضى الله عنه تأخرهم وما قد عزموا عليه تقدم الى عدو الله وحز رأسه ثم قام فذبح كبشاً من الغنم التى أخذها أولا وسلخه وأضرم نارا وشواه وأكل حتى اكتفى وحمد الله تعالى وقام بين يدى الله تعالى راكعا وساجداً حتى طلع الفجر فصلى صلاة الصبح ثم تحزم وأخذ سيفه وحجفته ونزل الى فم المضيق فلما طلعت الشمس نظر اليه القوم بأعينهم وهو فى فم المضيق يرمق اليهم كالذئب اذا عاين قطيع غنم . فقال بعضهم وحق اللات والعزى ماهو جنى ولو كان جنياً لغاب عند انتشار الصباح وما هو الا منفرد بنفسه يريد أن يقتلنا ونحن أربعة آلاف فارس والصواب أن نتقدم اليه عشرة (قال الراوى) فتقدم للإمام عشرة من فرسانهم وشجعانهم وأبطالهم فلما وصلوا اليه حملوا عليه فقتل منهم سبعة وبقى ثلاثة فولوا منهزمين طالبين قومهم فقال لهم جنادة بن عامر وكان قد تقــدم عليهم بعد المغضب انطلقوا اليه عشرين عشرين فأتوا اليه وافترق عليه العشرون فلم تكن الا ساعة حتى قتل منهم سبعة عشر وهزم

الباقون فجعل الإمام كلما قتل رجلا يجره برجله حتى يخرجه من المضيق ليتسع له المكان وقد تزايد صياح القوم وشاور بعضهم بعضها فأجمعوا على أن يحمل عليه مائة فارس فحملوا بأجمعهم كحملة رجل واحد ومقدمهم جنادة بن عامر فصاح على الامام ألا أخبرنا من أنت وما الذى تريد وما هذه المطاولة بيننا وبينك فقال لهم أصم أنتم لا تسمعون يا ويلكم أم عمى لا تبصرون ألم أقل لكم أنى عبد الله وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أنا مفرق الكتائب . أنا مظهر العجائب ، أنا مبدى الغرائب . أنا الليث المحارب . أنا الغيث الساكب ، أنا الحسام القاضب . أنا ليث بنى غالب . أنا على ابن أبى طالب .

(قال الراوى) فلما سمع القوم بذكره خافوا ورجفت قلوبهم وارتعدت فرائصهم وقالوا يا فتى عجبنا من أن تكون هذه الفعال لغيرك والآن فأنت صاحب هذه العجائب والغرائب فأعلمنا بما تريد ونحن معك على ما أنت عليه فقال لهم أريد منكم أن تقولوا بأجمعكم : لا إله إلا الله محمد رسول الله وأنا أنصرف عنكم راضياً وأكون لكم فى الدنيا مساعدا وفى الآخرة مستشفعاً ولمن عاداكم معادياً قال فنظر بعضهم لبعض وهموا بالاسلام ولكن خشوا جنادة بن عامر المقدم عليهم فقال جنادة أن الذى ذكرته بعيد ودونه ضرب شديد فلا نكون لك طائعين وإنما نحن لك متقدمون ثم تقدم اليه جنادة وقال لعبده كن معى معيناً على كتافه ثم جردا اسيافهما وحملا على الامام رضى الله تعالى عنه فلما قرب منه رفع الامام درقته وصدم بها صدر جنادة فأدهشته الصدمة ثم قبض على سراويله ومراق بطنه ورفعه فى الهواء ولوحه وجلد به الأرض فشبك أضلاعه بعضها ببعض والتفت إلى العبد وقد ولى هاربا فاخذ سيفه وقصده وقال الى أين يا ابن السوداء ثم بادره بضربة على أم رأسه فسقط الى الأرض قطعتين (قال الراوى) فلما نظر القوم إلى ذلك تأخروا إلى ورائهم وخافوا خوفا عظيما وقال بعضهم لبعضهم نحن نطاوله الى أن يضجر وليس معه ماء ولا زاد فاذا انصرف عنا مضينا الى حال سبيلنا فسمعهم الامام وعرف ما قد عزموا عليه . فقال لهم ياويلكم ان كنتم أملتم مطاولتى حتى أنصرف عنكم فذاك امل بعيد وعندى اغنام تقوم بى اياما كثيرة ولم يقطع الله رزقى مادمت حيا وان فرغت هذه الأغنام يرسل الله لى الطير فأرميه بالنبال فآكل لحمه واتنشق بالريح فيغنينى عن الماء وانا أظهر لكم بيان ذلك فأخذ نبلة ووضعها فى قوس ورمى بها طيراً طائراً فوقع الى الأرض طريحاً فأخذه وذبحه وأزال ريشه وشواه وأكله

فلما رأوا منه ذلك تيقنوا أن لاطاقة لهم به فألقوا أسلحتهم أجمعين واستسلموا إلى أمير المؤمنين ونادوا بأجمعهم : الأمان الأمان يا ابن أبى طالب أبق علينا وأحسن بكرمك الينا فقال لهم إن كنتم صدقتم فى قولكم فليكتف بعضكم بعضاً حتى أنظر حقيقة أمركم قال فأقبل القوم يكتف بعضهم بعضاً حتى أوثقوا أنفسهم جميعاً .

(قال الراوى) فعندذلك تقدم الامام رضى الله عنه وقال لهم اختاروا لكم واحدة من اثنتين : أما أن تقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله . وإما أن تموتوا فأسلم مع الامام من القوم ألف رجل وسبعمائة رجل أبوا عن الاسلام وقالوا القتل أحب الينا فقال الذين أسلموا نحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقالوا يا إمام لولا أن إلهك عظيم قدير لما دلك علينا ولا مكنك منا ، وأما الآن فقد رضيناه إلهنا فقال لهم الامام لا يصح عندى إسلامكم حتى تضعوا السيف فى أصحابكم الذين أبوا عن الاسلام فوضعوا السيف فيهم الى أن قتلوهم عن آخرهم فجمع الامام الأموال على بعضها وحازها وأقبل عليه القوم الذين أسلموا وقالوا له يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أجعلنا معك نعينك على أعدائك فقال لهم الامام دعونى فى شغلى وسيروا الى منازلكم وادعوا إلى من بقى منكم إلى الاسلام فقالوا له السمع والطاعة ولو أمرتنا أن نطلب الملك الهضام لما يكبر علينا فى رضا الله ورسوله ورضاك فقال لهم الامام رضى الله تعالى عنه أنا له طالب واليه قاصد وسترون من نصر الله مايسركم فقالوا له يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الغنائم ماذا تصنع بها فقال إنى سائر بها الى ماشاء الله يفعل فيها فقالوا له أفعل ماتريد فما منا من يتعرض لك فيها .

(قال الراوى) فقال لهم الامام رضى الله عنه أنى أريد منكم خمسة رجال يساعدونى على سوقها فما استتم كلامه حتى برز اليه خمسة رجال من شجعانهم وقالوا له يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن غلمانك وفى خدمتك ومهما أمرتنا به امتثلناه وتقدموا الى تلك الغنائم فساقوها بين يدى الامام رضى الله عنه وهو سائر مسرور بما فتح الله على يديه ولم يزالوا سائرين الى أن دخلوا وادى الظل الذى فيه الرعاة وكان الامام رضى الله عنه لما قتل عدو الله أخذ رأسه معه فلما أتوا الى وادى الظل تأمل الرعاة ورفعوا الامام رضى الله عنه ونظروا السائمة ومعه الخمسة رجال يسوقونها ورأس عدو الله المخضب معه فلما تأملوا ذلك فرحوا فرحا شديداً وكانت الرعاة لما أخذت مواشيهم كبرت بليتهم وعظمت رزيتهم خوفا على أنفسهم من أصحابها وايقنوا

بالقتل والحرق بالنار وقال بعضهم سيحوا بنافى الأرض واهربوا على وجوهكم وقال بعضهم كيف نهرب ونترك أهلنا وأولادنا وأوطاننا . وقال بعضهم على رسلكم حتى ننظر أمر صاحبنا ولقد رأينا منه شجاعة عظيمة وعجبا مارأيناه من سواه أما رأيتم كيف قفزوعدا النهر الينا بوثبة واحدة وقال بعضهم ياويلكم تتوهمون الأباطيل من الأمانى وتظنون أن رجلا واحداً يصل إلى أربعة آلاف فارس شجعان عوابس مامنهم إلا كل بطل مداعس ويخلص منهم السائمه ولو هموا أن يحملوه على أطراف الرماح لهان عليهم ذلك ويكفيهم صاحبهم المغضب قاتل الفرسان ومبيد الشجعان

(قال الراوى) ولم يزل القوم وهم متقلقون إلى أن ذهب النهار وأقبل الليل ، فلما كان نصف الليل أجمع القوم الرعاة أمرهم أن يسيحوا فى الأرض ، فبينماهم كذلك إذ هتف بهم هاتف . وهو ينشدو يقول :

لاح طريق الحق للطالب	وليس من يصدق كالكاذب
قد بعث الله نبى الهدى	خير رسول من بنى غالب
يا أيها القوم ألا فاصبروا	لاتفزعوا كالخائف الهارب
وبشروا النفس باسعادها	وليبلغ الحاضر الى الغائب
أن الفتى الفازع من عندكم	ذاك على بن أبى طالب
فاستقبلوه قد أتى مسرعا	بكل ماتبتغوا من الذاهب
وأتبعوه وأظهروا حبه	فحبه فرض من الواجب
وصل يا رب على أحمد	وعلى على بن أبى طالب

(قال الراوى) فلما سمع القوم ذلك من الهاتف أقشعرت جلودهم وخشعت قلوبهم وكانوا فى رقدة فانتبهوا وقالوا عجباً أن تكون هذه الفعال إلا لعلى بن عمم النبى صلى الله عليه وسلم ولقد صدق الهاتف فيما قاله ولقد أحسن ابن أبى طالب الينا إذلم يسفك دماءنا ولم يقتلنا عن آخرنا ولم يرجع وأنتم إذا لم تشاهدوه فى الحرب فقد شاهدتم أخباره ألم يسمعوا أنه مفرق الجيوش وقابض النفوس وجاز الرءوس ونقمة العرب وكاشف الكرب الليث الضارب ممزق الكتائب ومظهر العجائب ومبدى الغرائب الحسام القاضب مفرق المواكب البحر الساكب ليث بنى غالب أمير المؤمنين على ابن أبى طالب ، (قال الراوى) . فعند ذلك حط الرعاة رحالهم وجلسوا تحت الفلق وأداموا الأرق بقية لياتهم إلى أن برق ضياء الفجر وطلعت الشمس على رءوس

الجبال فبينما هم كذلك بين الرجاء والأمان إذ طلع من بطن الوادى طالع فتأملوه فاذا هو أمير المؤمنين على بن طالب والغنائم بين يديه والخمسة رجال يسوقونها معه وقد خلصها من أيدى أعدائهم فلما رأى القوم ذلك بهتوا ودهشوا وما قدروا أن يخاطبوه فى أمر السائقة وقال بعضهم السائقة له لأنه ماخلصها من المغضب وقومه إلا بعد قتال شديد وصاروا يتشاورون فى هذا ومثله إلى أن قرب منهم الإمام رضى الله عنه فلما وصل إليهم قال رجل من رجالهم يقال له جنبل بن وكيع وقال أنا أسأله لكم لأن اللسان يقصر عن وصف هـذا الإنسان الجليل المقدار العظيم الافتخار وقد قابلنا فى بدء أمره بالـكرم والتفضـل ولولا أنه أرادنا ما كان نزل عندنا ولو كرهنا لقتلنا عن آخرنا وأخذ سلبنا وجميع مواسينا ولـكن لا بد أن أخاطبه وأجاوبه مجاوبة القاصد للمقصود فاذا خاطبنى لا يخفى على ما عنده فقالوا له افعل مابدا لك وما تريد

(قال الراوى) فتقدم جنبل بن وكيع إلى الإمام رضى الله عنه ورحب به وقال له يا فتى الفتيان وأشجع الشجعان ويا أكرم الـكرماء ويا أفضل الفضلاء ويا فارس الفرسان ويا ابن الطيبين الحسان لقد شرفت بك قبائلك وعزت بك عشائرك فلك العز والافتخار ولك الشـجاعة فى سائر الأقطار إن الذى بين يديك من الغنيمة هو لك وأنت أحق به من غيرك لأننا يامولانا تحت الرجاء لـكرمك متطاولون ولإحسانك منتظرون إن مننت فلك ما أحسـنت وإن فعلت غير ذلك فيحق لك ما فعلت إن أهلـكت وعذبت لأننا يامولانا لم نقم بشىء من واجبك ولم تكن لنا معرفة بك ولا بصاحبك حتى عرفنا باسمك هاتف بالأمس وزجرنا زجرا شديدا وأخبرنا بك وباسمك وأعلمنا بأنك البطل الصبور والأسد الجسور والوحش الـكسور والشجاع المذكور زوج البتول وابن عم الرسول وسيف الله المسلول ممزق الـكتائب ومظهر العجائب ومبدى الغرائب الحسام القاضب والبحر الساكب مفرق المواكب الاسد الطالب والصنديد المحارب المذكور فى المشارق والمغارب ليث بنى غالب أمير المؤمنين على بن أبى طالب ثم إن جنبل بن وكيع أنشد وجعل يقول :

أنت الذى بفعالك يضرب المثل	ومن قتالك يخشى السهل والجبل
أنت المبيد أسودا مع فوارسها	فى يوم بدر وقد غرت بهم هبل
أنت المنكس رأس القوم من فزع	بذى الفقار ونار الحرب تشتعل
من سالموك ففى عيش وفى رغد	ومن يعاديك مقضى دونه الأمل

لا شك أنك للآجال قاطعها ... وحد سيفك محوق به الأجل
فان عفوت فأهل العفو أنت وان ... أهلكت أهلكت ياضرغام يا بطل
الحق لاح لنا لما حللت بنا ... وفى يديك رجاء الخوف والأمل
الحلم شأنك فيما أنت طالبــه ... وليس من طبعك الاحماق والعجل

(قال الراوى) فلما سمع الامام كلام جنبل بن وكيع تبسم الامام ضاحكا من قوله لأنه كان فصيح اللسان وقال له ياويحك من دلك على اسمى وعرفك بشأنى فأعلمه جنبل قول الهاتف وما كان من أمره فعند ذلك نظر الامام اليهم فرأى أحوالهم قد مالت الى الاصفرار وتغيرت ألوانهم وارتعدت فرائصهم وخفقت قلوبهم من شدة ماأصابهم من الخوف والفزع من هيبة الامام رضى الله تعالى عنه فلما رأى الامام كرم الله وجهه منهم ذلك قال لهم أبشروا يا قوم بما يسركم فنحن باب السلامة ولنا الشفاعة فى الناس يوم القيامة دونكم وسائقتكم وليأخذ كل منكم ما كان يرعاه لسيده وارجعوا الى مكانكم على جرى عادتكم.

(قال الراوى) فعند ذلك ردت ألوانهم الى الاحمرار واستبشرت أرواحهم بالسلامة وطاشت عقولهم من الفرح والسرور ونهض كل واحد وأخذ ما كان يرعاه لسيده ثم أقبلوا على نحو الامام كرم الله وجهه وقالوا ياسيدنا ألا تستعين بنا على أمورك وتستنهضنا فى حوائجك لنجازيك على بعض إحسانك وإنا كنا لا ندرك مداركك ولا نبلغ مبالغك فعرفنا يامولانا الى أين تريد والى من تكيد فقال لهم الامام يا قوم انى أريد صاحبكم الملك الهضام بن الجحاف وصنمه المنيع الذى فتن به العباد فنظر القوم عند ذلك بعضهم لبعض وقالوا يا فتى من كانت هذه الفعال فعاله ما يبعد عليه ما يطلبه ولكن صاحبنا الهضام فى جمع عظيم وعسكر جسيم ألوف لا تعد وعسكر لا تحد وحصون مانعة وسيوف قاطعة فدبر ذلك بحسن رأيك وجميل صنعك وها نحن معك وبين يديك فيما تريد ان استعنت بنا أعناك وبذلنا أنفسنا فى رضاك لما أوليتنا من الاحسان والتكريم والجميل والقديم الذى بدأتنا به.

(قال الراوى) فتبسم الامام على رضى الله عنه ضاحكا من قولهم وقال انى لا أستعين إلا بالله وبالمؤمنين قالوا له يامولانا نفديك بالآباء والامهات أخبرنا ما هى كلمة الايمان قال هى كلمة خفيفة على اللسان ثقيلة فى الميزان وهى أن تقولوا معى بأجمعكم : لا إله الا الله محمد رسول الله قال جنبل بن وكيع أما أنا فأقولها غير متأخر عنها لما قد

ظهر لى من الآيات والبراهين لولا أن لك إلها واحدا عظيما وهو على كل شىء قدير ما وصلت إلى ماوصلت ولا فعلت ما فعلت وأنا يامولانا أشهد أن لااله الا الله وأن ابن عمك محمد رسول الله فلما نظر أصحابه الى اسلامه أسلموا جميعا وحسن اسلامهم وكانوا واحدا وأربعين رجلا رعاة ففرح الامام رضى الله عنه بهم وباسلامهم وقال لهم يا قوم لا يصح اسلامكم الا بكشف قناع الحق وركوب حجة الصدق وبذل السيف فى اصحابكم واخوانكم وقراباتكم فقالوا والله يا سيدنا لو أمرتنا أن نقتل آباءنا وأولادنا فى رضا الله ورسوله ورضاك لفعلنا ذلك (قال الراوى) فشكرهم الامام على ذلك ودعا لهم . وقال يا قوم هل عند أهل الحصن علم بأخذ سائمتكم قالوا نعم وقد سبق الخبر من حصن الى حصن حتى انتهى الى الهضام فأرسل لنا هجانين وأوعدنا بالعذاب وبعده القتل وقد اغتاظ غيظا عظيما ومع ذلك فهو من بقية التبابعة ومن نسل العمالقة . ، وان الملك المنتقم من جماعته وأن له جثة عظيمة لم تحمله الا الخيل العتاق وقد جعله فى أول حصن من الحصون لأن الملك الهضام يخاف من مكره وقوة بأسه فلذلك أبعده وجعله فى أول حصن

(قال الراوى) فلما سمع الامام منهم ذلك الكلام تبسم ضاحكا وقال لهم اذا أرجعتم سائمتكم هذه الى حصنكم فلا تكشفوا له عن خبرى ولا عن اسمى ولا عن شىء فعسى أن يخرج الى وأن يقضى الله ماهو قاض فقال جنبل ياسيدى ان خرج خرج معه قومه وأصحابه وجميع عشائره وهم فرسان فى القتال وأبطال فى النزال ونخاف أن يحول بينك وبينه حائل فتلومنا على ذلك فقال لهم الامام ان الله هو الفعال لما يريد — فاذا أراد شيئا فانما يقول له كن فيكون — ثم أقام القوم بقية يومهم الى أن دخل المساء فرجعوا بالسائمة الى حصنهم (قال الراوى) حدثنا أشياخنا وأسلافنا بهذا الحديث وهو أن الرعاة لما توجهوا بالسائمة الى الحصن وكان أهلهم قد قطعوا الرجاء من مواشيهم فلما رأوا الرعاة قد أتوا بالسائمة الى حصنهم تباشروا ووقع الصياح فى جميع جهات الحصن بأن السائمة رجعت فجاء القوم ولم يعلموا ما كان من السبب فى ذلك فلما سمع القوم والمنتقم بذلك الخبر وكان المنتقم فى هذا الوقت متكئا فاستوى جالسا وقال ياويلكم ماهذا الأمر العجيب من رد السائمة بعد أخذها وملكها فى يد الأعداء كيف يكون هذا الأمر العجب فقالوا له انه بلغنا عن الرعاة أنه لما أغار عليهم المغضب وأخذ المال وساقه ومضى به كان عندهم رجل غريب عابر سبيل فما زال

فى أثر القوم حتى دخلوا الى المضيق فسد عليهم باب المضيق وما زال يقتل منهم واحد بعد واحد حتى خرج اليه المغضب بنفسه فقتله وحز رأسه وجاء بها معه وأتى بالمال العظيم وقتل منهم خلقا كثيرا وأتى بسائمتنا سالمة ودفعها الى الرعاة بأجمعهم (قال الراوى) فلما سمع المنتقم هذا الكلام قهقه بالضحك حتى كاد أن يقع على قفاه وقال كذبوا وحق اللات والعزى وحق الا له المنيع ولا أظن الا أنهم هموا بأخذ السائمة لأنفسهم فسد عليهم الطريق الاله المنيع فلم يجدوا لهم منفذا ينفذون منه فرجعوا الينا بهذه الحيلة ثم أمر باحضار الرعاة فأحضروهم بين يديه وقال لهم ياشر جيل وأخبث قبيل أردتم أخذ السائمة لأنفسكم وضربتم علينا الحيلة وحق المنيع ان لم تخبرونى وتصدقونى والا قتلتكم عن آخركم (قال الراوى) فعند ذلك نظر بعضهم الى بعض وتطولوا الى جنبل بن وكيع لأنه كان سريع الجواب فصيح اللسان فقال اعلم أيها السيد العظيم أن من انقطعت أنامله سرى الألم فى جسده جميعه ومن حاد عن طريق الحق وقع فى المضيق وما كنا نخرج من بلادنا ونترك أولادنا والهنا المنيع الذى يحفظنا واذا سألناه أعطانا وأكرمنا ونترك ماصفا من العيش ونتعرض للمنيع فيرمينا فى المهالك والدواهى ويحرقنا بناره وليعلم الهنا المنيع حقيقة أمرنا والخافى من سرنا فلا تكذبنا أيها السيد فى قولنا فان الذى طرقنا هو من عطفات المغضب الذى كان يطرقكم فى كل عام فلا بقيتم ترون له غرة أبدا ما دام الجديدان وبقى الزمان فقد قتل وقتل معه خلق كثير من قومه فقال ويلكم ومن فعل بهم هذه الفعال ومن ذا الذى قدر عليهم قال فعل بهم ذلك رجل غريب من العرب كان قد نزل بنا فى ذلك اليوم وأنا أصفه لك حتى كأنك تراه هو غلام بطين يصطاد الطير على رجليه وتجلس الوحوش حواليه للبائرة وحسن منظره ومنطقه بالصواب كأنه البرق اذا سعى ويقلع الشجرة الراسخة الأزلية بيده من شدة قوته

(قال الراوى) فلما سمع المنتقم وصف جنبل بن وكيع عظم ذلك عليه لما وصفه من شجاعة الامام رضى الله تعالى عنه ثم قال المنتقم وحق المنيع لقد أرغبت قلبى بوصفك لهذا الغلام وان كان كما ذكرت فما أظن الا أنه من جند المنيع أرسله الى المغضب قال جنبل هذا الرجل لا يركن الى المنيع ولا جنده وكانت هذه الكلمة من جنبل خطأ عظيما فلما سمع المنتقم ذلك فار من شدة الغضب فلما رآه جنبل قد زاد غيظه قال له أيها السيد العظيم ان هذا الرجل يخلطه جنون وهيمان وما هرب منه

القوم الا من جنته فلما سمع المنتقم هذا الكلام سكن غيظه وما زال به حتى قال له ويحك ياجنبل وأين يكون هذا الغلام قال هاهو قريب من بلادنا ولم يرد شيئا من طعامنا وهو تحت الانتظار اليكم .

(قال الراوى) فلما سمع المنتقم صرخ فى قومه وعشيرته فاجتمع اليه القوم وحضروا بين يديه فقال ياقوم ان هذا الرجل الذى رد سائمتكم وقتل عدوكم قد انتهى من خبره مالم يسمع بمثله فا مضوا بنا اليه لننظر ما هو عليه ونجازيه على فعله الجميل وعلى ابتدائه الينا بالكرم والتفضل . فقالوا السمع والطاعه أيها السيد نحن لكلامك مطيعون ولأمرك مسرعون ثم تواعدوا بالخروج اليه فى غداة غد وكانت تلك الليلة التى قدم فيها الرعاة من عند أمير المؤمنين فلما برق ضياء الفجر وفتح باب الحصن خرجت الرجال وبرزت الأبطال فلما تكامل القوم خرج خلفهم المنتقم وهو مشتهر بلاس الأحمر والاصفر متوشح ببردة يمانية فركب جوادا من عتاق الخيل المجردة المزينة وقد لبس من أفخر ماعنده من لامة حربه وخرج من حصنه بجميع قومه ولم يترك فى المحصن غير الصبيان والنساء ومن لايقدر على الحرب من الشيوخ وسار المنتقم امام قومه وهو يرتجز وينشد هده الأبيات :

ان الشجاعة لم تزل محبوبه	مالم تكن فى أبله أو جاهل
لبس الهجوم على الرجال بغرة	يدعى شجاعا مهلكا بمحافل
بطل شجاع نازل بفنائنا	أو فى العداة بنائل او نازل
سيروا بنا نلقى العلام بجمعنا	لنراه حقا مثل قول القائل
ان كان مغضب فد دهى بحسامه	ورمى فوارسهم بسهم قاتل
وحوى الغنيمة مفردا وأتى بها	فعاله أفعال قرم بازل

(قال الراوى) فعند ما نظر جنبل الى ماعزم القوم قال لقومه ياقوم إنى أريد ان اسبق قبل القوم الى الامام رضى الله تعالى عنه فاخبره بذلك ليكون شرحى مع شرحكم حتى اعود اليكم فانى اخشى على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدهموه بغتة فيقع الاثم بنا من الله تبارك وتعالى ويغضب علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال القوم ياجنبل : انما انت سيدنا وعمدتنا سر الى أمير المؤمنين واعلمه بذلك وعد الينا سريعا فلو لا خوفنا من سؤالنا وسؤالك واتهامنا بأننا توصينا لكشفنا القناع ولبسطنا الباع ولكن لانستطيع الآن نكون فى حالنا إلى ان يفعل الله ما يشاء ويختار .

وسيأتى الفرج من عند الله تعالى .

(قال الراوى) ثم سار جنبل وقد حاد عن الطريق وأخفى أمره وسار فى بعض الشعاب إلى ان وصل إلى الامام فسلم عليه فرد عليه السلام وقال له ماوراءك يا جنبل؟ فقال ياسيدى حفظك الله وأنعم عليك انظر إلى أمامك فقد أباك المنتقم بجميع قومه حتى العبيد ولم يترك فى الحصن سوى النساء والأطفال والشيوخ الذين لا يقدرون على الحروب فقال الامام إنه غنيمتى ورب الكعبة ولكنه قد عظم عليك ما رأيت من الجيوش وقد كانت سدت الطرق وأظلم لها الأفق يا جنبل والذى بعث ابن عمى رسولا وبالحق بشيرا ونذيرا لو خرج إلى ملككم بجميع جيوشه لكنت ألقاه بمفردى وحدى ولو كان معه مائة ألف سابق فقال جنبل ياسيدى إن الهضام إذا ركب ركب معه خمسمائه ألف عنان سوابق فى النزال من قومه خاصه غير ما يتبعهم من الرقيق والغلمان والعبيد فكيف تلقاه ومعه هذا الجمع كله فقال له الامام رضى الله عنه والذى بعث ابن عمى بالحق بشيرا ونذيرا إنه إذا برز الى الهضام أتلقاه وحدى ولو يكون معه جميع من فى الأرض من الطول والعرض فان ثقتى بربى عز وجل فقل ما عندك وأوجز .

(قال الراوى) فقال جنبل ياسيدى ان المنتقم لم يترك فى الحصن رجلا يرجى ولا قليلا يخشى بل خرج بهم اليك والمنتقم يعد بمثلهم فانظر ماذا ترى وما تأمرنى به وأصحابى فانا لكلامك سامعون ولأمرك طائعون وفى خدمتك مجتهدون وفى رضا الله ورسوله ورضاك راضون فلما سمع الامام منه ذلك جازاه خيرا ودعا له وقال له يا جنبل لو علمت أن لكم قوة على القتال أو منعة فى النزال أو صبرا على الأهوال لأمرتكم بأمر يكون فيه مسرتكم ونعتق به من الرق رقابكم وتمحى به سيآتكم وترفع درجاتكم وتضاعف حسناتكم ، قال جنبل امرنا بما شئت أنا وأصحابى فلو أمرتنا أن نجرد اسيافنا ونقاتل من لقيناه من أصحابنا وإخواننا وأولادنا وأهلنا وأقاربنا ونضرب يمينا وشمالا ولو قتلنا عن آخرنا أطعناك فيما تأمرنا به وبادرنا الى رضاك ورضى الله ورسوله .

(قال الروى) فلما سمع الامام ذلك جازاه خيرا ثم قال له بل الذى آمركم به أيسر مما ذكرت وأقرب مما اليه أشرت فقال جنبل ما الذى تأمرنا به فقال الامام رضى الله عنه يا جنبل خذ أصحابك الذين أسلموا معك وادخلوا الحصن واغلقوا الأبواب واوثقوها من داخل ولا تدعوا احدا يدخل عليكم وانكروا واخفوا حالكم واتركونى انا وهذا الجيش وما النصر الا من عند

الله العزيز الحكيم . ينصر الله من يشاء . وهو على كل شيء قدير - فلما سمع جنبل ذلك من الامام التجم عن الخطاب ولم يرد الجواب فقال ياسيدي نخاف من القوم أن يعطفوا الينا ونخاف أن يسمع بذلك الملك الهضام فيأتينا بجيوشه فقال له الامام ياجنبل ان لك نفسا وأجلا مقسوما ووقتا محتوما - فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون - واعلم ياجنبل أنك إذا تحصنت فى لجج البحار وهمت على وجهك فى القفار ثم أتاك الأجل لفرغت الحيل وانقطع الأمل ثم تلا قوله تعالى - وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور (قال الراوى) فلما سمع جنبل قول الامام رضى الله تعالى عنه قال ان كان الأمر كما ذكرتم فوالله لأمتثلن لما أمرتني به ولآمرن أصحابي بذلك ولأحدثنهم بما ذكرت فان أجابوا والا مضيت وحدي وقفلت الحصن واوثقته وأوثقت جميع من فيه وطلعت على أعلى السور وأقاتل قتالا شديدا ولو قتلت فى رضاك ورضا الله ورسوله ويبلغك الله مأمولك ويعطيك سؤلك فلما سمع الامام ذلك فرح بقوله وقال جزاك الله خيرا سرو لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقال حبا وكرامة لله ولك يا ابن عم رسول الله ثم انه ودع الامام وقبل يديه وقال ياسيدي ان حدث على حادث فاقرىء محمدا منى السلام .

(قال الراوى) ثم خلاه وانصرف من حيث جاء وقصد الى أصحابه فأخذهم ومضى الى الحصن فسأله أصحابه عن خبر الامام فقال لهم يا قوم انه رجل شجاع لا يخاف من صغير ولا كبير ولا قليل ولا كثير ثم انه أخبرهم بما كان بينه وبين الامام من دخولهم الحصن وغلقه وايثاقه فلما سمع القوم بذلك حاروا ودهشوا وقالوا لا سبيل لنا ولا قدرة لنا على ذلك . فقال ياقوم أيهم أفرس ؟ المغضب وقومه أم صاحبكم المنتقم فقالوا له المغضب أفرس فقال أيهم أكثر جمعا فقالوا المغضب أكثر جمعا فقال جنبل رجل يلتقى المغضب ومعه أربعة آلاف فارس وكلها ليوث عوابس أيفكر فى صاحبكم المنتقم ومعه ألف فارس وقد أخبرني وقال لى انه اذا خرج الى الملك الهضام بجميع من تحت يده من الفرسان لأبرز اليه وحدى واتاقاه بمفردي ولو كان معه جميع من فى الأرض من الطول والعرض .

(قال الراوى) ثم قال جنبل ان كنتم آمنتم بالله ورسوله واتبعتم وليه فأطيعوه واسمعوا قوله وبادروا الى امره ولا تبالوا من الموت اذا نزل بكم فى رضاه فان لكم وان نصركم الله ووصلتم الى ذلك ملكتم اموال ساداتكم وسكنتم مساكنهم وعتقت رقابكم من الرق كما قال الامام رضى الله عنه . فلما سمعوا ذلك

فباشروا بما بشرهم به جنبل من قول الامام من الخلود فى جنات النعيم وهانت عليهم أرواحهم فى مرضات ربهم وقالوا يا جنبل ما الذى تريد أن نصنع فقال جنبل ادخلوا الحصن على بركة الله ورسوله وأغلقوا بابه وأوثقوه وتحصنوا فيه ولو دهمكم الملك الهضام بجيوشه وعساكره ماوصل إليكم لأنه حصن منيع كثير الطعام والماء فان طال بكم الحصار لم تبالوا منه وإن حدث فى هذا الغلام حادث فان ابن عمه محمدا ﷺ لا يتركهم وهو الذى يأتيهم بجميع جيشه ويطالبهم بدمه وإن حاصروكم فهو الذى يخلصكم ويأخذ منهم ثار ابن عمه (قال الراوى) فلما سمعوا مقالة جنبل وثبوا اليه وقالوا له أنت علينا مشير فسربنا إلى ما تحب وتختار لأننا تركنا الحياة وأن الله تعالى على كل شيء قدير إن أماتنا فرضوان وإن أحيانا فرضوان ثم إن جنبلا أخذهم وتقدم بهم إلى الحصن ، وأنشد وجعل يقول :

الموت حق ليس فيه من مفر	حقا على كل الأنام والبشر
قد حصحص الحق وقد بان الخبر	أيعدنا الله جميعا عن سقر
بفارس الميمون من نسل مضر	ذاك على المرتضى ابن الخير
صهر النبى المصطفى خير البشر	له اسمعوا فغدا تفوزوا بالنظر
ثم اضربوا بالسيف ضربا مفتخر	حقا فان الله يجزى من شكر
فهو الشفيع للعصاة من سقر	يوم تكون الناس فى الحشر زمر
فهو النبى الهاشمى المفتخر	صلوا عليه يا جميع من حضر

(قال الراوى) فلما وصلوا إلى باب الحصن وجدوا عليه جمعا كثيرا من النساء ينظرون أزواجهن وأولادهن وملكهم المنتقم فلما وصل جنبل وأصحابه اليهم جعلوا يفسحونهم عن الباب لداخل الحصن فاستحت النساء من ذلك وقالت يا ويلكم من عبيد ما أقل أدبكم وما الذى نزل بكم حتى تفعلوا ذلك فقالوا لهن يا ويلكن ألم تعلمن أن هذا الغلام الذى نزل بكن ودهمكن فى أزواجكن وأولادكن هو العذاب الواقع والسم الناقع والبطل الصبور والأسد الجسور والوحش الكسور والشجاع المذكور وزوج البتول وابن عم الرسول وسيف الله المسلول ممزق الكتائب ومظهر العجائب وليث بنى غالب المذكور عند المطامع والمواهب هازم الجيوش ومفرق المواكب الأسد الطالب القرم الغالب الصنديد المحارب المذكور فى المشارق والمغارب أمير المؤمنين على بن أبى طالب قد أتى اليكم بجيش وقد كمنوا فى الشعاب وقد نزل الى

سيدكم المنتقم بجيشه وقد أمرنا بحفظ الحصن وما فيه والحماية عنه فمن كان عندها سلاح فلتأتنا به وأجمعوا لنا الجندل والأحجار (قال الراوى) فلما سمع النساء بذلك بادرن إلى أماكنهن وأتين بجميع الأسلحة التى هى مدخرة عندهن ولم تترك واحدة منهن عندها شيئا إلا أتت به فلما احتوى جنبل هو وأصحابه على السلاح أمر النساء والصبيان بان يجمعوا لهم الأحجار والجنادل وأن يضعوها حول السور وبقى النساء والصبيان والشيوخ فى أسفل الحصن ثم أقبل جنبل على أصحابه وقال ياقوم إنى أخاف أن يضرب الشيوخ علينا الحيلة ويمكروا بنا فقال أصحابه وما الذى ترى من الرأى قال الرأى عندى أن تمضوا اليهم وتقتلوهم فلا حاجة لنا بهم . (قال الراوى) فمضى العبيد وقتلوا الشيوخ عن آخرهم قال فلما رأت النساء ذلك تصارخن فقال جنبل لأصحابه أوثقوهن كتافا واطرحوهن فى بعض زوايا الحصن ففعلوا ما أمرهم ورجعوا إلى جنبل وقد ملكوا الحصن بما فيه وأمنوا على ذلك ولم يبق فى الحصن من يغلب عليهم فاطمأنوا وطابت خواطرهم ووقفوا على أعلى السور وأشهروا سيوفهم ونصبوا الأعلام وفرقهم جنبل فى جوانب الحصن وأمرهم بحفظه وقال لهم ياقوم أنكم كشفتم الغطاء وفعلتم فعلا لا ينساه رب السماء ولا محمد المصطفى ولا أميركم على المرتضى فقالوا نرجوا من الله الجزاء فوقف القوم ينظرون ما يكون من أمر الامام على رضى الله عنه فهذا ما كان من أمر جنبل وقومه .

(قال الراوى) وأما ما كان من خبر عدو الله المنتقم فانه لما سار بقومه حتى أشرفت على أمير المؤمنين رضى الله تعالى عنه لم يكبر عليه عظم كثرتهم بل أنه رضى الله تعالى عنه أظهر لهم ميله إلى الحرب وكان على شاطىء النهر مما يلى حصنهم وديارهم فوثب قبل وصولهم اليه وثبة عبر بها الى الجانب الآخر وأقبل الى الجسر وتأمله فاذا هو من الخشب مركب على أعمدة فضرب بيده على ما يليه من الأخشاب فقلعها من موضعها وأزالها من مكانها وكان عليه كثير من التراب فانهال جميع ذلك فى النهر وذهب به الماء وانقطع الجسر وعاد الإمام مكانه وصار متكئا على حجفته غير مكترث ولم يزل الامام رضى الله عنه جالسا مكانه إذ أشرف عليه القوم وما زالوا سائرين الى أن وصلوا اليه فنظروا الى النهر فرأوه وقد قطعه الامام وحده فعظم عليهم ذلك وتعجبوا منه وقالوا وحق زجرات المنيح ما يفعل هذا رجل واحد ثم أنشد المنتقم يقول:

يا أيها الرجل الجليل فعاله نعم المبارك قد فعلت صنيعا
لك عندنا مال واحمال جزا أنى لأمرك فى الأمور مطيعا

(قال الراوى) فلما سمعه الامام رضى الله تعالى عنه فار بالغضب وتميز من الغيظ وعلم أنه قائد الجيش فاستوى قائما وبسط له لسانا طلقا كريما وقال أما قولك المروع من الأعداء فانى أعرف ان مولاى ينصرنى عليكم ويوصلنى بقوته اليكم وأما قولك قد أحسنا اليكم فان الاحسان لا يكون إلا لصاحب الاحسان وهو الذى يعلم ما يكون وما قد كان وأما خروجكم للقائى بواجب الاحسان والاكرام لجملة ماهو من الاكرام كلمة خفيفة على اللسان لا مكرمة الطعام ولا الشراب ، وأما سيدكم الأعظم فهو الذى يعلم بحالى وما أنا عليه من أفعالى عليه توكلت وعليه اعتمادى ومنه ارجو العنايه فيما املت . فقال المنتقم ياغلام ان فى كلامك تخليطا وفى خطابك تفريطا فالملك الذى أتممت ذكره ورفعت قدره وذكرت أنه يبلغك مرادك وينصرك على أعدائك اين هو وأين يكون مكانه فقال له الامام هو لا تحققه الخواطر ولا تشاهده النواظر وهو فى كل الأماكن حاضر فقال المنتقم ياغلام انك ذكرت أنك الى إلهنا قاصد وطالب وفى لقائه راغب وما أرى إلا أن بك هيمانا يعارضك فى كل حين وزمان . قال الامام أعوذ برب البيت ذى الأركان من أن يداخلنى جنى أو يعارضنى شيطان وأما تحصنى فى هذا البر الذى أنا فيه فلأمر لو سألتك عنه لشكرتنى عليه واجبتنى فقل لى ما الذى أضمرته من الفعال ليكون ذلك لى على بال فقال المنتقم ياغلام اضمرنا لك من التحف والاكرام قتلك وقتل هؤلاء اللئام فهم أعداء الناس وأعداء الملك الهضام والاله المنيع

(قال الراوى) فلما سمع الامام رضى الله عنه ذلك فار بالغضب ووثب وثبة الأسد وتجرد من اطماره ثم جرد سيفه وأخذ حجفته وعدو الله باهت لا يدرى ما هو عازم عليه ثم تقدم الامام الى شاطئ النهر بوثبة واحدة واجتمع وانفرد من الأرض فعدا النهر بوثبته وهجم على عدو الله وقال له أنت عدوى وأنا عدوك وأنت طلبى وأنا طلبك يا ويلك أفق من رقدتك وانتبه من غفلتك انا العذاب الواقع أنا السم الناقع أنا البطل الصبور أنا الأسد الزءور والوحش الجسور والشجاع المذكور والبطل المشهور وزوج البتول وابن عم الرسول وسيف الله المسلول ممزق الكتائب ومظهر العجائب ومبدى الغرائب أنا البحر الساكت المذكور عند المطامع والمواهب هازم الجيوش العقارب ليث بنى غالب أمير المؤمنين على بن أبى طالب

(قال الراوى) فال الفرسان من كل جانب ومكان ولما سمع المنتقم مقالته وعلم أنه على بن أبي طالب ارتعدت فرائصه وصرخ بصوت قوى وقال لقومه يا ويلكم ادركونى من قبل أن تفقدونى من بينكم فهذا الغلام الذى خرجت بكم اليه وقدمت بكم عليه هو على بن أبى طالب فالت الفرسان ووثب اليه الامام رضى الله عنه وضربه ضربة بسيفه عرضا فأرمى عدو الله بسيفه إلى الأرض ونادى يا ابن أبى طالب ليس العجلة من شأنك فرد الامام السيف عنه وقال ياعدو الله وعدو نفسك قل ماأنت قائله فعند ذلك حمل عليه القوم حملة واحدة قوية وهجموا بكثرتهم ودهموه بجمعهم ثم قام عدو الله وحمل على الامام وقد قوى عليه قلبه وشد عزمه بانجاد قومه له وقال يا ابن أبى طالب هذا ما جنيته بنفسك وإنك لم ترد سائمتنا إكراما منك إلينا بل أردت الخديعة والدخول إلى حصننا والذى أملته بعيد والوصول إليه صعب شديد ياابن أبى طالب ياعدو المنيع وعدو الآلهة العظام فما بقى محمد بن عمك ينظر الى طلعتك ويتمتع بغرتك فان الحياة عادت حراما عليك بعد هذا اليوم فقال الامام رضى الله عنه كذبت يا ملعون ولا أزول عنكم حتى أذيقكم كاس الموت والحمام وأقطع آثاركم بحد الحسام فأنا الأسد الضرغام والبطل المقدام ممزق الكتائب ومظهر العجائب ليث بنى غالب على بن أبى طالب .

(قال الراوى) فلما سمع المنتقم ذلك فار من الغيظ وقال لقومه احملوا عليه بكثرتكم واهجموا عليه بكليتكم ثم صرخ جديعة بن كثير وكان غلاما كثير الجسارة وفارساً مشهوراً فحمل عليه الامام فلم يمهله الامام حتى ضربه عرضاً فرمى رأسه مع رقبته مع قطعة من صدره فوقع إلى النهر فعند ذلك كبر الامام رضى الله عنه وقال يا عدو الله هكذا يفعل زوج البتول وابن عم الرسول . فلما فعل بجديعة ذلك نظروا فهالهم ذلك وأدهشهم وامتلأ عدو الله غيظا وقال لقومه يا ويلكم احملوا عليه بجمعكم وكلوه أكلا وازجروه زجراً ولو أن كل واحد منكم ردمه بكف تراب لردمتموه وهذا عار عليكم أن يكون مثل هذا الغلام يغوص فى وسطكم ويهدم جمعكم ويقتل أبطالكم ولا تقدروا عليه ولا تأتوا فيه بشىء فاحملوا عليه حملة واحدة بأجمعكم وأنا فى أولكم ثم حمل عدو الله على الامام وجمع قومه فى أثره وهو كالبعير الهائج وهو ينادى : أنا الأسد الضرغام أنا البطل القمقام ثم حمل هو وقومه على الامام حملة منكرة والامام قد التجأ إلى النهر وجعله من ورائه وعاد كل من وصل اليه من القوم أن ضربه طولا أفناه وإن

ضربه عرضا أفناه وتارة يأخذ بمجامع أطواق الفارس وحزام سراويله ويضرب به الآخر فيقتلهما جميعا وكلما قتل رجلا جره برجله ورماه فى النهر ولم يكن غير قليل حتى جندل نحوا من خمسين رجلا ورماهم فى النهر .

(قال الراوى) فلما نظر القوم ذلك حاروا ودهشوا من فعاله وهابوا أن يتقدموا إليه وتأخروا إلى ورائهم وخمدت قوتهم فلما انظر المنتقم إلى ذلك قال يا ويلكم وحق المنيع لئن بلغ الملك الهضام ذلك عنكم لرماكم فى نار المنيع ما هذا الجزع والخوف من فارس واحد وإن كان مشهورا فى الأقطار عظيم الذكر والافتخار فأنتم أسد البر فارموا ابن أبى طالب فى المهالك وضيقوا عليه المهامه والمسالك وتقربوا إلى ملككم وإلى إلهكم بأخذ رأسه اليه ووضعها بين يديه فتستوجبوا من الملك الاكرام وتتنعموا فى الجنات مع الحور الحسان ثم صرخ المنتقم بأعلى صوته وحمل على الامام وحملت معه أصحابه وتراجعوا للحرب واشتد الكرب وحمى الوطيس وصرخ بينهم اللعين ابليس وتلهبت الجواهر وبلغت القلوب الحناجر وكثر القلق واحمر الحدق وألجمهم العرق وثبتت الشجعان وفر الجبان وهم ينادون الى أين يا ابن أبى طالب لنذيقك اليوم المعاطب وظنوا أنهم قادرون على الامام .

(قال الراوى) فصرخ عليهم الامام صرخة الغيظ المشهورة فى القبائل ثم حمل فيهم وصاح الى أين يا أولاد اللئام وحق رب الكعبة لا أزول عنكم حتى أبدد شملكم وأفرق جمعكم وأخرب دياركم ثم حمل عليهم رضى الله عنه ووضع درقته فى صدر القوم فقلب بعضهم على بعض ثم عطف بسيفه على من تكردس اليه فصار كل من ضربه قطع رأســـه وكان عـدو الله المنتقم يريد الفرار فتأخر القوم معه وبعدوا عن المعركة وعاد الامام الى مكانه وهو ينفض الدم عن ذراعيه وصـدره ثم تقدم الى النهر وغسل يديه ووجهه وسيفه وهو غير مكترث بالقوم فزادهم ذلك غيظا وحنقا هـذا وعدو الله يعض أنامله من شـدة ما أصابه من الامام . فلما فرغ الامام من غسل الدم وقف على قدميه ثم التفت إلى القوم ونادى برفيع صوته معاشر الأراذل الانذال هل من مبارز هل من مناجز لا يبرز اليوم الى كسلان ولا عاجز أنا البطل النزال أنا الغيث الهطال ابرزوا لى واحدا الواحد وان شـئتم عشرة لواحد وان شئتم بجمعكم لواحد فوالذى أنا عبده وابن عمى محمد رسوله لا رجعت عنـكم بمشيئة ربى حتى أهدم حصنكم وأبيد رجالكم وأقتل أبطالكم وأشـتت جمعكم واستأثر نساءكم وأعجل

دماركم ودمار ملككم الهضام وصنمه المهين وأحرقه بالنار التى صنعتموها بأيديكم أنا الذى دماركم على يدى ، أما تعرفونى ؟ أنا المعروف بجميع الأقطار أنا قاطع الأعمار أنا معدن الفخار ، أنا سيف الملك الجبار ، أنا ابن عم محمد المصطفى المختار ، أنا النجم الثاقب ، أنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب وأنشد يقول :

أنا الخطاف والجزار أدعى	أمير المؤمنين فهل معانى
أنا قرم الهياج الهاشمى	هدمت لخيبر بدء الزمان
أفيض على الأرامل بالعطايا	وأكرم جيرتى فى كل آن
وإنى يوم معركتى ضروب	بنصل السيف هامة كل شانى
وهل نار الحروب سوى على	فدونكمو ترونى بالعيان

(قال الراوى) فلما سمعوا ذلك نظر بعضهم إلى بعض والمنتقم مطرق لكلام الإمام رضى الله عنه كاطراق الحصان لصلصلة اللجام فعندذلك أقبل اليه قومه وقالوا له أيها السيد ما الذى تأمرنا به قال لهم هل تتبعونى وقلوبكم مملوءة من الحزن والوجل وأنفسكم قد لزمها الخبل ؟ شقيتم من قوم تدعون الشعار وقد جللكم العار وهل عار أعظم من هذا رجل واحد منفرد بنفسه يقتل رجالكم ويفنى أبطالكم وبعد ذلك يقسم أموالكم ويستحيي نساءكم وهو يطلبكم وقد التجمتم عن الخطاب وانقطعتم عن رد الجواب فما تم المنتقم كلامه حتى برز إلى الإمام من القوم غلام رشيق وبيده سيف عتيق وهو على مضمر من الخيل العتاق فتقدم إلى المنتقم وقال : يا أيها السيد وحق المنيع لآتينك برأسه سريع فقال المنتقم ابرز اليه واهجم بقوتك عليه فلك كل المكارم فأنت الكاشف الكروب العظائم فان أتيتنى برأسه لنقربك المنزلة العليا عند الملك الهضام والإله المنيع ذى القدر الرفيع واحذر يا أبا الهراش من ثورته ولا تركن لخديعته :

(قال الراوى) فلما خرج الغلام من بين القوم قال الامام رضى الله عنه ظهرت لى شجاعته وثبتت لى براعته فأحببت أن يكون مثله لله ورسوله فناديته يا غلام أرى سيدك قدمك للمهالك وأوقعك فى ضيق المسالك فارجع فانى لك ناصح وما أرسلك إلا ليغضبك ويقطع عمرك ويرميك فاترك ما لا يعنيك وقل معى قولا عدلا مخلصا بالرضا لا إله الا الله محمد رسول الله تكن لنا مؤاخيا وفى القيامة ناجياً فلما سمع الغلام كلام الامام رضى الله عنه تبسم ضاحكا وقال أنا ما أنزعج إلا من نار

المنتقم الإله الرفيع فأنت قلت ما قصدت وفى خطابك ما قصرت فادن منى فأنا فالق الهامات ومزق الجماعات فقال الامام رضى الله عنه : وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب — أنذرت وأعذرت وإذا أنت عن النصح أبيت وأسرفت فى غيك وتماديت فاقدم على قدمك إلى النار وبئس القرار .

(قال الراوى) ثم زحف عليه الامام وزحف الآخر على الإمام وظن أبو الهراش أنه ظافر بالإمام لأنه راكب والإمام ماش وجعل يجول ويصول فلما نظر الإمام إليه قاربه وضرب قوائم فرسه وهو فى جريه فرسخ السيف فى صدره مع رجليه فوقع أبو الهراش على أم رأسه من فوق فرسه فلما وقع على الأرض فى ميدان الحرب أخذ الحذر على نفسه فثار من وقته وهم أن يولى هاربا فعطف عليه الامام وضربه بذى القفار عرضا على صدره فخرج السيف من ظهره فسقط أبو الهراش قطعتين إلى الأرض وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار .

(قال الراوى) فلما نظر القوم اليه بهتوا ودهشوا وعادوا لا يدرون ما يصنعون فنظر اليهم المنتقم وقال يا ويلكم وحق المنيع لو برزتم اليه رجلا رجلا لأفناكم عن آخركم ولو كنتم أضعاف ما أنتم عليه من العدد أدهموه بجمعكم واتركوه هشيما واجعلوه رميما قال فبرز له اثنان غيره من شجعان القوم وفرسانهم فلما رآهما القوم ترجلوا وبادروا معهما مسرعين إلى نحو الامام فلما نظرهم الامام على ماهم عليه عازمون تأهب فلم يخاطبوه دون أن تفرقوا عليه ثلاث فرق فرقة عن يمينه وفرقة عن يساره وفرقة أمامه فلما وصل اليه القوم وثب عن يمينه فقتل من استقبله ووثب شماله فقتل من أتاه ووثب على من أمامه فخطفه خطف النار ورفعه فى الهواء وحز رأسه ، فولى الباقون هاربين وللنجاة طالبين ولم يصدقوا بسلامة أنفسهم . فقال لهم المنتقم ما وراءكم ؟ قالوا يا مولانا وراءنا أمر لا يكشفه غيرك ولا يكون له أحد سواك فقال مافعل بأصحابكم فقالوا انهم مأسورون وينتظرونك حتى تمضى اليهم وتخلصهم من يده فانه الموت الفاصل والبلاء النازل (قال الراوى) فعند ذلك علم أنهم يستهزئون به فقال يا ويلكم تستهزئون بى فقالوا لا وحق المنيع ما استهزأنا بك ، ولكنك جعلت قومك جزرا فقدمتهم لجزارهم وتأخرت وأنت سميت بين العرب بالمنتقم وما نراك إلا عن البراز ملتجم فقد كنت أنذرت إلهك يأتيك بمحمد وابن عمه على وإلا سرت اليهم إلى يثرب فها هو قد قربه اليك ولعله إنما أتاك به ليكون لك الفخر بين العرب وعلو القدر فما الذى يمنعك أن تمضى اليه وتهجم عليه

بقوتك وكان ذلك الكلام من رجل من القوم (قال الراوى) فلما سمع المنتقم منه ذلك الكلام هاجت همته ، وقلت حيلته وخشى أن يقول له الملك المضام مثل ذلك فما أحب دون أن وثب بصفيحةعريضةكانت معه فضربة على كتفيهفقطع كتفيهوأضلاعه وخرجت الضربة من تحت أبطه فتجندلطريحاثم ان عدو الله قلع أطماره وبقى فى سراويله ثم أخذ لامة حربه وتوجه نحو الامام قال الامام وقد كنت تأملته حين ضرب صاحبه فرأيت ضربته عظيمة فعلمت انه ما يضرب بمثل ذلك إلا كل فارس ذكى وساعد قوى فخرج عدو الله الى الامام كأنه برج مشيد أوقطعة من حديدأوجبل من الصخر الشديد ثم أقبل يهدر كالبعير الهائج وهو يضرب سيفه على حجفته فيسمع لها صوت كالرعد فلما قرب من الامام وله جسم كالبعير نادى برفيع صوته ياابن أبى طالب ان البغى مصرعة الرجال وسهام الأبطال ومن زها بنفسهوعجب بشجاعته أورده ذلك مواردالعطب ومن سل سيفهظلماقتل به رغما ومن ترك الناس تركوه ومن قصد الناس قصدوه وأحسن الناس عواقب من كان عند الشر رجوعا وماحملنى على الابطاء عنك وما مددت يدى اليك بسوء الا لما بدأتنا من جميل صنعك وما أوصلته الينامن حسن كرمك أن قتلت أعداءنا ووردت الينا سائمتنا ولم أجد اكرامالك أعظم من اطلاق سبيلك حتى ترجع الى ابن عمك سالما وتروح اليه غانما وارسلك الى حيث تأمن من الطلب فاقبل قول النصيحة ودع مكابدة المكاره ثم بعد ذلك أنشد المنتقم وجعل يقول :

من خالف المرء المشير بنفسه	كان الخلاف الى الدمار سبيلا
من سل سيف البغى يوشك انه	يرمى به بين الرجال قتيلا
يابن المعظم من سلالة هاشم	لاتلق نفسك فى الفلاة جديلا
لا تأمنن من نكبة بين العدا	تسعى اليك وقد أتيت رسولا

(قال الراوى) فلما سمع الامام من المنتقم ذلك الكلام قال يا ويلك أما علمت أن مدحك لنفسك عار عليك وزيادة فى قدر غيرك أما بعد فوحق الذى يعلم مافى السموات والأرض القادر على أن يفعل بكم مايشاء لئن ضربتك بذى الفقار لأمحون منك الآثار ولتهوين الى النار وبئس القرار يانسل اللئام الفجار فدع عنك التطاول والافتخار فأنا الأسد الزآر والفارس الكرار وسيف الملك الجبار وابن عم محمد المصطفى المختار أنا المذكور فى جميع الأقطار أنا ممزق الكتائب

أنامظهر العجائب أنا مبدى الغرائب أنا ليث بنى غالب أنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب

(قال الراوى) ثم ان الامام حمل على عدو الله وحمل الآخر كذلك وتقاربا وتحاربا وتداعسا وتعاركا وشهد القوم منهم مشهدا عظيما ماروى الرواة مثله قال الامام فوجدت عدو الله صبورا على الضرب جسورا على الطلب ثم أن الامام جمع نفسه وقد كثر بينهما العراك والقلق واحمرت الحدق فلاح للامام من عدو الله التقصير وقد أشرف على الهلاك فنادى المنتقم يا ابن أبى طالب أفق قليلا حتى أخاطبك بكلام لك فيه المصلحة فتأخر عنه الامام وقد طمع فى اسلامه وقال فى نفسه والله اشتهيت أن يكون مثل هذا الأسد الأروع عن الاسلام يدفع ثم تأخر عنه وقال له قل ما تشاء فقال له يا ابن أبى طالب أنا قد رحمتك لحسن فعالك ورأيت أن أعفو عنك وأطلق لك السبيل لأنى قد علمت أنك قد أشرفت على الهلاك وعملت الارتباك فأنا أبعث لك بفرس ومطية وأزودك الماء والزاد وأهب لك من الاموال ما يكفيك وترجع الى ابن عمك سالما غانما وأنا أشهد لك بين القبائل والعربان بالشجاعة والبراعة .

(قال الراوى) فتبسم الامام رضى الله تعالى عنه لما سمع كلام عدو الله وقال له يا عدو الله قلت الخطاب وطلبت الراحة من العذاب والعقاب فاعلم يا عدو الله ان مطيتك وفرسك ومالك ومال قومك وجميع ما تحكم عليه يدك صائر لى أحمله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قريب ثم حمل الامام مع كلامه وقال له يا ويلك أشر لنفسك وأهلك وأولادك وجميع قومك أن يقولوا لا إله الا الله محمد رسول الله ثم حمل الامام وطلب انجاز الوعد فيه فنظر عدو الله الى ألامام وقد عزم على قتله وصمم بعد أن ارتعدت فرائصه وصار يرتعد كالسعفة فى الريح الباردة فنادى وقال يا ابن أبى طالب الصدق أوفى سبيل فبالله ابقنى فان لى فى القوم مالا واهلا واولادا وعيالا فان ملت اليك يقطعوا بينى وبين اهلى واولادى وجميع مالى فخل سبيلى اخاطب قومى فان اجابوا الى ما تريد كان الرأى الحسن وان خالفونى دبرت امرى وخالفتهم وفارقتهم .

(قال الراوى) فقال الامام افعل ما بدالك وانت بين الجنة والنار فامض الى ايهما شئت وطمع الامام فى اسلامه فخلى سبيله فرجع المنتقم الى قومه وقد تضعضعت اركانه وخمدت نيرانه فقالوا ايها السيد الكريم ما فعلت بهذا الغلام فقال المنتقم وسطوة المنيع لقد نازلت الأبطال وخضت الأهوال وبارزت الأقران فما رأيت غلاما أصبر من هذا على القتال ولا اجسر منه على النزال ولا اثبت منه فى الحرب ولا اقوى منه

فى الضرب كأنما خلق من الجبال لاتروعه الأهوال وإنى حاولته وخدعته بخديعتى حتى أطلق سبيلى فما الرأى فى أمره وماتفعلون فقالوا نحن معك فالذى ترضاه لنفسك رضيناه لنا والذى تأمرنا به فعلناه فقال لهم ياقوم إن هذا الغلام يريد منا أن نرفض عبادة المنيع الاله الرفيع ونعبد الهه ونشهد لابن عمه بالنبوة ونكون معيرة العرب فى المحافل وجميع القبائل ويرمينا المنيع ببوائقه ويسحقنا بعوائقه قالوا وماترى جوابنا الا أننا نمهله بقية يومناهذا الى أن يسبل الظلام فنسير الى حصننا وتحصن فيه من داخله ونوثق أقفاله فلا يستطيع الوصول الينا ونرسل رسولا الى الملك الهضام فيأتينا بجنوده وعساكر وأهل كل حصن يمدوننا بالنصر على عدونا فقالوا جميعا أفلح رأيك أيها السيد هذاهو الرأى السديد فاتفق رأيهم على ذلك ثم قالوا دبر هذا الأمر بعقلك فانه لايصلح إلا لمبارزة كسرى وقيصر

(قال الراوى) فعند ذلك أرسل المنتقم الى الإمام رضى الله عنه وقال له يافتى بلغت مناك وماأملته من هواك ان قومى راضون بقولك مطيعون لأمرك وقد انشرحت بقولك الصدور وانقادت لديك الأمور الا أن قومنا فى الحصن لم يحضروا هذه المشورة وهم كبراؤنا وقد أرسلنا اليهم ليحضروا فيكونوا معنا داخلين تحت يديك ولطاعتك مذعنين ولاجابتك مطيعين ولأمرك ممتثلين وهذا النهار قدولى والليل فدأقبل ونريد أن تمهلنا الى غداة غد فان شئت أن تدنو منا ومن رجالنا فتصيب من طعامنا فذلك مرادنا ومسرتنا وان أبيت فلا اعتراض عليك فكن فى منامك فعند الصباح حلول الرواح

(قال الراوى) فقام الامام من مكانه بعد أن علم ماعندهم وما اضمروا عليه ثم وثب الامام بعد تعبه وما كابده فعبر النهر بوبته ثم اغتسل وتطهر ولبس ثيابه وكان ذلك عند اصفرار الشمس والامام رضى الله عنه كان صائما إذ نادى المنتقم يافتى هل لك فى الطعام وتنال منا من الاكرام فقال الامام طعامكم على حرام حتى يفصل الله بينى وبينكم من الزمان وتجيبوا بجمعكم الى الاسلام وتقولوا لا إله إلا الله الملك العلام القدوس السلام وتقروا بالرسالة لخير الأنام ثم أخذ الامام قوسه وجعل فيه نبلة ورمق الى السماء واذا هو بطائر فى الجو فرماه وأخذه ونظف ريشه ثم غسله وأضرم النار وأشواه فازداد القوم عجبا وداخلهم الهلع والجزع مما عاينوا ولم يزل جالسا الى أن غربت الشمس فقام وصلى المغرب فلما فرغ من صلاته قدم ماقدنوا لافطاره فأكل حتى شبع وأخرج ما كان معه من الماء فشرب وحمد الله تعالى على ما هو

فيه فلما اختلط الظلام نظر الامام إلى ناحية القوم وإذا هو برجل خارج من جيش المتقم مسرعا إلى جهة الحصن فظن أنه رسول فلصق بطنه وتأمل فاذا هو بآخر قد خرج من ورائه وآخر فى أثره وهم ينسلون واحدا بعد واحد هربا إلى الحصن

(قال الراوى) فلما رأى ذلك الامام علم أنهم عزموا على الهروب إلى الحصن فأخذ سيفه وحجفته وجعل يزحف على بطنه كالحية على وجه الأرض الى أن وصل الى جانب النهر وجمع نفسه ووثب فعدى النهر ولم يعدل عليهم بل عدل عنهم وأسرع إلى جهة الحصن يريد الوصول اليه قبل أن يصل اليه أحد منهم فما زال الامام يسرع فى سيره فلم يكن إلا أقل من ساعة حتى وصل إلى الحصن ولم يصل اليه أحد قبله فنظر الى أعلاه فرأى العبيد على أعلى السور وقد رفضوا الرقاد وداموا على السهر بكليتهم وقد خلعوا العذار فى مرضاة الملك الجبار فلما نظروه أسرع منهم جماعة وهموا أن يرموه بالأحجار فنادى الإمام لا ترموا بالأحجار وافتحوا لى الباب شكر الله سعيكم وآمنكم من عدوكم فعرف القوم صوته ففتحوا له الباب وفرحوا به فرحا شديدا وكانوا قد أيسوا منه وقالوا ياسيدنا أقلقتنا بابطائك وكثر خوفنا عليك ونوينا على القتال إلى أن نقتل عن آخرنا فى مرضاة ربنا فجزاهم الامام خيرا ثم قالوا فما كان من خبرك حتى أبطأت علينا فقال ما يكون الا الخير والسلامة وفى هذه الليلة يظهر لكم إن شاء الله تعالى تمام الكرامة

(قال الراوى) ثم قال لهم الامام اخرجوا بأجمعكم خارج الباب ولا تمنعوا أحدا من الدخول وأنا أبلغكم منهم المأمول فقال جنبل بن وكيع ياسيدى وما الذى عزمت عليه قال ان اضرب رقابهم وأقطع أوداجهم والحق أولهم بآخرهم فذهل القوم من كلام الامام رضى الله عنه وخرجوا بأجمعهم إلى خارج الحصن فلم تكن الا ساعة وإذا بالقوم مقبلين وفى أوائلهم ذؤيب بن عامر الباهلى فقال له جنبل ما وراءك ياذؤيب فقال له لا تسألنى عن الموت الفاصل والبلاء النازل ثم هم ودخل الحصن والإمام يسمع كلامه . فقال له صدقت ياعدو الله أنا الموت الفاصل والبلاء النازل فلا مفر منى اليوم ثم ضربه ضربة قسمه نصفين ثم سكت وأخفى حسه وهو كالأسد إذا عاين فريسته فبينما هو كذلك اذ دخل آخر فقاربه الامام وضربه فازال رأسه عن جسده وسحبه برجله وأزاله عن الطريق فدخل آخر فى أثره فبادره الامام وضربه عرضا فقطع ذراعيه مع صدره فسقط اربع قطع وما زالوا داخلين والامام رضى الله عنه يقتلهم واحدا واحدا وكل من قتله جره برجله وأبعده

عن الطريق (قال الراوى) فبينما هو كذلك إذ دخل آخر فقاوبه الإمام وضربه فأزال رأسه عن جثته وسحبه برجله وأزاله عن الطريق وإذا بضجة عظيمة عالية فتأملهم الامام وإذا هو بعدو الله المنتقم راكبا على بعير وحوله غلمانه وشجعانه وفرسانه وقد احاطوا به من كل جانب فلما وصلوا إلى باب الحصن أناخوا البعير ثم حملوا عدو الله وأنزلوه فتقدم إلى باب الحصن يريد الدخول فوقف والتفت إلى أصحابه وقال ياويلكم الزموا باب حصنكم الى أن تتكامل أصحابكم وادخلوا الحصن واغلقوا بابه وتحصنوا فيه فتأمنوا من عدوكم ثم ان عدو الله تركهم على الباب ودخل الى الحصن ومعه مائة رجل من جماهير قومه فرفع جنبل صوته يسمع الامام وقال يا مولاى بلغك الاله مأمولك وأعطاك سؤالك : لقد أبردت بفعلك قلبى وسررت خاطرى فعندذلك فهم اشارة جنبل وكان للحصن بابان من داخل بعضهم فوقف الإمام رضى الله عنه عند الباب الثانى وتجرد من أطماره حتى بقى فى سراويله وأخذ سيفه وحجفته ثم أقبل على عدو الله المنتقم وحواليه السيوف مسلولة وهو فى وسط القوم كعلوا الفارس على الراجل فلما وصلوا الى الامام وثب عليهم وصاح فيهم صيحته المعروفة الهاشمية وقال : الى أين : يالئام الى أين يا اعداء الله . أين المفر من ابن عم خير البشر

(قال الراوى) فلما سمع القوم ذلك ولوا هاربين يمينا وشمالا وصار عدو الله وحده واقفا باهتا لايدرى ما يصنع فنادى يا ابن أبى طالب أحسن الى وأبق بكرمك على فقال له الامام اتخدعنى ياعدو الله وأنا جرثومة الخداع والله ان لم تقر لله بالوحدانية ولمحمد بن عمى بالرسالة لأقتلنك شر قتلة فقال له يا ابن أبى طالب بحق ابن عمك محمد الا ما أبقيت على فعند ذلك أخذ الامام عمامته بعد أن ألقاه على الأرض وكبه على وجهه وأوثق كتافه وجمع يديه الى رجليه وتركه لا يستطيع أن يتحرك وعمد الى القوم وكان رضى الله عنه قد أغلق الباب وأوثقه من ورائهم بعد أن دخلوا عن آخرهم فتصارخوا بأعلى أصواتهم .وتحيروا فنادوا يا ابن أبى طالب بحق ابن عمك محمد الا ما أحسنت الينا وأبقيت بكرمك علينا فعند ذلك رد الإمام عنهم السيف وقال لهم وحق الذى بعث ابن عمى بالحق بشيرا ونذيرا ان لم تقروا لله بالوحدانية ولابن عمى بالرسالة لأمحونكم بسيفى هذا عن آخركم فقالوا له يا ابن عم رسول الله ماذا نقول ؟ فقال لهم قولوا : نشهد أن لااله الا الله وأن محمدا رسول الله فقالوا بأجمعهم : نشهد أن لا اله الا الله وأن ابن عمك محمدا رسول

الله فقال لهم الإمام رضى الله عنه ما يتحقق عندى إسلامكم حتى تعمدوا معى الى قومكم فتقاتلوهم وتقاتلوا ملككم الذميم وشيطانه الرجيم وأنا ناظر اليكم حتى أعلم حقيقة أمركم وحقيقة اسلامكم فقالوا له يا ابن عم رسول الله هذا حقيقة اسلامنا ؟ قال نعم (قال الراوى) فعند ذلك جردوا سيوفهم وعمدوا مع الامام الى الباب الذين هم من داخله ففتحوه فوجدوا القوم قد دخلوا كلهم من الباب الأول واجتمعوا عند ذلك الباب الذى من داخله أمير المؤمنين فخرجوا لهم وحطوا السيف فيهم واقبل جنبل وقومه من خلفهم وصاحوا فيهم الله أكبر فتح ونصر وخذل من كفر بدين محمد خير البشر هذا والإمام رضى الله عنه يقول مروهم ان يقولوا لا اله الا الله والا نفنيكم عن آخركم . فمن قالها ارفعوا عنه السيف ومن أبى فاقتلوه فما زالوا كذلك الى أن مضى ثلث الليل فنادى القوم بأجمعهم الأمان يا ابن أبى طالب ونحن أسراك وفى يدك فقال لهم الامام رضى الله عنه لن يؤمنكم من سيفى الا أن تقروا لله بالوحدانية ولمحمد بالرسالة والا أفنيتكم عن آخركم فصاحوا بأجمعهم نحن نشهد أن لا اله الا الله وان ابن عمك محمدا رسول الله فأمر القوم أن يرفعوا عنهم السيف فما مضى نصف الليل الأول الا وقد كفاه الله شر القوم ولم يبق عندهم من يقاتل أبدا وأقبلت الرعاة وجنبل الى الإمام وقبلوا يديه وهنئوه بالسلامة بما فتح الله عليه فى تلك الليلة فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم خر ساجدا لله تعالى فى وسط الحصن شكر الله تعالى

(قال الراوى) فلما فرغ الإمام من سجوده ورفع رأسه واستوى قائما أمر باحضار عدو الله المنتقم فأحضر بين يديه فأمر بحل كتافه وقال له يا عدو الله وعدو نفسك انك على شفا جرف هار : اما الى النار . واما الى الجنة : ياويلك أقر لله بالوحدانية ولمحمد بالرسالة تقر فى الدنيا والآخرة واصرف عنك المحال ودع عبادة الأصنام فقال المنتقم يا ابن أبى طالب اجعل لك جعلا أرسله لك والى ابن عمك فى كل عام من جميع ما تختار من الصنوف المثمنة من الجواهر والذهب الأحمر. وما أشبه ذلك فقال الإمام ياويلك أمالك ومال قومك ومال ملكك الهضام كله فصائر الى ان شاء الله تعالى أحمله الى رسول الله ﷺ بعد أن اقتلك وأكسر صنمك وأحرقه فى ناركم التى أوقدتموها وأنت والله ما يخلصك من سيفى الا قول لا اله الا الله محمد رسول الله . فقال يا ابن أبى طالب أما هذه الكلمة لا أقرن لها أبدا والموت على أيسر منها فان شئت فاقتل وان شئت فاترك وان عجلت قتلى فلى من يأخذ

بالثأروهاهو أمامك فى حصن وادى الحديق وهو الملقب بمروع الوحوش المسمى بالخطاف هندى الحيرى يقتنص الوحوش فى فلواتها والأسود فى غابها فلما سمع الامام ذلك من عدو الله فار بالغضب وقال الذى أوصلنا اليك إلى غيرك وأما أنت فقد عجل الله بروحك الى النار وبئس القرار ثم قام الامام على قدميه وضرب عدو الله المنتقم بذى الفقار فأزال رأسه عن جسده فوقع على الأرض كأنه النخلة السحوق .

(قال الراوى) ثم ان الامام عليا رضى الله عنه أمر باحضار النساء فأحضرت بين يديه فعرض عليهن الاسلام فمن اسلمت أقرها فى مكانها ومن أبت وكل بها من يقتلها، فلما فرغ الامام من ذلك جمع الغنائم والأموال والذخائر النفيسه وجمع ذلك كله فى دار عدو الله المنتقم وقفل عليه وختمه وأوصى بحفظه ثم أقبل الإمام على القوم وقال لهم ان الله سبحانه وتعالى قد دعاكم للاسلام ومن عليكم بالايمان وأنقذكم من ظلمات الكفر والطغيان وإنى ماض عنكم فالله الله فى أنفسكم فلا تكفروا بعد إيمانكم ولا تنافقوا فى إسلامكم آمل من الله الرجعة اليكم عن قريب إن شاء الله تعالى بعد بلوغ ما أريد من ملكم الذميم أصرف شره وشر صنمة وشيطانه الرجيم فقالوا باجمعهم يا ابن عم الرسول إنا لن نؤمن إلا بحقيقة أمرنا وقد علم الله صدقنا وأرادلنا الحياة واطمأنت أنفسنا ونتضرع اليك أن نسير معك وبين يديك فما يكبر علينا أن نقاتل ملكنا وأهلنا وأقاربنا ونحن أولى بمعرفتك والتقرب الى الله عزوجل بخدمتك ونكون معك فى الشدة والرخاء ونرجو من الله السلامة (قال الراوى) فلما سمع الامام منهم ذلك سر بمقالتهم سرورا عظيما وجزاهم خيرا

وعزل لهم مائة رجل يمكثون فى الحصن وأمر عليهم جنبل بن خليل الباهل وأوصاه بالشفقة على من فى الحصن وأوصاهم بحفظ الحصن وحفظ مافيه وأمر على الرعاة جنبل بن وكيع فقال جنبل ياأمير المؤمنين بالذى بعث ابن عمك بالحق بشيرا ونذيرا الاتؤخرنى عن المسير معك إلى حرب قومى وقتال عشيرتى بطول دهرنا وزماننا ولاتتركه حتى اشفى غليل قلبى وماقدمت من ذنبى فجزاه الامام خيرا على كلامه وقال له لك ذلك يا جنبل فان الله كريم لايعجل على من عصاه ثم ان الامام دعا بعبد يقال له حصن بن شنيش وأمره على الرعاة وأوصاه بحفظ السائمة والأموال وأوصاه بان يروحها كل ليلة إلى داخل الحصن

(قال الراوى) ثم ان الامام أمر جميع بقية القوم وهم ثلثمائة رجل من الذين من

الله عليهم بالايمان وأمرهم بالمسير معه والمبادرة إلى حرب عدو الله فقاموا مسرعين وإلى القتال مبادرين فافرغت عليهم جلابيب الموت وركبوا بعد ان ودعوا أهليهم وأولادهم وداع من لا يعود وركب الامام رضى الله عنه نجيب المنتقم وأجنب إلى جانبه فرسا آخر من عتاق الخيل كان مدخرا عند عدو الله المنتقم وخرج معه القوم محدقين به وهو كالأسد وخرج أهل الحصن يودعونه ويدعون له بالنصر والسلام إلى أن توارت عنهم جدران الحصن فامرهم الامام بالرجوع وقال لهم استودعتكم الله فهو خير حافظا وهو أرحم الراحمين فسار الامام ومن معه طالبين حصن وامق ووادى الحديق وصاحبه الأمير عليه الخطاف بن هندى الحميرى الملقب بمروع الوحوش من الوادى .

(قال الراوى) حدثنا صاحب الحديث قال حدثنا أشياخنا وأسلافنا هذا الحديث وهو أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب لما فتح الله على يديه حصن الوجيه وقتل صاحبه المنتقم وأخلاه من الكفر وصار أهله مسلمين وأخذ من القوم ثلاثمائة فارس وهم شجعان عوابس فساروا وقد أخفى الله أمرهم وماجرى لهم فلم يعلم أحد من أهل الحصن تلك الأودية والقوم فى أمن مطمئنون حول حصونهم .

(قال الراوى) وأما الملك الهضام فقد اشتد كفره وطغيانه وتجبره وقد شاع فى العرب ذكره وعظم خطره والأموال اليه من العرب تحمل والأنعام اليه تنقل وقد تزايد أمره وكان يركب فى كل سنة ثلاث مرات إلى صنمه فاذا دخل عليه خر له ساجدا من دون الله عز وجل فلا يرفع رأسه حتى يهتف الشيطان بصنمه ويأمره بالقيام فيرفع رأسه ويقيم عنده يومه ويخرج عند غروب الشمس ويأتى إلى منزله فيمكث أربعة اشهر ويركب ويأتى إلى جنته التى أعدها لمن اطاعه وأطاع صنمه فاذا سار اليها تقدم الموكلون بها فيفتحون ستورها ويفتحون مقاصيرها ويفرشون فراشها ويجرون انهارها ويدعو أطيارها على اغصان اشجارها فمنها ماهو نبات ومنها ماهو مصنوع من ذهب وفضة وجواهر ويواقيت مركبة فى الأغصان على شبه الأوراق والأثمار فاذا غردت اطيارها بطيب الحانها يتزين الوصائف اللاتى فيها وهن يسمين بالحور الحسان فيقفن على أبواب المقاصير وبايديهن مباخر عنبر ونوافح المسك الأذفر وغلمان الأرائك وغلمان آخرون واقفون على أبواب المقاصير وبايديهم الفاكهة فى اطباق الذهب فاذا دخلوا بعد وصول الهضام إلى جنته تهب الحور وجرت الأنهار وغردت الطيور فوق غصون الاشجار ونشروا عليه

وعلى من معه المسك والطيب فلا يزال كذلك يخرج من مقصورة الى مقصورة ومن خيمه إلى خيمة ومن مجلس إلى مجلس ومن قصر الى قصر فاذا عزم على الانصراف يحمل من ذلك النثار ومن تلك الثمار ويخرج من جهته ويأتى إلى صنمه فيضع ذلك بين يديه فيضعون الستر عليه بقية ذلك اليوم وتلك الليلة ثم يطلبونه فلا يجدون من ذلك شيئاً فيزدادون بذلك كفراً ويظنون أنه أكله ثم يرجع الملك الهضام لعنه الله إلى دار مملكته فيقيم فيها أربعة أشهر ثم يركب إلى ناره التى أعدها لمن خالفه وخالف صنمه وقد لبس لها الملابس المطلية بالدهان لئلا تصل لها حرارتها فاذا وصل اليها جلس على دكة تنصب له مشرفة على أعلى النار ومتى علم الموكلون بمجيئه يزيدون فى إضرامها وارتفاع لهيبها فاذا نظر اليها وعاين حرها ورأى شواظها وشرارها أمر بنحر الجزر بين يدى الصنم ويتضمخ بدمها (قال الراوى) فبينما عدو الله فى تزايد كفره إذ ورد عليه كتاب رسول الله ﷺ مع جميل بن كثير العابدى فاستأذن فى الدخول على الملك قيل له اصبر حتى نخبر الملك بقدومك ثم أن الحاجب أخبر الوزير بقدوم ذلك القاصد فأخبر الملك بذلك فقال ياأيها الملك انه أتاك اليوم قاصد يذكر أنه من عند محمد صاحب يثرب وابن عمه على ابن أبى طالب واستأذن فى الدخول عليك والوصول اليك فأوقفه الحاجب عند الباب وأخبرنى بخبره وها أنا أخبرتك . (قال الراوى) فلما سمع الملك الهضام بذلك عظم عليه وقال أو قد ذكرنى محمد مع من ذكر وعرض لى مثل ماعرض لغيرى أيظن أنى كغيرى من العرب ؟ وإن إلهى كسائر الآلهة ثم أمر ببساط مجلسه فبسط وستوره فعلقت وبعث إلى أكابر قومه فأقامهم من حوله بالسلاح والنشاب وبأيديهم العمد والحراب والدرق والسيوف ولبس الملك تاجه المحلى باليواقيت والجواهر وأظهر نعمته وأقام ترجمانه بين يديه لأجل ما يبلغ الكلام إلى القاصد ثم أمر باحضار قاصد رسول الله ﷺ بين يديه فتبادرت غلمانه وحجابه إلى جميل بن كثير فأتوا به أسرع من طرفة عين وقالوا له اجمع عقلك وبين فضلك وانظر لمن تخاطب واعلم من تكلم .

(قال الراوى) ثم دخلوا من باب الى باب ومن ستر الى ستر وكلما دخل من مكان وجده أعظم من الذى قبله الى أن وقف بين يديه . فلما نظر جميل الى مملكته وسلطانه وحجابه وغلمانه وتاجه الذى على رأسه ويواقيته والقوم محدقون به التجم عن الكلام وتبلد عن السلام فغضب الملك لذلك وعرف الغضب فى

وجهه فاضطرب القوم لذلك وهاج بعضهم فى بعض ورفعوا العمدوالسيوف وترقبوا خطاب الملك لكى يبادرهم بسوء فنظر الترجمان الى ذلك وكان صاحب عقل وأدب وفضل . فقال للملك : لك طول البقاء والنصر على الاعداء ولك الانعام والهيبة والاعظام اعلم أيها الملك أن هيبة المملكة ومرتبة السلطنة تلجم الناظر عن الكلام وعن مقالته فى النظام حتى تدهشه عن السلام وترتعد منه الفرائص والأقدام وأنت ملك الملوك وسيد كل غنى وصعلوك ألا وانه نظر الى مثلك فظهر فيه التقصير لجد عليه بنعمائه واحرزه من سطوة بلائك (قال الراوى) فذهب عن الملك ما كان قام به ثم قال الترجمان لجميل ان الملك يقول لك ويلك من أنت ومن أين أقبلت والى من قصدت ورسول من أنت أنطق ببيان وليكن لقولك برهان والا رميت بك فى قعر النيران ونهره الترجمان وقال له عجل بما أنت قائل . فقال جميل بن كثير أنا رسول صاحب يثرب محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وقد حملنى هذا الكتاب وأرسلنى اليك أطلب الجواب ولا أطلب شراً ولا ضراب وقد أزعجنى ما رأيت من هيبة الملك فتبسم الملك الهضام ضاحكا وقال هلم الى بكتابك فتقدم جميل وناوله الكتاب ففكه وقرأه وفهم مضمونه ومعناه فقهقهه حتى كاد أن يقع على قفاه وقال أيهددنى محمد بابن أبى طالب ويظن أنه لى غالب ويطلب منى الدخول الى ملته والميل الى جنته ألا يعلم أن جميع العرب يأتون الى خوفاً من سطوتى وجزعا من هيبتى وهيبة إلهى وأخفر ذمة الآلهة وأنا ملك الأرض وإلهى إله كل من فى الأرض وبيدى مفاتيح الجنة والنار أما وحق المنيع لقد طلب منى محمد مالا أقدر عليه ولا يصل اليه (قال الراوى) ثم التفت الهضام الى جميل وقال ياويلك صف لى هذا الغلام المذكور فى الأرض ، فقال جميل أيها الملك ان الكفر أقبح بالعبد الدنىء فكيف بالسيد . فان أحببت أن أصف لك فلى عليك شرطان أحدهما ان وصفته لك فلا يكبر على الملك فيقتلنى بغير ذنب ، أنت أغنى الناس عن ذلك والثانى أخاف أن أصف لك شأنه فى العظم فيبلغ الملك غيره فأكون عبداً كذابا وأنا الآن أسألك أيها الملك أن لا تسألنى عن هذا السؤال فانى لا قدرة لى عليه . فقال الملك ان قلت ما فيه على الحق فلا خوف عليك ان كنت صادقا ، فقال جميل ايها الملك انه غلام موصوف بالشجاعة معروف بالبراعة اخف من البرق إذا لمع واسرع من الفهد اذا وثب حسن اليقين زائـــد التمكين انزع نضر نقمته على الظالمين ورحمـــة للمؤمنين حاجب المرافق العاليـــة وقاطع البيض

المرهفات وفاصل المشكلات كريم إذا ظفر محسن إذا قدر ثم أنشد وجعل يقول

هو الامام هو المذكور فى البشر ... هو الضروب بحد الصارم البتر
هــو المبيد عتاة الأرض كلهم ... له الأيادى على الأعداء بالظفر
هو الكريم هو الكرار تعرفه ... كل البرية من باد ومن حضر
هو الموحــد للرحمن خالقه ... هو المرتل للآيات والسور
له مناقب لا يحصى لهــا عدد ... جلت عن الوصف فى الادراك للبشر

(قال الراوى) فلما فرغ جميل من شعره تبسم الهضام ضاحكا وقال : وحق زجرات المنيع لقد وصفت صاحبك وأحسنت فى وصفه فدع عنك هذا الكلام وأقصر عن وصف هذا الغلام واعمل فى خلاص نفسك قبل حلولك فى رمسك وقل لى لأى شىء اتبعت محمدا وآمنت به . فقال جميل على أن ينقذنى من النار ويدخلنى الجنة التى هى دار القرار فقال الهضام متى يكون هذا الأمر ؟ فقال جميل اذا قامت القيامة وقامت الخلائق من التراب الى الاجتماع فى دار الحساب فقال الهضام أوقد أخبركم صاحبكم محمد أنكم تموتون وتصيرون وفاتا ويختلط اللحم هذا باللحم والعظم هذا بالعظم وتمضى عليكم الدهور والأعوام ثم تعودون بأجساد وأرواح ثم يكون بعد ذلك حساب وعقاب وجنة ونار فقال له نعم قال له وإلى أين هذه النار وهذه الجنة ؟ قال شىء لا يفنى قال أشىء لا يفنى ولا ينقضى فعجل يا ويلك بالعاجل ودع الآجل فوسطوة المنيع لا قام من فى القبور ولا عاينوا بعدها ضياء ولا نور .

(قال الراوى) ثم التفت اللعــين الى بعض أولاده وكان اسمه ناقداً وقال له قم يا بنى واكشف له عن الجنة والنار وخيره بين الدارين فان اختار المقام فى دار النعيم والعيش السليم فدعه يأكل من فواكها وثمارها ويتمتع بحورها وولدانهــا ويسكن فى أعلى قصورها وان أبى ذلك فأنزلوا به الدمار وكبوه على أنفه فى النار حتى يعلم أن محمداً وابن عمه لم يدفعوا عنه شيئا فقد وصف ابن عمه وزاد فى وصفه فأخذ الملك ناقد بيد جميــل وذهب به الى الجنة التى صنعها الهضام وسبق الى الموكلين بها من أعلمهم بقدوم الملك ومعه جميل ففتحت المقاصــير وزينت الولدان . وعلقت الستور وركبت الأطيار على الأشجار وأرسلت قنوات العسل واللبن فى الأنهار وفرشت أرض المجالس بأنواع الحرير ونثر فى جوانبها المسك الأذفر والخالص من العنبر والكافور فاستمرت روائح الطيب مــع

وروائح الأزهار وروائح الخمور وما يجرى من الطيور المحشوة بالمسك المسحوق والعنبر المعتوق فاذا هبت الريح نفخت فى الأطيار فيخرج الطيب من أفواهها ومن أجنحتها وغنت الحور بغرائب الألحان وترنمت الغلمان بطيب الأشعار .

(قال الراوى) ثم أتى ناقد بجميل وأدخله فلما توسطها ونظر الى تلك الأشجار والأنهار والحور والولدان ونظر الى قنوات العسل واللبن وحمرة الخمور وحسن فرش المقاصير طار عند ذلك عقله وذهب رشده ووقف بين يدى الغلمان وتصايحت به الحور من سواحل الأنهار وبأيديهم الكئوس مملوءة تناديه بتلك الأصوات فلما نظر جميل الى ذلك أفتتن وأحب تلك الجنة وسكانها وما ظهر له من نعيمها وعلم ابن الملك ماعنده من الضلال فقال له ماقولك فى هذه الدار ؟ قال جميل نعم الدار ولو أن سكانها يبوؤن بغضب الجبار .

(قال الراوى) ثم قال ناقد اتبعنى حتى أكشف لك عن دار هى أحسن من هذه ثم أخرجه وعمد به الى النار وقد كان أرسل الى العبيد الموكلين بها الذين سموهم الزبانية فأمرهم باضرامها وتقويتها فلما أن قرب منها ناقد وجميل قربه وأطلعه فى درج عال مبنى من الرخام الملون حتى أنتهى الى أعــلى الدرج . فقال ناقد لجميل أتختار أى الدارين أردت فلما أشرف جميل على النار ونظر الى قعرها وكثرة زفيرها وشواظها وكثرة دخانها وحررها وحرها وشررها تغير لونه وقال أزلونى من هذا المكان فلا صبرلى على هذا فلما سمع ناقد ذلك قال له ويلك ياجميل فلو ألقيت فيها وصرت فى قعرها وتقلبت على جمرها فقال جميل أبعدونى عنها وامضوا بى الى الجنة فعطف به ناقد الى الجنة فلما دخل فيها جميل وتوسطها واستنشق ريحها وتصايحت به حورها وولدانها افتتن جميل وأحتوى الشيطان على قلبه فسلب الله تبارك وتعالى منه الايمان ومال الى ملتهم ورفض دين الإسلام وكفر بالملك العلام وصار يتمايل على الجوارى اللاتى سموهن الحور العين فتصايحت به الحور الحسان فنظر الى واحدة منهن لم ير أحسن منها ولا أجمل فأشار اليهـا فعدلت الى مقصورتها وجلست على النمارق والفرش .

(قال الراوى) فعدل من ورائها جميل لعنة الله عليه الى تلك الآلات والستور والآنية من الذهب والفضة فقال للجارية لمن هذه ؟ قالت لك وأنا لك وجميع هـذا لك الا أنك لا تستحق هــذا حتى تمضى من وقتك وساعتك الى الاله المنيع فهو الهنا الأعظم فتخر ساجداً وتقر له بالعبودية . فقال لها حبا وكرامة أنا أسجد له مائة

سجده : ثم خرج جميل وناقدبن الملك معه لأنه كان أوصى الحور العين أن يخاطبنه ويقلن له ذلك فلما خرج جميل قال ناقد إلى أين تريد قال الى الا له المنيع والرب الرفيع أسجد له وأقرله بالعبودية فقال له ناقد أفلحت ياهذا ونجحت ثم أقبل ناقد راجعا الى الصنم فما زال كذلك حتى قرب من الأبواب وما زالوا كذلك حتى دخلوا فيها وهمت الناس المتنعمون فى الجنة أن يدخلوا معهم فنعهم الحاجب من الدخول فتصايحوا بناقد وقالوا له دعنا ندخل الى ربنا المنيع والهنا السميع فننظر الى معجزاته ودلائله وآياته .

(قال الراوى) فاذن لهم ناقد بالدخول وهو أمامهم قابض على يد جميل لعنه الله فما زال يدخل من باب الى أن دخل الى البيت الذى فيه الصنم فنظر القناديل توقد بأطيب الأدهان ونظر الصنم معلقا فى الهواء لا يرفعه عمد من تحته ولا علاقة من فوقه فحار جميل واندهش وأعطاه نا قد خاتما من الحديد الصينى كبيرا فأخذه جميل بيده وتقدم الى الصنم فلما شم الصنم رائحة المغناطيس جذبه بالقوة المركبة من الحديد فلما نظر جميل الى ذلك حاو فعلم نافد منه ذلك فقال له ياويلك اسجد فان الا له قد قربك اليه وأدناك منه فعند ذلك سجد جميل بن كثير لعنه الله فأقبل الشيطان اللعين الموكل بالصنم فدخل جوفه وجعل يقول :

حطوا رؤوسكم انى الهكمو والعفو والصفح من خلقى ومن شيمى
وقد غفرت لكم جمعا بأسركم مع الرسول الذى قد فاز بالنعم
فى ذرى جنة يحظى بها رغدا على الأرائك والغلمان والخدم
مننت بالصفح عما كان منك ولا أريك بأسى ولا أرميك بالنقم

(قال الراوى) فصاح به الخدم من كل جانب ومكان يقولون ياجميل أبشر بالخير الجزيل فقد جاد عليك المنيع بالكرم والتفضيل وقد خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك فرفع رأسه ورفع الناس رؤوسهم فلما فرغ تمسح القوم به تبركا وهنوه على ذلك وقبلوا يديه وكذلك ناقد ولم يزالوا من حوله محدقين الى أن وصلوه إلى الجنة التى يزعمون بها فلما دخلها استقبلته صاحبته الطاغية بكأس من خمر وقالت له خذ هذا فهو تمام الفرح وزوال العسر ولم يبق بعد يومنا هذا تعب ولا نصب فتناول الكاس من يدها وتجرعه وابعده الله تعالى عن بابه وطرده عن نبيه ونام مع صاحبته وكفر بالله العلى العظيم وسب رسوله الكريم فأمهله الله وأمهل الملك وقومه

استدراجا من الله لهم . ثم ان ناقدا أتى إلى أبيه وأخبره بذلك .

(قال الراوى) ففرح الهضام بذلك فرحا شديدا وقال وحق المنيع لو وصل الينا على ابن أبى طالب لفعلنا معه مثل هذا وكان يصير إلى ماصار اليه صاحبه وينسى ابن عمه وأهله وأقاربه وهل كان يرى هذا النعيم والعيش السليم ويتباعد عنه ومازال الملك فى كفره وطغيانه واعجابه بصنمه وزاد له فى التساخير والقربان وكثرة الأدهان قال فلم يمض الايومان أو ثلاثة بعد أمر جميل والقوم فى لهوهم وسرورهم والسدنه من حول الصنم وقد هجع القوم فى بعض الليالى وهم بين نائم ويقظان وقعود أو قيام اذا صرخة عظيمة دوى منها المكان فوثب لها كل قائم ريظان فازدحم الناس على الأبواب وقام الملك من على سريره وأولاده حواليه فقال الملك لولده الأصغر وكان اسمه غنام انظر يا بنى المنيع ولاشك أنه وقع بنا أمر فانظر ماهذا الخبر فمضى غنام ورجع وهو طائش العقل فقال ياأبت انه صراخ المنيع ولاشك انه وقع امر فركب الملك من وقته وركب اولاده من حواليه واحدق به حجابه واهل مملكته واجتمع الناس اليه وادروا به من كل جانب فعند ذلك تكامل القوم وسار بهم الملك حتى دخل بهم على الصنم بعد سكونه فلما دخل عليه الملك صاح واضطرب ونطق الشيطان من جوفه ينشد ويقول :

قد حل فى ساحتكم ليث بطل	ورمى الشجعان كلا بالخبل
هذا عن قريب وقد وصل	فادهموه بالسيوف والنبل
ثم اقطعوا منه بعزمكم الأمل	فهو لكم وفى يديكم قد حصل
فهو بوادى الظل فيه قد نزل	وهو على ليس فى قولى زلل

(قال الراوى) وكانت هتفة الصنم قبل ان يصل الامام الى حصن الوجيه حين قتل المغضب وخلص السائمة وردها و تفوق بعد ذلك حتى فتح الحصن فلما سمع الملك من صنمه هذا الكلام قال يا إلهى وياسيدى لاوقفته بين يديك ذليلا حقيرا وتحكم فيه بماتشاء وتختار ثم ان الملك التفت الى ولده ناقد وكان أكبر اولاده فقال له يا ناقد اسجد لالهك فانك لعدوه قاصد وله فائدعن قريب تأتى به حقيرا ذليلا فخر ناقد ساجدا للصنم فسمع عند ذلك ضحكا واستبشارا وفرحا وسرورا من الصنم ثم قال يا ناقد ارفع رأسك واسرع بالاستعجال واجمع الابطال واسرع فى الارتحال حتى تذيق حيدرة النكال وتأتى به فى القيد والأغلال منكسا فى أسوء حال حتى يجىء

فى حضرتى فى الحال فأذيقه العذاب والنكال

(قال الراوى) فلما سمع ذلك ناقد قام مسرعا وعطف مع أبيه الى منزله فقال الملك يا بنى أعلم أنك وافر العقل تام الفضل وان الهك لا يحذر الا من أمر عظيم وهذا الغلام المذكور على بن أبى طالب وأنه قد شاعت بين العرب أخباره وقد ظهر أنه فارس صنديد وبطل شديد وقرم عنيد ألا وان الهك وعدك بالنصر عليه وأخبرك أنه وحيد فريد فامض اليه وخذ من تختاره من قومك وعشيرتك وأوصيك اذا لقيته فحذره من نارى وشوقه الى جنتى فان ركن فخذ بالعفو عليه وابسط جناح الاحسان اليه وان أبى فاغتنم انفراده فانك آمن من ناصر ينصره ومعين يعينه ولاشك أنك تجده عند حصننا الأقصى وهو حصن الوجيه نازلا مع الرعيان لأن الهنا قد أخبر أنه نزل هناك وحده ولكن كن على حذر منه وانتخب من قومك من ترضاه

(قال الراوى) فعند ذلك قام ناقد على قدميه وجعل يخترق الصفوف ويتصفح وجوه الرجال وينتخب الأبطال الى أن اختار من صناديد القوم ألف رجل فوارس فلما برق ضياء الفجر خرج ناقد وقومه وقد تزينوا بزينتهم المدخرة عندهم ولبسوا على رؤوسهم التيجان المرصعة باليواقيت والجواهر الثمينة وقد توشحوا بالبرد اليمانية وركبوا الخيول العربية وناقد بن الملك الهضام أكثر من زينته وله ذوائب تبلغ الى مؤخر سرجه وهو مقلد بسيفين عن يمينه وعن شماله وبيده رمح خطى فلما تكامل أصحابه وعزموا على المسير ركب أبوه معه يشيعه ويوصيه ويحرضه على الامام رضى الله عنه الى أن بعد عن الحصن فرجع الملك الى حصنه وسار ناقد وهو يجد السير ويظن أنه يلقى الإمام وحده منفردا فى طريقه فيقبض عليه ويأخذه أسيرا من غير حرب ولا قتال وجعل كلما أتى حصنا من حصون أبيه خرجوا اليه فيكتم أمره عنهم خيفة أن يسبق الخبر الى الإمام فلم يزل سائرا الى ان وصل الى وادى الحدائق وحصن رامق فخرج اليه أهل الحصن وسألوه عن سبب خروجه فقال لهم هل طرقكم طارق أو أتاكم خبر من مدينة يثرب فقالوا له وحق أبيك ما رأينا الارسولا مر بنا من مدة أيام يزعم أنه من عند محمد بن عبد الله رسولا بكتاب لأبيك فقال لهم ناقد وصل الينا بكتابه ودعوناه الى ديننا فأجاب وركن اليه وسجد لالهنا وتلذذ بجنتنا ففرح القوم بذلك وقالوا له وهل جد عزمك الى مدينة يثرب التى فيها أعداؤنا وأمرت فيها بأمر فقال لا ولكنى سائر الى حصن الوجيه وأعود راجعا فبات عندهم

الى الصباح ثم ارتحل وجد فى السير

(قال الراوى) فبينما هو سائر اذ لاح له غبرة عظيمة فتأملها وقال لقومه إما تكون هذه الغبرة العظيمة فقالوا له لعل ان تكون غبرة مال أو ظباء شاردة أو زوابع عاقدة فقال لهم ناقد لو كانت كما تقولون لكانت منفرجة وهذه عقدة منعقدة فتأملوها جميعا فقال بعضهم وحق المنيع ان هو إلا جيش وقال بعضهم غير ذلك فتحير القوم من ذلك ووقفوا جميعا فبينما القوم واقفون متحيرون اذ انكشف الغبار ولاحت لهم الأسنة ولمعانها وهى تبرق كالبرق وكواكبها زاهرة فذهل القوم من ذلك ولم يعلموا أنه جيش الامام رضى الله عنه وكان الامام قد نظر من بعيد فقال لقومه ياقوم ألا ترون ماأرى فقالوا ياابن عم رسول الله ماترى قال إنى أرى جيشاً كثيرا فتأمل القوم فنظروا جيش ابن الملك فقال الإمام يامعشر المسلمين لاشك ان أصحاب الحصون قد بلغهم خبرنا وقد خرجوا الينا واستقروا عليها فهل منكم من يسرع اليهم ويأتينا بخبرهم ويعرف منهم ماقصدهم لنكون على علم .

(قال الراوى) فتقدم اليه جنبل بن وكيع وقال له يامولاى انى لكلامك سامع ولأمرك طائع مرنى بما تشاء وتختار فانى وحق ابن عمك محمد لاأخالف لك امرا فجزاه الامام على ذلك خيرا وقال له انت لها ياجنبل فأسرع اليهم فان كانوا من اعدائنا فلا بأس ان تخدعهم بخديعتك ويكون لك فى الخداع حسنة واذكر لهم انكم ظفرتم بى وأمسكتمونى وأسرتمونى وانكم سائرون بى الى الملك الهضام لتاخذوا منه الجزاء والاكرام ثم قال الامام بادر وفقك الله الى مسيرك واعانك فى امورك فلما سمع جنبل بن وكيع ذلك ركض جواده ركضاً وجد سريعاً الى أن قرب من جيش ابن الملك الهضام فوجدهم قد جردوا السيوف وأوتروا القسى وعزموا على القتال والحرب فنظر جنبل اليهم والى حميتهم واذ هو بناقد بن الملك وكان اعرف الناس به وكان جنبل صاحب خديعة كثير المكر والحيل فلما عرفه وتحققه وعرف ناقد بن الملك ترجل جنبل عن جواده وأقبل يسعى على قدميه .

(قال الراوى) فلما قرب من ناقد خر ساجدا لله تبارك و تعالى فلما نظر اليه ناقد عرفه وظن أنه ساجد اليه فقال ياجنبل ارفع رأسك فقال يامولاى عبدك وابن أمتك فقال ناقد اركب جوادك فركب جواده فقال له ناقد ياابن وكيع ماوراءك وما الذى بلغك من خبر هذا الغلام الكثير الانتقام على بن أبى طالب فقال له جنبل اسمع يامولاى بينما نحن فى سرحنا وغنمنا على جرى عادتنا

ونحن فى الظل مجتمعون جلوسا نرتع و نلعب إذ حضر إلينا غلام من أعلى الوادى وهو يهوى كالبرق يهرول ويوسع فى خطواته وهو يهمهم ويدمدم كالأسد الغائر أو كالجمل الهائج ثم اجتمع ووثب وثبة عدى بها النهر يثب كالأرنب ويخطو كالاسد يقصر الليث عن وثبته فى عظم خلقته وكبر جثته كبير الساعدين بعيد ما بين المنكبين فتحققناه وقربنا منه وتصايح أهل الحصن ونزل اليه سيدنا المنتقم فنازله فى ميدان الحرب فلم يزل به ومعه حتى عثر برجله فى حجر فوقع على وجهه فترامت عليه الرجال والابطال فأخذوه بالاقتدار أسيرا وملكوه وصار فى أيديهم حقيرا ذليلا ثم كتفناه وحملناه بعد أن جندل منا جماعة كثيرة من الرجال والشجعان والأبطال فأجمعنا على قتله فمنعنا سيدنا المنتقم وأمرنا بحمله إلى الملك المكرم والصنديد المعظم ليحكم فيه بما يشاء ويختار ويمضى فيه مايأمره المنيع الاله الرفيع فلم نجسر أن نسير به إلا فى عدة من الابطال والرجال والفوارس خيفة منه أن يحل وثاقه ويحل بنا الويل والنكال وهذا يامولاى جملة أمرنا وغاية خبرنا .

(قال الراوى) فلما سمع ناقد ذلك من مقالة جنبل تهلل وجهه فرحا وسرورا ثم قال وحق المنيع لقد فزتم بهذا الغلام واستوجبتم على فعلكم الاكرام وما خرجت من مكانى إلا لهذا الغلام الكثير الانتقام فحصل لكم بلاملام وفخرتم به على جميع الأنام وفزتم بالعز والاعظام عند أبى الملك الهضام وعند المنيع ذى العز والاكرام لكن يا جنبل أرعبنى وصفك لهذا الغلام وأفزعتنى بذكره فعد إلى قومك وأمرهم أن يسرعوا الينا ويقدموا بهذا الغلام علينا فعاد جنبل راجعا وقال ياأبا الحسن قد أتيتك بطير سمين وهو ابن الملك فى ألف فارس قال فسار الامام على مهل حتى وصل إلى عسكر ناقد فقال ناقد وجبت لك البشارة ياجنبل فأين هذا الغلام المسمى بعلى فلم يتم كلامه حتى تقدم الامام إلى ناقد وأسفر عن لثامه وقال هاأنا معدن المواهب أنا المشهور فى المناقب أنا على بن أبى طالب .

(قال الراوى) فلما سمع ناقد كلامه قمح جواده بالسوط وصرخ فى قومه وقال ياقوم إن جنبلا قد خدعكم وما ينجدكم من القوة إلا القتال الشديد والضرب الاكيد فافرنوا المواكب وصفوا الصفوف فنفرت الرجال للحمله فقال الامام لأصحابه احملوا بارك الله فيكم وعليكم وبقى الامام ينتظر لعل أن يقع نظره على ناقد فيقبضه قال فحملت الرجال على الرجال واختلط الجمعان ووقع السيف بينهم قال فبينما الامام ينتظر ناقدا فاذا هو قد حمل وهو حسن الوجه صغير السن فلما نظره الامام أشفق عليه

أن يقتله وكان لا يرحم كافرا قط غيره فبينما الامام مع ناقد وقد حملا على بعضهما بعضا وإذا بصياح عال وإذا هو صاحب حصن الرامق ويسمى الخطاف وكان قد أرسل اليه أصحاب ناقد وقالوا له الحق ناقد بن الملك فانه مع على فى أشد القتال فلما أشرف عدو الله الخطاف على ناقد قال يامولاى ما يكون للملوك قتال ارجع ودعنى مع هذا الغلام وأنا أكفيك شره ، ثم تقدم الخطاف إلى الامام وهو ينشد ويقول

مالى أرى القوم فى كرب وفى حرج   قد سربلوا جمعهم بالويل والكفر
وكلهم جزعوا من خوف سيف على   نسل الكرام المسمى من ذوى مضر
القوم قوم إله يعرفون به   من الحديد ومن جزع ومن صخر
لأتركن عليا تحت ذلته   حتى أطوف به فى البدو والحضر
لابد من بعد ذا نار المنيع بها   يصلى ويرمى بها فى شدة الشرر

(قال الراوى) ثم حمل عدو الله ، وجعل يخوض المعمعة بسيفه وقاتل فى ذلك اليوم قتالا شديدا فبينما هو يكر على المسلمين وإذا بصوت الإمام رضى الله عنه وهو يقول أنا ابن الأبرار من نسل هاشم المختار ، أنا الضارب بذى الفقار أنا ماحق الأشرار ، أنا ولى الابرار ، فلما سمع عدو الله صوت الإمام ونهراته وزجراته وحملاته وجولاته فى الحرب وهو يخطف الفارس من سرجه ويضرب به الثانى فيقتل الاثنين فهابه القوم ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرؤوس تتناثر الى وقت العصر فافترقا وقد ملئت عرصات الوادى بالقتلى وتراجع الفريقان فى أماكنهم ورجع الإمام الى عسكره وهو كأنه غمس فى دم وهو يترنم ويقول :

حومة الحرب بغيتى ومرادى   وطريقى الى فنا الأوغاد
يا ابنة الطهر لو رأيت حروبى   وشهودى وشدتى وجلادى
وورود الحسام فى منهل النقع   لأشفى من اللئام فؤادى
هل سبيل الى حياض المنايا   هل حروب أسعى لها بجوادى

(قال الراوى) فاستبشر أصحابه وفرحوا وهنوه بالسلامة فرجعت الطائفة الأخرى الى موضعها خاسرة فافتقدوا ما قتل منهم فاذا هو أربعمائة فارس وافتقد الإمام أصحابه فاذا قتل منهم رجلان فلما أصبح الله بالصباح تراجع الفريقان الى مقام الحرب والطعان واصطفت الصفوف للمبارزة ثم قال الامام ان القوم أكثر

منا عدداً وأقرب منا دياراً وإنى أخاف من نجدة تنجدهم فيكبر علينا الأمر ويكثر علينا الشر وإنى أرى من الرأى أننا نبادرهم قبل أن يبادرونا ونفجعهم قبل أن يفجعونا وذلك أهيب لنا فى قلوبهم وأرعب فى نفسهم ثم قال لأصحابه قفوا مكانكم حتى أسير بين الصفين وأطلب البراز فعسى أن يخرج عدو الله الخطاف فآخذه بلا تعب فقالوا ياسيدنا أن فى القوم أسدين وسمين علقمين لاينكران أحدهما ناقد بن الملك والآخر الخطاف فاحذرهما وقد عرفتهما بالأمس وأنت أخبر الناس قال الإمام حسبنا الله ونعم الوكيل

(قال الراوى) ثم خرج الإمام منفرداً بنفسه وأخذ رمحه وغير حلته فلما تمثل بين الصفين قال الخطاف لناقد من هذا الذى تعرض للقتال وطلب البراز والنزال قال ناقد أو ما تعرفه قال لا قال هذا خائض الغمرات وفالق الهامات ورامى قومنا بالشتات هذا علــى بن أبى طالب فقال الخطاف إنى أراك يا ناقد كثير الوصف له لعلك كثير الارتعاد منه قال نعم يحق للمريض أن يفزع من الموت وراكب البحران يفزع من الغرق فبينما هما كذلك إذ زحف الإمام عليهما حتى قاربهما ثم نادى هل من مبارز هل من باغض فى الحياة هل من راغب فى الموت هل من دانى لأعرفه مكانى فلم يبرز اليه أحد فحمل على الميمنة فقلبها وعلى الميسره وقتل ما شاء الله تعالى ورجع إلى مكانه ونادى هل من مبارز هل من رواح إلى قابض الأرواح هل من فارس جحجاح يخرج إلى القفار الفساح فلم يجبه أحد فحمل على الميسرة وقلبها على الميمنة وقتــل ماشاء الله ورجع صوب القلب ونادى هل من مبارز أين من زعم أنه كفء وكريم فلم يتم كلامه حتى أنقض عليه ناقد وهو على جواد أشقر كريم المخبر محجل إذا طلب لحق وبيده رمح طويل معتدل الأنابيب يلتهب كالنار حتى صار بين يدى الإمام ونادى ياغلام الرفق بالمرء يوصله إلى مناه ويدرك به هواه لاوقاية لعجول ولا مروءة لملول ولا رأيت فارسا قبلك ملك ماملكت من الشجاعة والبراعة والحسن والكمال فاكشف لنا عما تريد فلعل أن تكون الإجابة عندنا والأنعام والآن قد كشف عنانك وأظهرت أو عادك ولعمرى قد كنت متطاولا لرؤيتك مشتاقا لقامتك الكفء الواقع منك ولما خصصت به من المقدرة على الأبطال وحسن فعلك فى النزال وما وصف لى شىء إلا ولاح لى أضعافه فقل ما أنت طالب وما مرادك .

(قال الراوى) فأعجب الإمام كلامه فقال له مرادى أن تقول لا إله إلا الله محمد رسول الله فاذا قلت ذلك وأقررت لله بالوحدانية فلك ما لنا وعليك ما علينا وأما

صنمكم الذميم فسوف يظهر فيه العبر وأكسره أمامكم كسرة الحجر وترجعون إلى عبادة الرحمن فتكونوا شركاء لنا فى الدين وإخواننا فى الإسلام فقال له ناقد يابن أبى طالب دونك حمام خاطر وموت بائر وشر غير فاتر فقال له الامام دونك والقتال قال فوقف ناقد يتكلم فى نفسه ويقول فى كلامه والامام يسمع فى موضعه وحق المنيع وزجراته لو تركنا حياته لغشينا فى منزلنا وطرقنا فى مراقدنا ولعمرى إنى أجد فى كلامه حلاوة ولمنطقه مرارة إنى أرغب وأخشى وأريد وأخاف وأنا محبوس تحت المشيئة يفعل بى ربى الأعظم ما يشاء فقال الامام أحسن لك أن تتقرب إلى الحق ولا تخليه ويحك من رضى لك مارضى لنفسه ماترك من النصح شيئاً الا وخصك به واعلم أن ناركم تخمد وجنتكم تفنى وصنمكم يعطب قال ناقد ومن يفعل هذا فقال له الذى يهدى إلى الحق وإلى صراط مستقيم يا ناقد أطلق لسانك بالوحدانية لله تعالى واشهد بالرسالة لمحمد صلى الله عليه وسلم يمح عنك ماسبق قال ناقد ما أنا بالذى يفعل ذلك ويبقى له العار والشنار وأنشد وجعل يقول :

النار أسهل من عار يداركنى	بين القبائل فى سهل وفى جبل
يامن بنصح يهددنى ويزجرنى	أقصر فما لك فى لومى وفى عذلى
أخشى الشنار وأخشى العار يدركنى	من أن يقال صبا من خيفة الوحل
أقبل على الحرب وأدن من مصادمتى	فلست فى الحرب زواغا عن الأجل

(قال الراوى) فلما سمع الامام كلامه تفكر فيه ساعة طويلة على ماظهر من كلامه فدمعت عيناه تاسفا عليه ولم يسمح بقتله فقال ناقد يا ابن أبى طالب خذ لنفسك واحذر من خصمك وخذ فى الجد وخل عنك الهزل فعلم الامام أن لابد له من لقائه فتقاربا والتطما وعظم بينهما الجدال والفريقان ينتظران مايفعل بهما كل ذلك والامام يظفر به ويعفو عنه ويؤمل إسلامه وهو يصرخ بالامام ويحمل عليه والامام يحمل ضربه وطعنه فما زالا على ذلك الحال حتى مضى النهار وأقبل الليل فخاف الامام أن يدركه الليل ولم ينل منه ماأمله فحمل عليه وكان قد ظهر له من ناقد التقصير فطمع فيه وجعل يدبر الحيلة عليه من أين يأخذه فتصارخت الأبطال وتزاعقت الشجعان واذا بالمشركين يصرخون ويقولون خرج الخطاف واندهل العسكران والخطاف ينادى لاتعجل ياغلام علينا فعجل عينك وأبق علينا تبق عليك (قال الراوى) فوثب الامام رضى الله تعالى عنه على ناقد وقبض عليه

فتعلق به ناقد وتعاركا طويلا فأدركهما الخطاف فتعلق بهما وماجت بهما الخيل وثار الغبار فأخفاهم عن الأبصار وسمعنا صراخ الخطاف وقد سمعنا هدرات الإمام وزجراته ثم خمد الصوت فلم يسمع لهما حس هذا والغبار متزايد وقد طال على الناس المطال وقلقوا قلقاً شديداً ولم يبق أحد من الفريقين إلا وأيس من الامام رضى الله عنه . فقال جنبل نحن فرطنا فى الإمام إذا رأيناه مع هذين الاثنين ولم نخرج اليه ولم نساعده ولم ننجده ونفديه بأنفسنا وأى عذر لنا عندالله تعالى فأجمعوا أمركم واحملوا بأجمعكم فعسى أن نخلص سيدنا وأميرنا وانه قد وقع بين حجرين دامغين ولاخلاص له من بينهما إلا أن يشاء الله وقد رام كل فريق أن يحمل ويخلص صاحبه وقد زاد القلق واشتد الأرق وازورت الحدق وغربت الشمس وزال الضياء وأزهرت النجوم وإذا بصرخة عالية وصوت كالرعد القاصف وإذا بالامام قد خرج من المعركة وهو يقول : فتح ونصر وخذل من كفر من اللئام وعبدة الأصنام هذا وناقد فى يده كالحمام فى مخاليب الباز ونظروا واذا بفارس هارب من تحت العجاج فتأملوه . فاذا هو الخطاف وأما ناقد فصار مثل العصفور فى يد الباشق فسلمه الامام لأصحابه وقال يا معشر الناس ان القوم قد خمدت جمرتهم فاحملوا عليهم بارك الله فيكم وعليكم . فقالوا يا أميرنا الليل قد أقبل والنهار قد أدبر ، فقال لهم الامام أضرموا النيران وأقلوا الرقاد وأقيموا الحرس . فانها ليلة كثيرة الأهوال والله أعلم بالمآل .

(قال الراوى) ففعلوا ذلك وأقبلوا على السهر والرصد ولم يرم أحد منهم سلاحه ولم يضع جنبه على الأرض وهم جلوس قابضون على أسلحتهم وتولى الامام رضى الله عنه حرس المسلمين إلى أن أصبح الله بالصباح . وأما المشركون فهربوا مع الخطاف الى الحصن فقال عسكر ناقد ياخطاف تمضى الى حصنك وتخلى ابن سيدنا فى الأسر أما وحق المنيع ما نسلمه لعلى الا أن قتلنا عن آخرنا ولأى شىء أنت خرجت معنا وقد رميت سيدنا ورجعت وأنت سالم . فقال الخطاف يا ويلكم قد قاتلت ومانعت عن عن نفسى وسعيت فى خلاصه فما استطعت ولولا أنى لعلى كفء لما خلصت من يديه فقالوا له امض الى حصنك ونحن اذا أصبح الصباح سعينا فى خلاصه . وأما الإمام رضى الله عنه فانه لما طلع الفجر أذن وصلى بأصحابه صلاة الصبح ثم أقبل يحرض الناس على القتال ويقول : يا معشر الناس اعلموا أنكم فى غمرة ساهون وكنتم تعبدون

الأوثان فأنقذكم الله وأسعدكم بفعلكم وهذم عدوكم بأزائكم فاصبروا وصبركم يوصلكم الى النجاة (قال الراوى) ثم ان الامام دعا بناقد وقال له يا ناقد لقد نفذ فيك القضاء وقيدك لنا رب السماء وأنت فى أمل فهل لك أن نبقى عليك قبل أن تكز برمسك . قال يا ابن أبى طالب أينجينى منك ناج بعد ما كان بينى وبينك من الوحشة والبغضاء والعداوة . قال يا ناقد إذا كان قلبى مبغضاً على كافر ثم أسلم وأقر بالوحدانية لله تعالى ولمحمد رسوله بالرسالة بدلت البغضاء بالمحبة وانقلبت الوحشة بالمردة فاذا أقررت بهما يطيب عيشك وتفوز بخير الدنيا والآخرة . قال يا ابن أبى طالب ومن يخلصنى من المنيع . فقال إن طول الله عمرى لتنظرن صنمك المنيع بأمر هائل شنيع وتراه فى النار التى وصفتها ملقى حريقاً صريعاً فقال يا ابن أبى طالب لاشك فيك ولا فيما أظهرته وفعلته فقد وهبته نفسى لك فى هذا اليوم ولا أبالى بما يلحقنى من المنيع ولا أبى ولا ذوى حسبى وأنا أقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وقد أفلح من آمن بربكم وخاب من كذبكم وهأنا أقاتل بين يديك فى القوم لله ورسوله ولك ولا أبلغك إلا الرضا .

(قال الراوى) فسر الإمام سروراً عظيما وقال له البس لامة حربك واركب جوادك حتى تخرج إلى قومك ثم أمر المسلمين بركوب خيولهم وفعلوا ما أمرهم به الامام . فلما تقاربوا المشركين قال الامام لناقد يا ناقد ابرز بين الصفين وادع قومك إلى الاسلام فلعل الله يهديهم كما هداك فخرج ناقد وهو راكب على جواده ولابس لامة حربه . فلما نظر اليه قومه فرحوا به فرحا شديداً ولم يبق أحد منهم إلا عرفه وقد ظنوا أن الامام أطلقه . فلما قرب منهم ناداهم بأعلى صوته : يا بنى باهلة قد ظهر الحق وانكشف الغطاء ـ وجاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ـ هذا باب الايمان وصاحب محمد عليه السلام صاحب النور والبرهان ، هذا على بن أبى طالب ساقى الأعداء سم البلاء بسيف الله يا قوم اعدلوا عن الضلالات واعتذروا إلى رب البريات يغفر لكم ما مضى وما هو آت يا معشر قومى وعشيرتى ليبلغ عنى كبيركم صغيركم أنى قائل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله لا أحول عنها ولا أزول وما أنتم أشد منى بأساً ولا أقوى حرساً وهذا باب قد فتح الله طريقه ولاح لكم تحقيقه فكونوا مثلى تفوزوا بالشهادة وتكونوا من أهل السعادة (قال الراوى) فما كان غير ساعة حتى ظهر من القوم كردوس عظيم نحو من الف فارس ولم يزالوا سائرين حتى وقفوا عند ناقد وإذا هم أصحابه الذين

هم خرجوا معه من عند أبيهم يقولون ياسيداه لنا أسوة بك والذى تختاره أنت نرضاه ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وهـذا تصديق إيماننا . ثم عطفوا على قومهم أصحاب الخطاف ووضعوا فيهم السيف وحملت المسلمون معهم والامام فى أوائلهم وناقد إلى جانبه فلم تكن إلا ساعة حتى ولت المشركون ولم يزو السيف والطعن واقعا فيهم وكان الخطاف على ساقة العسكر فقاتل قتالا عظيما فلما ولت أصحابه ولى طالبا الحصن فدخل الحصن هو وأصحابه ثم إن الامام جمع الغنائم وكثرت المسلمون واشتدوا بناقد وعزمه وقوته وصار المسلمون نحوا من ألف وخمسمائة فارس وكلهم أبطال عوابس فتبعوا أصحاب الخطاف ولم يزالوا معهم إلى باب الحصن وأغلقوا بابه ونزلت المسلمون عليه بقية يومهم وقد امتلأت الحصون بذكر الامام وقد قذف الله فى قلوبهم الرعب .

(قال الراوى) ثم ان الخطاف لما دخل الحصن قال له أصحابه ياسيداد ماوراءك وما الذى دعاك وبشره رماك ؟ فكان لايقدر أن يرد جوابا من شدة الخوف فقال لهم أغلقوا الباب وحصنوا أنفسكم قال ففعلوا ما أمرهم به وأقبلوا اليه وهو جالس فلما سكن روعه سألوه ما الذى دعاك قال يا قوم قد ذهب زمانكم وملكت منكم نساؤكم وأوديتكم وحصونكم وما ملكت أيديكم وصرتم تحت الاذلال والسيف الماحق بالزوال فقالوا له أيها السيد بين لناماوراء كلامك فقد أرعبت قلوبنامن خطابك فقال ياقوم قد دهمتكم المحمديون وهم ليوث أبطال يقدمهم الليث المغوار والأسد الريبال الطالب لما يريد الهين عليه كل صعب شديد. الذى كأنه صاعقة من السماء قد نزلت فأحرقت الأرض جميعا وأخذت قلوب الرجال مفلق الهام وهاشم العظام اذا نظره الليث اندهش وإذا عاينه الضرغام ارتعش كأنه قابض الأسد وقد احتوى على ناقد بن الملك وأتباعه وقد خطفه من سرجه كأنه عصفور فانظروا الأنفسكم فان عليا حق بكم ثم أنشد وجعل يقول :

دنا الموت منكم فاستعدوا النزاله فعما قليل مقبل غير راحل

فما حل فى أرض وأفلح أهلها ولا سعدت سكانها فى المنازل

هو الموت يغشى الناس فى كل بلدة إذا جاء قوما ليس عنهم بزائل

فما خشيتى من موتى بحسامه ولكننى أخشى أن تذل حلائلى

فلا تشغلوا أرواحكم بنسائكم فعما قليل نازل غير راحل

(قال الراوى) فلما سمع قومه ذلك ضجوا بالبكاء ضجيجا شديدا وتصارخوا بالويل

والعويل وكذلك النساء والولدان فبينما هم كذلك فى صراخهم اذ ظهر لهم ابليس اللعين فى صورة شيخ كبير قدافناه الزمان منحن تكاد جبهته تصل إلى الأرض وعليه جبة صوف فى شكل الرهبان وبيده عكاز ووسطه مشدود بخيط من صوف وفى رجليه نعلان من خوص النخل فلما نظره القوم تنافروا يميناً وشمالا فصرخ بهم ماتنافركم عنى وانا رسول المنيع ارسلنى اليكم حتى ارى ما بكم من الجزع وشدة القلق والفزع لأسكن قلوبكم وابرز لقتال عدوكم فأزيل عنكم الشدة وابطلوا البكاء والحزن من الأعداء وإذا اشرف عليكم هذا الغلام أنا اتولى قتاله دونكم ولا أريد منكم نصيرا ولامعيناً وإذا رأيتمونى قد وصلت اليه واحتويت عليه وقدظهر المنيع بجنوده ونيرانه ودخانه فمن أراد ان يسبق الى خيل القوم وسلاحهم فليبادر لما شاء من ذلك .

(قال الراوى) فلما سمع القوم منه ذلك خروا للصنم سجدا ثم رفعوا رؤوسهم وقد زاد فرحهم وزال حزنهم واشتدت قلوبهم فعند ذلك قال لهمروع الوحوش : أيها الشيخ الكبير إنى لأظنك من جند المنيع إلهنا فقال له ابليس اجل وأنا رسول بينه وبين عباده لأنى اسبق الناس الى عبادته وخدمته فجزانى بذلك الكرامة فكونوا فى اماكنكم حتى تروا مايسركم من قتل عدوكم . فقالوا له: ياأيها الرسول انا نراك أضناك الكبر الكبر وإننا لا نوقن أن لك طاقة على الحرب والنزال وشدة القتال فكيف تطيق هذا الغلام الذى جللنا الارغام وأنت قدأخذك الكبر والهرم حتى لاتستطيع النهوض إلا بالجهد فقال لهم إبليس لعنه الله : كيف تشكون فى المنيع وتقولون انه لا يقدر على شيء فقالوا له انا لا تشك فى ذلك أبدا وتعرف ان المنيع له عزم عظيم ولكن نريد ان نرى شيء من برهانك لنكون على علم وتطمئن به قلوبنا وتنشرح بذلك صدورنا .

(قال الراوى) فلما سمع منهم ذلك قال لهم ان المنيع لوأراد هلاك هذا الغلام قبل وصوله اليكم لفعل ذلك ولكن يريد أن يستدرجه الى أن يوقعه فى أيديكم حتى يذيقه العذاب والهوان وتنشرح بذلك صدور الرجال وتنالوا عنده المرتبة العليا والمفخر الزائد النعيم والعيش السليم فى دار النعيم وبعد ذلك يهلكه فانه ذو عزم شديدوأنا أريكم بيان ذلك وبرهان المنيع الاله الرفيع وشدة قدرته ثم بسط يديه وأومأ بهما الى الحصن فتخيل لهم انه قدرفع الحصن فوق اصبعه واشتا له فى الهواء وقد تزعزع وارتج فذهل القوم لذلك وصرخ الرجال والنساء. ثم عاد فوضع يديه فرأى القوم الحصن كما كان فى مكانه فخر القوم

سجدا للمنيع فقال لهم إبليس ياقوم ارفعوا رءوسكم: فقد أمنتم مما تحذرون وأنا ناصركم على عدوكم فلا تخافوا ولاتحزنوا ثم غاب عن أعينهم فلم يروه .

(قال الراوى) فعند ذلك قال لهم مروع الوحوش : أبشروا ياقوم فقدجاءكم الفرج وابتهجت المهج فاظهروا لعدوكم وحضروا أهبتكم وأيقظوا قلوبكم وأفيقوا من رقدتكم وبينوا شدتكم وقوتكم فلما سمع القوم ذلك لبسوا سلاحهم وآلة حربهم وتفرقوا فى جوانب الحصن وضربوا على سوره سرادقا من جلود الفيل ونصبوا الرايات والأعلام وعزموا على الحرب والقتال وقد أصلحوا شأنهم فبينما هم كذلك إذ أشرف عليهم الامام رضى الله عنه وأصحابه معه على مهل وقد رفضوا الطيش والعجل وعليهم الهيبة والوقار فانحدر الامام رضى الله عنه إلى الوادى وأشرف على حصن رامق وقد أزهرت الحدائق والشمس قد أصفرت لغروبها ودنا مغيبها فكبر الامام وكبر أصحابه معه ثم نزل وأمر اصحابه بالنزول فنزلوا من حول الحصن وانسدل الظلام وأضرموا النيران وتحارس الفريقان والامام رضى الله عنه متولى حرس قومه بنفسه وهو يحوم عليهم كحومه الليث على أشباله وهو عليهم كالأب الشفيق والأم الرؤوف بولدها .

(قال الراوى) فقال عدو الله الخطاف مروع الوحوش لأصحابه : إنى لم أر رسول المنيع صنع فى ابن أبى طالب شيئا وماهو نازل بأرائنا بالسلامه فقال له قومه أيها السيد لاتستبطل قول رسول المنيع فكأنك وقد وقع بهم الأمر الشنيع فقال لهم احفظوا حصنكم وانزلوا من داخله لئلا يتقدموا عليكم ويدهموكم فابتدر جماعة من القوم إلى ذلك وعدو الله الخطاف يدور على سور الحصن لينظر ماوعده به رسول المنيع وهو قلقان شاخص الى جهة الامام رضى الله عنه لا يعلم بغير ذلك فبينما الامام مع اصحابه إذ لاح لهم برق نار وإضرام شرار وقد بان من ناحية الشرق ولاح البرق فحقق اليه الامام وقال لمعت نار مارد وشيطان راصد أتراه أن يتعرض لى ولاصحابى وهو أعرف الناس بى الى معه من الوقائع وقد أوصلنى الله اليه وأظهرنى عليه ولولا الأجل المحتوم والوقت المعلوم وماوعد الله سبحانه وتعالى لكان قبل اليوم هالك ولكن الله بالغ أمره

(قال الراوى) ثم إن الامام رضى الله عنه أيقظ أصحابه وجماعته وأمرهم بالجلوس ورفض المنام فوثب الراقد وقام القاعد فنظروا إلى تلك النار وهى اليهم قاصدة وشررها متوقد ودخانها عاقد ولهيبها متزايد فقال جنبل بن وكيع ياأمير المؤمنين

ماهذه للنار ؟ فقال الامام ياقوم سكنوا روعكم وطمنوا قلوبكم فانها آثار الشيطان ولا سبيل له على أهل القرآن وجنود الرحمن فبينما الامام يخاطب قومه إذ تزايد لهيبها واشتدشواظها وكثر شررها وعلا وهيجها وارتفع لسانها إلى عنان السماء وهى تنتشر من الأرض قطعا قطعا ثم يتلاحق بعضها ببعض وترتفع ويسمع لها قعقعة عظيمة وصلصلة فلما نظر الامام إلى ذلك أخذرمحه وخط به خطاحول أصحابه وناداهم اجتمعوا ولا تفرقوا واذكروا ربكم أصبروا فأنالها ولا خمادها وأنا المسلط عليها دونكم .

(قال الراوى) ثم جعل الامام رضى الله عنه يقرأ القرآن ويتلو آيات الله العظام وأسماءه الكرام عند الرسم الذى خطه برمحه وهو دائر به حول أصحابه ولم يبق أحد من خارج الرسم غيره ثم قال يامعشر الناس إنى ضربت عليكم حصنا حصينا وسرادقا منيعا فلا يخرج منكم أحد ومن خرج فلا يلومن إلا نفسه واتركونى أنا لهم والله المعين والناصر عليهم إنه على كل شيء قدير فقال ناقد بن الملك ياأبا الحسن كيف يجوز لنا أن نسلمك إلى المارد الشديد المعاند إلا أننا نقاتل بين يديك تقربا إلى الله تعالى فالتفت الامام رضى الله عنه متبسما غير مكترث بما ظهر له وقال ياناقد أنت قدمك الله المبارزة الرجال والأبطال فليس لك طاقة على قتال الجان فقال ناقد ياأبا الحسن لا أنزع الله ماأعطاك وأتم عليك ما أولاك .

(قال الراوى) فبينما الامام يخاطب ناقد وهو يخاطبه إذ وصلت النيران اليه ثم انشدت ودارت حول أصحابه وصارت كالسرادق المنصوب عليهم وهى دائرة بهم من كل مكان وتزاعقت الجن بأصواتهم صار لهم نباح كنباح الكلاب وعوى كعوى الذئاب وزئير السباع وجلبوا ورهجوا باصوات كريهة عالية فظيعة لم يسمع السامعون بأفظع منها ففزع كل من كان مع الامام وخافوا وأيقنـــوا بالهلاك وأيسوا من أنفسهم ومال الامام رضى الله عنه اليها ومال بعضهم إلى بعض والتصقوا وأمسكوا عن الكلام هذا والنيران قد خمدت باذن الله تعالى فبينما هم كذلك إذ سمع مروع الوحوش الخطاف أصواتا وضجات وهو داخل الحصن حتى نظر إلى النيران وهى محيطة بالامام وقومه

(قال الراوى) فنادى الخطاف قومه وقال لهم كيف رأيتم نصرة الاله المنيع لقد خاب من عاداه وخالف أمره ورضاه فدونكم والغنيمة الشاملة والمسرة الكاملة الحقوا بقوم فعساكم أن تحصلوا شيئاً من سلاحهم وخيلهم قبل أن تأتى اليهم النار فتحرقهم وتحرق أسلحة

تدركوا ابن أبى طالب قبل أن تلهبه فتأتوا به وتحملوه أسيرا ذليلا حقيرا إلى الملك المضام والاله المنيع فيحكم فيه بما يشاء ويختار وتكون لكم الخلع والاكرام والمراتب العظام على أسركم لهذا الغلام ومن معه هذه العصابة الطاغية .

(قال الراوى) فقال له رجل يقال له جندب بن عميرة الحميرى وكان رجلا مكينا شجاعا رزينا له بصيرة وعقل ورأى سديد يامروع الوحوش الزم مكانك فهو أصلح لك وقاتل ابن أبى طالب وأنت فى حصنك فهو أيسر لك وأسلم إن ناره أعظم من هذه النار وسيف محمد يطفىء هذه النيران وأنا أعرف مالا يعرفه غيرى أنا مخترق النيران وخائض سحب الدخان ومناضل المردة والجان فى كل مكان فكن مكانك فان غلب ونكب فهى المسرة التامة والفرحة الشاملة وإن سلم وغلب كنت أنت محصنا بحصنك فلا يصل اليك ولا يقدر عليك .

(قال الراوى) فلما سمع الخطاف ذلك الكلام نهره وزجره وقال له اسكت لا أم لك لقد صرت شيخا كبيرا لاعقل لك ولا سكن معك سوى الخوف من ابن أبى طالب حتى صار ممتلئا به قلبك وظهر من بين عينيك ياويلك أيغلب ابن أبى طالب إلهنا المنيع وجنده أو يكذب رسوله فيما قال لنا ويعدنا بالمحال وإنى لا أعلم أن لا يأتيهم الصباح إلا وهم رمادا ياويلك أما رأيت رسول المنيع كيف رفع الحصن على يديه حتى كدنا أن نخر على وجوهنا لولا تضرعنا اليه ولو أراد أن يقلب عليهم هذا الجبل لقلبه عليهم ولو أراد أن يخسف بهم الأرض لخسفها بهم قال له جندب أما أنا فقد نصحتك وحذرتك وما قلت لك ذلك إلا شفقة عليك وعلى من معك والمنيع يعلم ذلك منى وإن كان المنيع قد من علينا وجاد لنا بأموالهم فهو غير بخيل بما يعطينا ونحن فى حصننا وأنت الآن مالك أمرنا وأمامنا فلا أفارق مكانى لازما لموضعى إلى أن أنظر ما يكون فقال له مروع الوحوش الخطاف كن مع النساء وعليك الحرس ثم تركه ونزل مغضبا وقال لقومه دونكم وأعداءكم فانحدر القوم مسرعين فلما خرجوا من الحصن أمر جندب بغلق الباب خلفهم وإيثاقه بالأقفال وقال لمن بقى معه فى الحصن انظروا لأنفسكم واحفظوا حصنكم فما أظنكم عدتم تنظرون قومكم بعد هذا اليوم أبدا فهذا ما كان من عدو الله الخطاف وقومه

(قال الراوى) وأما ما كان من أمر الإمام رضى الله عنه فانه لما احاطت به النيران واحدقت به من كل جانب ومكان نادى برفيع صوته يامعاشر الجان بأى شيء تتعرضون وعلى أصحابى توهجون وإلى بدخانكم ونيرانكم تقصدون وأنا عذابكم النازل

وحامكم الواصل وسهمكم القاتل أنا أبو الزلازل أنا ابن عم الرسول الفاضل أنا ممزق الكتائب أنا مظهر العجائب أنا الليث الغالب أنا الغيث الواكب أنا البحر الساكب أنا النجم الثاقب أنا المذكور عند المطامع والمواهب أنا هازم الجيوش أنا المعروف فى المشارق والمغارب أنا ليث بنى غالب أنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب

(قال الراوى)فاحترق تلك النيران ومزق نيرانهم وأذهب دخنهم واهلك أشخاصهم وقتل مردتهم فولوا ناكصين وانهزموا على أعقابهم راجعين إلى أن وصلوا إلى الرسم الذى رسمه أمير المؤمنين فلما وصلوا اليه تراجعو عن أصحاب الإمام ولم يستطيعوا اليهم وصولا وصار الرسم حصنا بين الجان وبين أصحاب الأمام ولم يجدوا صبرا على ماطرقهم فخرج منهم ناس هاربين إلى الامام طالبين فمازالوا عن الرسم حتى كادوا ان يهلكوا ويحترقوا وكانوا سبعه أنفار ومنهم جنبل بن وكيع وناقد بن الملك من أتباع رسول الله ﷺ فلما قربت منهم النار قيل الجان نادوا برفع أصواتهم ياسيداه ياعلياه يامحمداه ياربا ه فلما سمع الامام أصواتهم أسرع اليهم وهجم عليهم فتنافر الجن عنهم يمينا وشمالا عند وصول الامام فخلص الامام قومه وقال لهم ماحملكم على ذلك ولم خالفتم أمرى فقال جنبل ياسيدى ضعف اليقين وصولة الجان فماهذا وقت ملام وكن مخلصا لنا ولنفسك من هذه الأهوال فتبسم الأمام ضاحكا من قولهم وهو غير مكترث مما قد نزل بهم وقال لناقد خذ عمامتك ولا تطأها برجلك وشدها على رأسك فقال له ناقد لله درك ياأبا الحسن لم يشغلك ما انت فيه عن عمامتى ثم ضمهم الإمام إلى مكانهم وجعل يحوم من حولهم :

(قال الراوى)فبينما الإمام كذلك إذ سمع صوت مروع الوحوش وقومه ولهم جلبة بالصراخ وعطعطة بالصياح وهم ينادون إلى اين يا ابن ابى طالب من عذاب المنيع الواصب لقد غرك الذى ارسلك إلى المنيع انا مروع الوحوش انا الخطاف انا اليوم سأخطفك واخطف روحك الساعة من جسدك ثم هجم هو واصحابه على الإمام وهم ينادون. أيها الرسول الذى بيننا وبين الهنا المنيع الهب لنا هذا الرجل بنارك واحرقه بشرارك واهلكه بدمارك ثم تقدم إلى الإمام وهو يظن انه ظافر به وقال لا يسبقنى احد الى ابن ابى طالب فانى اطلب بأسره أعلى المراتب . فقال له الإمام ماأنا موقوف عليك ومردود اليك فدونك فافعل بى ما اردت فظن عدو الله ان امير المؤمنين قد اسلم نفسه فقصد نحو الإمام وهو يقول :

شكرا لمن أيدنا بنصره   لأملأن رمى أرضه بشكره
إذا خلد القوم بذل أسره   هذا على قد أتى بشره
وقومنا قد فزعوا من سحره   لأذيقه اليوم عذاب أسره

(قال الراوى) فما استتم اللعين كلامه حتى أتاه صائح من النار وهو ينادى ياعبد المنيع توقف حتى أريك ماوعدتك من أسر هذا الرجل فوقف الخطاف وأمر أصحابه فوقفوا وقدفرحوا بماسمعوا وسمع ذلك أصحاب الامام رضى الله عنه فخافوا وداخلهم الفزع والجزع فهاجوا وماجوا فناداهم جنبل وقال ياقوم اثبتوا رحمكم الله واستعينوا بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فبينما هم كذلك إذ سمعوا من النار صوتاً عالياً عظيما هائلا له دوى كالرعد القاصف وهو يقول :

دونك ياخطاف من عدوكا   فالزمه بالنيران لاتهوى بكا
فالنصر قد أتاك من وليكا   وهو المنيع قد أتى لنصركا

(قال الراوى) فلما سمع قوم الامام ذلك زاداضطرابهم وكثر قلقهم وسمع الخطاف ذلك صاح بعلو صوته لايتداركنى أحد ولا يشاركنى فى ابن أبى طالب فسمع الإمام وقومه ذلك من الخطاف وكان جهورى الصوت وكان إذا خرج الى الصيد والقنص ولاحت له طريدة من الوحوش يصرخ عليها فتقف مكانها وتبطل حركاتها الى أن يصل اليها فيأخذها فبذلك سمى مروع الوحوش فلما سمع الإمام وأصحابه ذلك ارتجت قلوبهم وتعاظمت كروبهم وفاضت عبراتهم وتقدم مروع الى الإمام وهو يظن أنه فى قبضته فنظر اليه وهو كأنه سابقة ريح عقيم أو صرصر هشيم وهو يجول من حول أصحابه كالأسد والجن تتحايد عنه يمينا وشمالا فلما نظر مروع الوحوش إلى الإمام رضى الله تعالى عنه وهو على هذه الحالة اندهش وارتعش وانكسرت حميته وخمدت جمرته وندم على خروجه من حصنه وقال انى لأرى ابن أبى طالب لجند المنيع غالب ثم هم أن يرجع فتداركه الإمام ونهره وقال ياويلك أيغلبنى غالب وأنا الحسام القاضب والقرم الطالب ممزق الكتائب ومظهر العجائب ومبدى الغرائب : أنا البحر الساكب أنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب ثم حمل الإمام عقب كلامه على مروع الوحوش وقال الله أكبر فتح ونصر وخذل من كفر بالدين محمد خير البشر وأنشد وجعل يقول :

انا على عابد الجبار   انا ابن عم المصطفى المختار

ونقمة الله عـــلى الاشرار　　أفنيهمو بالصـــارم البتـار
أبليهمو بالويل والدمار　　وبعدها يا معشر الحضار
صـــلوا على النبي المختار　　محمد المخصوص بالانوار

(قال الراوى) فعند ذلك نظر مروع الوحوش إلى الإمام فرآه وهو كأنه الاسد الضرغام إذا عاين فريسته فعلم أنه لا طاقة له به فأيقن بالهلاك فولى هاربا وللنجاة طالبا والتجأ إلى نصرة أصحـابه فخافوا من الإمام وهابوه ولا جسر أحد منهم أن يتقدم اليه فالتفت الخطاف الى ناحية النيران يطلب معينا ومنجداً له فكشف الله عن بصره فرأى إبليس اللعين هو وقومه وجنوده هاربين فناداه يا رسول المنيح أين الذى وعدتنا بهمن النصر على على ابن ابن طالب ومالى أراه لـكم غالبا ولى طالباً ، فناداه اللعين إنى برىء منك فلما سمع مروع الوحوش ذلك ألقى سلاحه من يده وقال يا أبن أبى طالب أبق على أسيرك وأحسن إلى بكرمك فتقدم الإمام رضى اللهعنه إلى مروع الوحوش وأوثقه كتافا بعمامته وأخذه أسيرا وقاده حقيراً ، فلما أن أخذ مروع الوحوش ولى أصحابه هاربين وإلى حصنهم طالبين وهم لا يصدقون بالنجاة فسلم الإمام مروع الوحوش إلى جنبل وناقد فأخذ يحدثهم بما تم له معه اذ سمع صراخ بقية قومه ، وقد مالت النيران اليهم وهم ينادون الينا ياابن عم رسول الله قبل أن نهلك فقال الإمام لناقد وجنبل أقبضوا على الاسير ولا ترحلوا عن أماكنكم حتى أنطلق الى أصحابكم .

(قال الراوى) ثم سار الامام نحو النيران وهو يقول يا شرجيل أسكنوا البرارى وأستوطنوا خلاء القفار لئلا ترموا بالدمار من عند رب قادر قهار أنا عـــلى المرتضى الـكرار وابن عم المصطفى المختـار . أنا على ولى الجبار مبيدكم بالحد والشفار ومحللكم بالويل والدمار فما استتم الامام رضى الله عنه كلامه حتى ولى الجن هاربين ووصل الامام الى أصحابه فاستبشروا بقدومه فأقبلوا يسألونه عن حاله . ما كان فى ليلته وهو يحدثهم : فبينما هم فى الحديث اذ سمع صراخ جنبل وناقدوهم ينادون يا ابا الحسن ادركنا قبل ان تتركنا فقال الامام يالها من ليلة ما اكثر عجائبها وغرائبها يا قوم اثبتوا امكانكم حتى أعود اليـكم ثم تركهم وأسرع الى جنبل وناقد فوجدهما قد مالت عليهما النيران وسحب الدخان فقال هذا أمر يطول فرمق بطرفه الى السماء وتكلم بـكلام لم يفهمه أحد فـــا أستتم دعاءه حتى نزلت من السماء سحابة من نار فأحرقت تلك القبيلة بأسرها وتركتهم رماداً وخمدت نيرانهم وذهب دخانهم

(قال الراوى) فلما وصل الامام رضى الله عنه إلى ناقد و جنبل وجدهما يبكيان فقال لهم الامام ما هذا البكاء وقت الفرج فقال له ناقد يا سيدى لما عمتنا الأهوال وأحاطت بنا النيران واشتغلنا عن مروع الوحوش بأنفسنا لحل الخطاف وثاقه وفر هارباً إلى حال سبيله فلما سمع الامام ذلك صعب عليه وكبر لديه ثم قال لا بأس عليكم طيبوا خواطركم فوالذى بعث ابن عمى بالحق بشيرا و نذيرا لأرينكم فيه ما يسركم وأنا أعلم أن لا ملجأ لعدو الله غير حصنه فياقوم ان الله سبحانه وتعالى قد كشف عنكم ما كنتم فيه فامضوا الى أصحابكم وإخوانكم ولا تزولوا عن أماكنكم إلى الصباح فأتى منيع أثر القوم وصاحبهم الخطاف فان أصبح الصباح ولم آت لكم فاقصدوا أنتم الى الحصن تجدونى فيه ان شاء الله تعالى قد مثلت بهم .

(قال الراوى) فسار الامام رضى الله عنه بعد أن ودع قومه وهو يسير فى خطوته ويهرول فى مشيته الى أن وصل الى الحصن فرأى القوم على أعلى الحصن وقد أوقدوا نيرانهم فرآهم الامام فى ضوء النار وهم لا يرونه وقد وصل القوم المنهزمون الى الحصن وهم تحت الذلة والخذلة لفقد عدو الله مروع الوحوش فبينما هم كذلك اذ تقدم الامام الى قريب من الباب والمنهزمون ينادون لجندب بن عميرة الباهلى ويقولون افتح لنا الباب فقال لهم جندب ماكان من أمركم فقالوا له أيها السيد لا تسألنا عن شىء حتى تفتح لنا الباب فأمر جندب أن يفتحوا معه لهم الباب فلما فتح تقدم الإمام واختلط بالقوم وصار من جملتهم ودخل القوم يكرشون بعضهم بعضاً وهم لا يصدقون بنجاة أنفسهم فدخل وانحرف الى بعض زوايا الحصن وجلس وهو قابض على سيفه فلما تكامل القوم فى الحصن أغلقوا بابه وأوثقوه بالأقفال والسلاسل والأغلال ووقفوا فى الأزقة حيث أمنوا على أنفسهم من الهلاك فأقبل عليهم الذين كانوا فى الحصن وقالوا ياويلكم ما الذى نزل بكم فأخبروهم بالذى جرى لهم مع الإمام رضى الله عنه

(قال الراوى) فلما سمع القوم ذلك ذهبت أفراحهم وكثرت أحزانهم وقال بعضهم لبعض ان إنساناً وحده يغلب المنيع وجيشه ان أمره عجيب فقال جندب بن عميرة ياويلكم أما سمعتمونى وأنا أنصح صاحبنا مروع الوحوش فأبى النصح فياقوم وحق المنيع ان كانت يد أبى طالب علقت بصاحبنا الخطاف فهو مخلص روحه من جسده والذى أشير به عليك فى هذا الوقت أن تحفظوا حصنكم فلعل الملك يأتيكم وينصركم أو ينصرف عنكم وانه قاصد ملككم فان قدرتم أن تهادوه وتخلصوا اصاحبكم

من يده فهو الصواب فقال له القوم يا جندب وحق المنيع ما فينا أحد يقدر على خطابه ولا يستطيع رد جوابه فقال جندب يا قوم إذا أتاكم إلى حصنكم فاسئلوه وأنتم فى الحصن الأمان فانه يؤمنكم ولا يخونكم وهو كريم والكريم من شأنه إذا قدر عفا فلعله يعفو عنكم ويطلق لكم صاحبكم فقال بعضهم وحق المنيع لو عينوا له جميع ماملكت أيديهم من مال وغيره ما أطلق لكم الخطاف حتى يخرج روحه من جسده فانه لا يقبل مالا ولا متاعا ولا يسلم من سيفه إلا من دخل فى دينه هذا كله والإمام رضى الله عنه ينظر بعينه ويسمع باذنه وهو معهم فى الحصن كأنه الذئب إذا دخل فى الغنم فعلم الإمام أن عدوا الله الخطاف لم يأت إلى الحصن .

(قال الراوى) فوثب الإمام رضى الله عنه قائماً فى وسطهم وزعق بهم وقال : ها أنا قد جئتكم ووصلت اليكم . ها أنا ممزق الكتائب . ها أنا مبدى الغرائب . ها أنا ليث بنى غالب . ها أنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب فلما سمع القوم ذلك من الإمام رضى الله عنه انقطعوا عن الكلام وقعد بعضهم عن القيام وبطل الخطاب ولم يستطع أحد منهم رد الجواب وخرست ألسنتهم وأرتعدت فرائصهم وأصفرت ألوانهم فنظر بعضهم بعضاً فاشاروا بالجملة عليه فقال لهم وحق الذى بعث ابن عمى بالحق بشيراً ونذيراً لئن تحرك منكم أحد لأزيلن رأسه عن جثته بهذا السيف فوالله ما جسر منهم أحدٌ أن يتحرك من مكانه فقال له جندب الحميرى يا ابن أبى طالب أنت من السماء نزلته أو من الأرض خرجت أم من الباب دخلت فقال لهم بل من الباب دخلت ومعكم وصلت ولكم قصدت وعلى الله توكلت وهو حسبى ونعم الوكيل فلا يخلو أمركم من كلمتين : إما أن تقولوا : نشهد أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله وإما أن تقولوا لا وتموتون جميعاً .

(قال الراوى) فلما سمع القوم مقالته نظر بعضهم إلى بعض وتطاولوا اليه بالأعناق وأحدقوا نحوه بالأحداق فقال جندب يا ابن أبى طالب إنى قد تحققت أن من سالمكم سلم ومن خالفكم ندم وقد أشرت بذلك على قومى فأتوا وأما أنا فقد أنقادت جوارحى اليك وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله آمنا بالله ورســـوله وأنك يا أبا الحسن سيف الله ونقمته على أعدائه وأنت وليه فى أرضه وسمائه فهنيئا لكم ولمن تبعكم وآمن بكم وصدقكم والويل ثم الويل لمن خالفكم وكذبكم فهو المغرور والخاسر ثم التفت إلى قومه وقال يا قوم ما يقعدكم عن رشدكم فنادى القوم عن لسان واحد قائلين لا إله إلا الله محمد

رسول الله فلما سمع الإمام رضى الله تعالى عنه منهم ذلك شكرهم وجازاهم خيرا وفرح باسلامهم فرحا شديدا ومد يده اليهم وصافحهم مصافحة الاسلام وقال لهم ياقوم لا يتم إسلامكم ولا يكمل إيمانكم حتى تقاتلوا أبناءكم واخوانكم ووعشيرتكم فان قتالهم صار فرضاً عليكم فقالوا بأجمعهم يا ابن عم رسول الله إنا نقاتل معك وبين يديك حتى ترضيك و ترضى الله ورسوله فما منا من احد الاوله فى القوم خليل وحبيب ونسيب وقريب فنحن نقاتلهم فمن اطاعك ودخل فى ديننا تركناه وابقيناه ومن خالف قتلناه ودهيناه

(قال الراوى) فجزاهم الامام رضى الله عنه على ذلك خيرا وقال الحمد لله الذى جعلكم من أهل الايمان وحقن دماءكم وصان نساءكم واجار من اليتم أبناءكم وحلل لكم مالكم ومتاعكم فعند ذلك خروا سجدا شكرا لله تعالى الذى جعلهم من أهل الإيمان واختارهم لدين محمد عليه افضل الصلاة والسلام ثم التفت الامام إلى القوم وقال لهم ياقوم ان عدو الله الخطاف قد خفى امره فهل عندكم منه خبر فقالوا لا والله يا أمير المؤمنين الا أنه حيثما كان يأتى الى ههنا واينما يرجع فالينا منتهاه فقال الامام رضى الله عنه انى قلق على أصحابى لأنهم منتظرون لقائى وانى ابطات عليهم فيغمهم ابطائى عنهم ويزيدهم هما وانا ارجو من الله سبحانه وتعالى ان يأتى قريبا وأما انتم فاعرضوا على نسائكم وأولادكم الاسلام فقال جندب الباهلى أيها السيد الأجل اننا نخشى أن يخالفونا الى ما ندعوهم اليه فنبسط اليهم أيدينا بالسوء لأن الرجل وقت غيظه يغيب رشده فان رأيت أيها السيد الأعظم ان نأتى بهم اليك وبأولادهم فاذا نظروا إلى غرتك استحيوا منك ومن طلعتك الهيبة فلا يخالفون قولك

(قال الراوى) فقال لهم الإمام رضى الله عنه ألا فأتونى بهم فانى ارجو من الله سبحانه وتعالى ان لا ترجعوا إلى أماكنها الا مسلمين مؤمنين مقرين لله بالوحدانية ولابن عمى محمد ﷺ بالرسالة ويفعل الله ما يشاء ويختار فعند ذلك مضى كل واحد منهم الى منزله واحضر أهله وأولاده فلما نظر الامام اليهم استفتح بالقرآن وقرأ بحسن لفظ ونغمة فلما سمع النساء ذلك رقت قلوبهم وذرفت اعينهم وقالوا ما هذا الكلام فقال لهم رجالهم هذا كلام من خالق السموات والأرض انزله على نبيه محمد ﷺ وهذا زوج ابنته فاطمة وهو ابن عمه على بن أبى طالب يدعونا الى الاسلام فقال لهم الامام رضى الله عنه يا بنات العرب انى ادعوكم الى الذى خلقكم وانشأكم فقالوا بأجمعهم لا اله الا الله محمد رسول الله

فعندها قالت النساء : نحن نشهد أن لااله الاالله وأن محمدارسول الله فسر الإمام بذلك سرورا عظيما ثم أقبل على القوم وقال هل بقى فى الحصن أحد من النساءفقالوا يا أبا الحسن بقى فى الحصن الرغداء بنت الخطاف وهى فى منزلها ونحن نخشى سطوتها لأنها أشد من أبيها وهى من بقية الجبابرة ونسل العمالقةمن بنات حمير وقد اعتادت ركوب الخيل وخوض الفرسان فى الليل ولقاء الرجال وقتال الأبطال جسورة على القتال يحذر مكانهاالفرسانوتتقى أصواتهاوصولتها الشجعانولو علمتأنكمعنافىالحصنلخفنا علىأنفسناوعليكمنها .

(قال الراوى) فعند ذلك تبسم الامام رضى اللهعنهضاحكا وقال إنى لا أفزع من تهابة الأبطال فكيف بذوات الحجال امضوا اليها وأتونى بها لأمضى أمرى معها فقالوا أيها الأمير ما للنساء الا النساء فقال الامام رضى الله عنه بل يمضى اليها جميع النساء وهن يقلن بأجمعهن : لااله الا الله محمد رسول الله فاذا سألتهنعن ذلك يخبرنها بخبرىوما جرى لهنمعىفطلعتالنساءمن وقتهن وساعتهن الى دار الخطافوهن يقلن لااله الا الله محمد رسول الله فأشرفت عليهن الرغداء من منظرتها وليس عندها خبر باسلامهن فقالت لهن يا ويلكن ماهذا الكلام الذى لم اسمعه أبدا منذ ملكت عقلى ثم نزلت لهن فقلن لها يارغداء ان كنت نائمة فاستيقظى فان الحصن قد ملك فقالت ومن ملكه فقالوا لها على بن أ طالب فقالت وأين ابن أبى طالب فقلن لها هاهو فىالحصن فقالت وأين أبىالخطاف فقلن أسره وانفلت من يده بعد الأسر فلايدرىأين سار وقد أسلم كل من فى الحصن من الرجال والنساء وهو يدعوك اليه لتدخلى فى دينه فاخرجى اليه.

(قال الراوى) فلما سمعت الرغداءذلك فارت بالغضب ثم كتمت غيظهاوأخفت سرها وقالتأين يكون الغلام الذى ذكرتموهفقلن لها هاهو فى أقصى الحصن يبايع الرجال فقالت لهن على رسلكن حتى أسير معكنودخلت منزلها وأخذت خنجرها فشدته فى وسطها من تحت أثوابها وأضمرت الشر لأمير المؤمنين وقالت فى نفسهاان وصلت اليه لمأبق عليه فأقبلالنساءعلى أميرالمؤمنين وهى معهن وقد تأخرت عنالنساء لتنظر كيف يبايعهن ويكون ذلك أمكن لها من الامام ثم أن الامام رضى الله عنه لماهم ان يأخذ البيعة علىالرجالوالنساء فاذاهو بباب الحصنيطرق طرقا خفيفاً ،فقال الامام انظروا من الطارق فاشرفبعضهممناعلى الحصن و نظر إلى من يكونخارج

الباب فاذا هو الخطاف وهو يقول افتحوا يا ويلكم قبل أن يدنو من صاحبكم النهاب فقالوا له من أنت قال أنا الخطاف

(قال الراوى) فأقبل القوم على الامام وأخبروه بقدوم صاحبهم فقال افتحوا له الباب وأدخلوه ولا تمدوا اليه يدا بسوء ولا تكشفوا له عن مكانى ولا تخبروه بشأنى فبادروا اليه مسرعين وفتحوا له الباب فوجدوه على آخر رمق من نفسه من تعسعسه فى الظلام بين الدكادك والآجام فلما نظروه قالوا له ما الذى دهاك أيها السيد وما الذى نزل بك فلم يجبهم ولم يرد عليهم جوابا ولم يبد لهم خطابا دون أن دخل مسرعا وقال يا ويلكم اغلقوا الباب وأوثقوه بالسلاسل والأقفال وكونوا من وراء بابكم واحفظوا حصنكم فقد نزل بكم الرجل المشئوم والقضاء المحتوم مفرق المواكب ومظهر العجائب على ابن أبى طالب وحق المنيع لقد نازلت الفرسان بارزت الشجعان وكنت قد ظننت أنى وحيد فى الشجاعة والقوة والبراعة فلم تثبت عنده شجاعتى وتاهت أمامه براعتى ولقد رأيت جند المنيع وما ظهر منهم من النيران وكثرة الدخان فما أكترث بقتالهم ولا بكثرة نيرانهم ودخانهم ورأيتهم وقد ولوا هاربين منهزمين ولقد ملكنى وقبض على وكنت فى يده وكان قد صارحا كما على وأخذنى وسلمنى لجنبل بن وكيع وناقد بن الملك فدعوت الاله المنيع الرفيع فارسل لهم شاغلا فأشغلهم عنى ولو كان ابن أبى طالب حاضرا ما استطعت الهروب ولكن أشغلهم عنى جند المنيع بالنيران وكثرة الدخان فوليت هاربا وللنجاة طالبا

(قال الراوى) فلما سمع القوم ذلك تعجبوا منه بعد ما كانوا يعرفون منه ومن شجاعته ، فقالوا أيها السيد وأين تركت ابن أبى طالب قال تركته وقد شغله عنى وعنكم جند المنيع فازدادوا عجبا . ثم قال يا قوم لا تكثروا مهلا على حتى أدخل ويرد على عقلى فدخل الحصن وهو ذاهل العقل ذاهب اللب ويرتجف كالسعفة فى الريح البارد فانتظر القوم ما يكون منه مع الامام رضى الله تعالى عنه ثم التفت بعض الى القوم الرغداء بنت الخطاف ، وقالوا لها يا رغداء إن أباك يكاد أن يبدو منه شر إلى على بن أبى طالب فيكون وباله عليك واعلمى يا رغداء إن هذا الرجل لا يطاق مر المذاق ولقد سمعت ما صنع بأبيك وكيف هزم جند المنيع ولم يكبر عليه وكيف هجم عليهم وملك حصننا منا فقالت الرغداء وما عسى أن أصنع فى هذا فان الاله المنيع وجنده ونيرانهم ودخانهم عجزوا عنه وعجز عنه الأبطال من الرجال فالنساء أعجز وأعجز (قال الراوى) ثم تركتهم

وتقدمت إلى قرب الامام وهى قابضة على خنجرها وأسبلت عليه ثيابها وأضمرت أنها تحول بين الامام وبين أبيها وأن لاتدع الامام أن يصل إلى أبيها وهى واقفة ترتعد من شدة الغيظ فبينما هى كذلك إذ أقبل أبوها والقوم فى أثره حتى أتوا به إلى المكان الذى فيه الامام رضى الله تعالى عنه والمصابيح تزهو حوله وهو يحدثهم بحديث الامام رضى الله عنه وغرائبه إذ نظر فرأى الامام جاثما كجرم الأسد الضرغام فحقق الخطاف نظره فرأى الامام فعرفه فجعل كلما ينظر إليه يراه ويمسح عينيه ويعيد النظر إليه فتحققه فلما عرفه توقف عن المسير ووقعت الدهشة به وعاد يرتعد كالسعفة ثم التفت إلى وقال من هذا الرجل الذى هو جالس فقالوا له أيها السيد إنه من معارفك وهو مشتاق إلى لقائك فعند ذلك وثب اليه الامام من مكانه وثبة الأسد إذ عاين فريسته وقال له أنا من لا تنكرنى اذا عرفتك باسمى أنا غريمك ومطالبك وانى مشتاق الى لقائك أنا ممزق الكتائب ومظهر العجائب ومبدى الغرائب أنا ليث بنى غالب أمير المؤمنين على بن أبى طالب

(قال الراوى) فلما سمع الخطاف كلام الامام رضى الله عنه خرس لسانه وبطلت حركته وعاد باهتا واقفا كالنخلة السحوق أو قطعة جلمود ليس فيه حركة فهم الامام بسيفه وقال له ماينجيك من سيفى هذا الا قول : لااله الا الله محمد رسول الله فعند ذلك تقدمت الرغداء بنته الى الامام وأرادت أن تمنعه عن أبيها فنظر اليها أبوها طمعا أن تحميه من الامام لما يعلم من شدتها وشجاعتها وقوتها فنظر اليها الامام وصرخ عليها صرخته المعروفة فارعشها وأدهشها بصرخته فارتعدت واضطربت ومالت وكادت أن تسقط على الأرض فوقع الخنجر من يدها فاستغاثت بالامام وقالت انى اعوذ برضاك من سخطك ياابا الحسن انى امرأة ضعيفة العقل واخذنى ما يأخذ الأولاد على والدهم من الشفقة وانى سمعت ممن ركن اليكم يقولون انكم شفعاء الى رب الأرض والسماء والمتمذون لمن نزل به الويل والبلاء مهلا فلاتعجل بالنقمة على فاجود منكم مبتداه والكرم عندكم منتهاه والمرء الكريم انقدر عفا .

(قال الراوى) فلما سمع الامام كلامها تبسم ضاحكا وزال عنه الغيظ وقال الأمر كذلك ان عفونا عنك وجدنا بنفسك عليك فقالت الرغداء ياابن عم رسول الله انتم اهل الجود والكرم والعفو والامتنان وحياتك ان حياتك عندى صارت قسما عظيما لقد ركنت اليك بكلى وحننت عليك بجوارحى ونزل حبك فى قلبى

فامدد يدك فانى قائلة أشهد أن لا إله الا الله وأن ابن عمك محمدا رسول الله وأنت ولى الله وسيفه ونقمته على أعدائه فانسر الامام لذلك سرورا عظيما زائدا وأما الخطاف فانه حين أسلمت ابنته الرغداء وعاين ذلك منها التفت اليها وقال لها لانجوت من البنات ولا بلغت المسرات ، فقال له الامام رضى الله عنه ياعدو الله وعدو نفسك انظر الى نفسك وخل ابنتك وتوطأ فى مجلسك فلست أعجل اليك ولا اترك لله حجة إلا وأوضحها لديك وأن قومك وأهل حصنك قد آمنوا بالله وصدقوا برسوله صلى الله عليه وسلم فألحق كلمتك بكلمتهم يكن لك الذى لنا وعليك ماعلينا (قال الراوى) فالتفت الخطاف إلى قومه وقال لهم : ماتسكون كلمتكم؟ فقالوا له انا قلنا جميعا رجالا ونساء كبارا وصغارا لا اله إلا الله محمد رسول الله فقال له الخطاف يابن أبى طالب انى أريد أن تريحنى من النظر اليك فأنى أكره ذلك فقال له الامام ولم ذلك ياملعون ياعدو الله وعدو نفسه قال لأنى لا أشهد لك ولا لابن عمك إلا بالسحر والكهانة والمكر والخيانة وقد كرهتك وكرهت النظر اليك فهربت حتى لا أنظر اليك فان المنيع جمع بينى وبينك فعند ذلك غضب الامام غضبا شديدا والتفت الى النساء وقال لهن انصرفن إلى بيوتكن فقلن جميعا له سمعا وطاعة لك يابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله قد من علينا بطلعتك وأسعدنا برؤيتك وأنقذنا الله بقدومك علينا من الكفر والضلال الى الطريق الحميد والسبيل الرشيد فجزاهن الامام على ذلك خيرا وشكرهن وأمرهن بالانصراف إلى بيوتهن فانصرفن وهن يقلن : نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وعلى ولى الله فانصرفت معهن الرغداء وهى أفرحهن بالإسلام وقد بدلت محبتها لأبيها بغضا ونادته عند انصرافها أما تكون لك أسوة ياأبت بقومك وعشيرتك أما ظهر لك من الحق آثاره ومن الدين أنواره (قال الراوى) فلما انصرف النساء قال الإمام لمن حوله من القوم أنى خاطبت صاحبكم بما سمعتوه من الخطاب ورد الجواب وسألته أن يقر لله بالوحدانية ولابن عمى محمد بالرسالة فأبى ذلك وأردت أن أضرب عنقه ولا ملامة على فخاطبوه أنتم عسى أن يميل لخطابكم وها أنا معرض عنكم ثم أن الإمام أعرض بوجهه وصار القوم يخاطبونه فلا يزداد إلا كفرا فلما كثر عليه القول من القوم لم يطق صبرا دون أن حمل على من كان حوله وعلم عدو الله أنه مقتول فاخترط سيفه من غمده ووثب على القوم فتصايح الناس بالإمام فوثب الإمام وثبة

من مكانه فوصل به اليه وبادره بضربة فوقعت على أم رأسه فشقته نصفين وسقط عدو الله الى الأرض قطعتين وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار

(قال الراوى) فلما رأى القوم ضربة الامام لعدو الله خافوا منه وتنافروا وداخلهم الفزع والجزع فرأى الامام منهم ذلك فقال لهم ياقوم مهلا عليكم وطيبوا نفسا وقروا عينا واطمئنوا قلبا فان عندنا الفظاظة والشدة لأعدائنا وعندنا الرحمة واللطافة لأوليائنا قال فعند ذلك اطمأنت الناس وأمنوا ورجعوا اليه فقال معاشر المسلمين قد قرب الصباح وانى تركت أصحابى فى عسكرهم وهم قلقون لغيبتى عنهم وانى أريد أن أمضى اليهم أبشرهم بما من الله به علينا من فتح هذا الحصن وقتل عدو الله الخطاف وأسير بهم اليكم فعند ذلك قال القوم يا بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعث من تختاره منا اليهم يؤمنهم ويبشرهم ويطيب خواطرهم ويأمرهم بالمسير وأنت عندنا فيأتون فرحين مسرورين بما من الله علينا وعلمهم بالاسلام وكمال الايمان وانزل أنت عندنا تطمئن قلوبنا فان ذكرك قد شاع فى جميع الأودية والحصون حتى وصل الى عدو الله الهضام بن الجحاف فلا نأمن عسكره أن تأتينا وتدهمنا من غير علم منا (قال الراوى) فعند ذلك قال الامام رضى الله عنه ياقوم حبا وكرامة والله ان هذا الرأى لسديد ثم انه دعا رجلا من القوم يقال له جابر بن عقيم الباهلى ليبعثه فقال له لبيك والله يا أمير المؤمنين انى لأمضى فى حاجتك وأبادر الى مرادك فشكره الامام وجازاه خيرا ودعا له ثم قال له ياجابر خذ خاتمى معك وانطلق إلى أصحابى واقرئهم السلام وبشرهم بما من الله علينا به من الفتح بالنصر وطيب قلوبهم وخواطرهم وأمرهم بالمسير معك الينا فى مكاننا هذا ثم قال له أسرع بما أمرتك به بارك الله فيك فخرج جابر بن عقيم الى ما أمره الامام مبادرا فما زال سائرا إلى أن وصل الى أصحاب الامام رضى الله عنه فلما وصل اليهم وجدهم فى قلق شديد على الامام رضى الله عنه فبينما هم كذلك إذ ناداهم جابر بن عقيم فقالوا له من أنت؟ قال لهم أنا جابر بن عقيم الباهلى أرسلنى اليكم أمير المؤمنين ثم أظهر لهم الخاتم فعرفوه فقالوا له ياجابر أين تركت الامام قال لهم فى الحصن والقوم حوله بعد أن ملكه، وأسلمت زغداء بنت الخطاف وجميع النساء وهم مجتمعون كلهم على الاسلام بعد الاجتماع على الكفر بالملك العلام.

(قال الراوى) فلما سمع أصحاب الامام ذلك كبروا تكبيرة الفرح وفرحوا

واطمأنوا واستبشروا وطابت خواطرهم فأمرهم بالمسير فساروا نحو الامام فرحين مستبشرين ولم يزالوا سائرين الى أن أقبلوا إلى الحصن فنزل اليهم جميع من فى الحصن فاستقبلهم الإمام وسلم عليهم القوم وعانق بعضهم بعضا وفرحوا باسلامهم وكمال الإيمان لهم وهنأ بعضهم بعضا على ذلك ونزل الامام خارج الحصن فى فضاء من الأرض ونحرت النحائر وأكثروا الولائم واقام الإمام بقية يومه فلما اختلط الظلام دعا الإمام بجابر بن عقيم وأمره على مائة رجل وامرهم بحفظ مافيه من الغنائم وامر القوم كلهم بالمسير معه فقالوا سمعا وطاعة يابن عم رسول الله ثم اخذوا فى اصلاح شأنهم وجهزوا سلاحهم وتقلدوا بسيوفهم وتنكبوا بحجفهم واعتقلوا برماحهم وأتوا إلى الامام فهم الامام بالمسير وإذا بالرغداء بنت الخطاف أتت وقالت أيها الأمير العظيم وابن عم البشير النذير إنى احببت أن أسير معك لعل أن أمحو ماسلف من ذنوبى وانى قد خاصمت العرب وما رست الخطوب وخضت المعامع وشاهدت الوقائع فأذن لى بالمسير معك بحياة محمد بن عمك على قلبك .

(قال الراوى) فعند ذلك قال لها الامام حبا وكرامة يارغداء إنى لا امنعك من ذلك فاذاعزمت فالخيرات لله فتجهزت الرغداء رضى الله عنها ولبست آلة حربها وخرجت إلى الإمام ثم سار الامام رضى الله عنه وأمر القوم بالمسير فساروا وقد أكثر الله أصحابه وعظم أجره وتوجه تلقاء الحصون فاذا بجندب بن عميرة قد أتى الى الاسلام رضى الله عنه وقال له ايها الأمير انك سائر إلى حصن الصخر وهو حصن منيع وفيه رجل شديد جبار عنيد يقال له كنعان بن عابد وان الملك الهضام يخافه ويحذر شره حتى انه زوجه ابنته خوفا من شره وسطوته ولا تأمن أن يكون بلغه خبرك فيقبل اليك ويكمن لك

(قال الراوى) فلما سمع الامام رضى الله عنه ذلك قال جزاك الله خيرا على نصحك وشفقك وستعاين عجائب الله ونصره وما يسر به قلبك وقلوب أصحابك ومايجرى لى معهم فى طريقنا فسيروا بنا رحمكم الله فان الله ساقنا اليهم وسينصرنا بقوته وعظمته عليهم نه على مايشاء قدير ثم سار الإمام رضى الله عنه هو وأصحابه إلى حصن الصخر وقد طاب له المسير فالتفت إلى القوم وقال يامعشر الناس ان أمرنا قد شاع فى الحصون ولابد أن تأتينا الجيوش فبلى فيكم من يأخذ لنا خبر الطريق ويسأل السالكين عن منتهى الطريق وحقيقة الأخبار فكان أول من تقدم إلى الامام نوفل بن الملك فقال ياأمير المؤمنين أنا انى ماذكرت مسارع ولما أمرت مبادر تقدمت اليه الرغداء بنت الخطاف وقالت يا بن عم

رسول الله ان البلاد بلادنا ونحن اعرف الناس بها وشجاعتى تعرفها الشجعان ولا تنكرها الفرسان وإن أردت ان ترسلنى مع من تريد فافعل فقال لها الامام رضى الله عنه كونى مع من خرج ثم انتخب لها الامام عشرة وأمر عليهم ناقد بن الملك فسار ناقد وجد المسير وانشد يقول :

أسير بأمر من أمير مؤيد ‏ وأرجو بذا فوزا وعيشا منعما

إلى عصبة خابت وخاب عبيدها ‏ ستلق عذابا ثم تصلى جهنما

فلا بد لى من أن ألاقى جمعهم ‏ إلى ان يطيعوا الامام المعظما

فذاك على وابن عم محمد ‏ نبى كريم قد هدانا من العمى

هو السيد المختار من آل هاشم ‏ نبى الهدى حقا كريما مكرما

(قال الراوى) وما زال ناقد سائرا إلى ان وصل إلى الحصن وكان حصنا حصينا ولم يجد فى الطريق أحدا فلما وصل إلى الحصن وجد أهله قد تأهبوا وعزموا على القتال فرجع ناقد ومن معه الى الامام وقد فرح واستبشر بخلو الطريق فلما وصل الإمام سأله عن حاله وما وجد فى الطريق فقال ناقد ياأمير المؤمنين لم يكن فى الطريق أحد غير ان القوم قد تحصنوا فى حصنهم وعزموا على الحرب والقتال وتأهبوا فانظر ياسيدى ما أنت له صانع فقال الامام رضى الله عنه عندذلك أراد الله سبحانه وتعالى بفتحه تهدمت اركانه ووهن بنيانه ـ انما امره إذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون . فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون ـ قال ناقد : ياأمير المؤمنين ان فى الحصن رجلا شديد القوة كثير الأذى وأنا احذرك ان يأتيك من أذيته شىء والله كافيك .

(قال الراوى) فتبسم الامام رضى الله عنه وقال ياناقد سر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم سار الامام واصحابه إلى ان وصلوا إلى الحصن فلما نظر الامام إلى مكنته وعلوه وارتفاعه قال اللهم سهل علينا فتحه ثم ان الامام فرق عسكره كتائب ليكون ذلك أهيب فى قلوب المشركين لا يهام كثرة جيوشه فأمر ناقدا على كتيبة وقدمه ثم أمر بعده جنبل بن وكيع على كتيبة وجعله من وراء ناقد ثم أمر من بعده الرغداء بنت الخطاف على كتيبه ثم أمر رجلا يقال له خالد بن الريان على كتيبة ثم سار أمير المؤمنين فى بقية القوم فبينما القوم فى حصنهم للحرب متأهبين وللقتال طالبين إذ اشرف عليهم ناقد فى كتيبة فلما قربوا من الحصن أمر

ناقد أصحابه بالتكبير فكبروا فأرعدلهم الوادى ثم أقبل من بعده جنبل بن وكيع ففعل كما فعل ناقد هو وأصحابه وكان ناقد قدنزل بقومه متباعدا عن الحصن فنزل جنبل بازاء الحصن ثم أقبلت من بعده الرغداء بنت الخطاف فى كتيبتها ففعلت كما فعلوا ثم أقبل من بعدهم خالد بن الريان ففعل كما فعلوا فارتجت قلوب القوم الذين هم داخل الحصن وقالوا لبعضهم ما أكثر هؤلاء القوم .

(قال الراوى) فبينما هم كذلك إذ أشرف أمير المؤمنين بجميع أصحابه فكبروا ونزلوا ولم يتعرضوا للقوم فلما استقر الإمام فى مكانه حتى أشرف عليهم من الحصن رجل كأنه قطعه جبل لهوله وعظمه وبسط أنامله مع غلظ يده كأنه من العمالقة وقد لبس درعا منيعا وبيضة منيعة على رأسه فلما نظره الامام استعظم خلقته وقال تبارك الخلاق العظيم ثم أقبل الامام رضى الله عنه على ناقد وقال له ياناقد أتعرف هذا الرجل المهول ؟ فقال ناقد يابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم هـــذا الذى حدثتك بحديثه ووصفته لك هذا صاحب الحصن وهو مصاهر لنا وهو زوج ابنة أبينا ومن خوف أبى منه دفع اليه ابنته من غير مهر معجل ولا مؤجل وكان قد خطبها عدة من الملوك بالمال الجزيل فلم يسمح أبى لأحد خوفا من هذا الرجل واسمه كنعان بن عابد بن تبع بن كليوت الحميرى فبينما الامام يستمع كلام ناقد إذ سمع ضراخ عدو الله من أعلى الحصن وهو كأنه الرعد القاصف أو الريح العاصف أو زئير الأسود عند غضبها وهو ينادى يامعاشر الجهال وعصابة الأرذال أنتم مجانين لا عقل لكم كيف نزلتم بساحة الموت الفاصل والبلاء النازل أرحلوا بأنفسكم غانمين وبأرواحكم سالمين .

(قال الراوى) فلما سمع الامام مقالته غضب غضبا شديداً فوثب من مكانه وأفرغ عليه لامة حربه وقبض على سيفه وحجفته وقدم الرماة الذين هم معه وهم نحو من ماتى رام فأنفذ لكل جهة من جهات الحصن خمسين وأقرنهم بأمثالهم من الرجال الذين هم بالدرق لكل رجل رام رجل يلتى بدرقته عنه ومال الإمام رضى الله عنه بمن معه إلى ناحية الباب وقدم الرماة أمامه وقدم أصحابه إلى القتال فتحاربوا بالأحجار فرمى المشركون بالصخور الكبار ورمى الرماة بالنبال وظهر عدو الله كأنه برج مشيد وجعل يرمى الجنادل العظام والصخور الكبار فتقع على الناس ولم يستطع أحد من أصحاب الإمام الوصول الى الباب .

(قال الراوى) فلما نظر الإمام ذلك عظم عليه وكبر عنده فتقدم بنفسه إلى الباب

وعدو الله يرمى بالأحجار والصخور وجعل الامام كلما وصل اليه حجر تلقاه بدرقته وأرخاه متباعدا عنه ومازال القتال بين الفريقين إلى وقت العصر وقد قتل من أصحاب الامام رجال كثيرة فعطف الإمام بأصحابه وقال حسبكم من القتال فتراجع الناس إلى أماكنهم وعدو الله وأصحابه يعطعطون عليهم ويهزءون بهم فعظم ذلك على الإمام رضى الله عنه وبات الفريقان يتحارسان وأضرمت النار وتولى الامام حرس أصحابه بنفسه خوفا عليهم : فبينما هم كذلك وإذا بشخص قد ظهر فى الطريق فتأمله الامام فاذا هو شخص راكب على مطية فنزل الامام عن جواده وأتى إلى صخرة وجلس مختفيا حتى أتى اليه ذلك الشخص وصار محاذيا له فوثب اليه وأمسكه من رجله ورماه إلى الأرض على جنبه فانخلع قلبه من الخوف وصار يرتعد كالسعفة فى الريح العاصف فقال ذلك الشخص للامام من أنت الذى أوهنت عظامى وارتعدت من هيبتك أركانى فقال له الامام أنا ممزق الكتائب ومظهر العجائب أنا ليث بنى غالب أنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب .

(قال الراوى) فلما سمع الشخص باسم على خرس لسانه وخمدت أركانه وبطل حسه وخفى نفسه فلم يكن إلى ساعة والامام واقف عند رأسه حتى ردت اليه روحه وفتح عينيه وقال ياابن أبى طالب سألتك بحق ابن عمك إلا ما أبقيت على واحسنت بكرمك إلى فقد كنت أتقيك واحذرك من قبل أن أراك فعند ذلك عفا عنه الامام وأوثقه كتافا على راحلته وركب جوده وقاد زمام مطيته حتى أتى به إلى عسكره فحل وثاقه وقال له ياهذا قل الصدق تنج وإياك أن تقول غيره فتهلك فقال الشخص ياابن أبى طالب أما قولى فصدق وهو الحق أنا أشهد أن لا اله الا الله وان ابن عمك محمداً رسول الله ، والآن خذ حذرك فقد أتاك عسكر جرار وهم عشرة آلاف فارس من كل بطل مداعس يقدمهم بطل مقوم بالعشرة آلاف وهو غنام بن الملك الهضام وهو أفرس أولاده فقال له الامام ياأخا العرب فهل وصلت أخبارنا اليه ؟ فقال نعم ياأمير المؤمنين انه لما وصلت اليه أخبارك وما فعلت فى حصونه أراد أن يأتى اليك بنفسه فأقسم عليه ولده غنام بقوة المنيع أنه يأتى ويقبض عليك ويوصلك اليه حقيرا ذليلا اسيرا .

(قال الراوى) فلما سمع الامام ذلك قال وابن تركته قال ياأمير المؤمنين تركته نازلا عند الحصن المترف وأرسلنى الى أهل هذا الحصن لأسكن روعهم وابشرهم بقدومه ولا شك أنه يوافيك غداة غد فانظر لنفسك وتدبر امرك فتبسم

الإمام ضاحكا من قوله ثم قال له الإمام ما اسمك ياهذا قال اسمي القداح بن واثلة فقال له ياقداح حدثتني نفسي بأمر هل أنت فاعله ومساعدني عليه وهو أمر لا يصل اليك منه شيء فقال القداح وماهو يا أمير المؤمنين فقال له الإمام ألست زعمت أنك رسول غنام إلى هؤلاء القوم اللئام فقال نعم فقال له الإمام ياقداح أريد منك أن تمضي اليهم في هذا الليل وتجعل لي طريقا معك توصلني اليهم فقال القداح إذا وصلت اليهم يامولاي ما الذي تصنع وما الذي يكون فقال الإمام يكون فتح الحصن وقتل عدو الله كنعان على يديك فقال القداح إن كنت نائما فاستيقظ فان الذي ذكرته بعيد والوصول اليه صعب شديد

(قال الراوي) فوثب اليه ناقد بن الملك وقد تغير لونه من شدة الغيظ على القداح ونهره وقال له لا أم لك أعرف مكانك واعلم مع من تتكلم فهذا الذي تخاطبه فارس الفرسان وقاتل الشجعان هذا ليث بني غالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فاقصر كلامه وإلا رميت رأسك بهذا السيف فأخذته الأصوات من كل مكان فخرع مما سمع وأخذته الرعدة والدهشة من كلام ناقد وغيره فقال يا أبا الحسن أنتم أهل البيت فخرتم على سائر العرب والقبائل وما منكم إلا من هو أهل الجود والكرم فجد على بحلمك وأسرع إلى بكرمك وأسمح بفضلك على فتبسم الإمام رضي الله عنه ضاحكا من قوله وقال يا قداح أنت أسلمت لله خالصا قال نعم وحق ابن عمك محمد ﷺ إني أسلمت مخلصا لله تعالى فقال له الإمام ياقداح إن لك ذنوبا قدمتها وأنت في ضلالة الكفر والظلام والعتو والطغيان فقال يا أبا الحسن أليس الله سبحانه وتعالى يمحوها عني حيث رجعت عما كان مني وتركت دين الكفر وعبادة الأصنام ودخلت في دين الإسلام وعبادة الملك العلام .

(قال الراوي) فلما سمع ذلك الإمام قال له يا قداح قد وجب عليك الجهاد في سبيل الله فان أردت أن يمحو الله ماسلف من ذنوبك فهب نفسك لله في مرضاته في هذه الليلة فان سلمت فمن الله وإن هلكت وقع أجرك على الله وتدخل الجنة بغير حساب فقال القداح إني أخاف من القتل وورائي أطفال وليس لهم قريب ولا حبيب ولي أم عجوز كبيرة قد أخذها الكبر وأبادها طول الزمان فان قتلت فمن يكون لهم بعدي فقال له الإمام لهم الذي خلقهم ورزقهم فهو أشفق عليهم منك وأنا أضمن لك السلامة فانه على ما يشاء قدير وترجع اليهم سالما إن شاء الله تعالى ثم أخذ الإمام مطيته من أصحابه وأقبل عليهم وقال لهم ارتحلوا راجعين على أعقابكم فاذا سمعتم التكبير فأطلقوا أعنة الخيل

وأتونى مسرعين فارتحل القوم من وقتهم وساعتهم وسمع أهل الحصن صهيل الخيل وقعقعة اللجم وتصافق الرماح وقت الرحيل .

(قال الراوى) فأشرف جماعة من أعلى الحصن فوجدوا القوم قد رحلوا عنهم فنزلوا مسرعين إلى كنعان وأخبروه برحيل القوم عنهم ففرح بهم وقال ياقوم إن ارتحالهم بين أمرين : اما أن يكون قد ثار عليهم من جيش الملك قوم على غفلة منهم أو يكون قد بلغهم خبر أن أحدا من أولاد الملك الهضام خرج اليهم فرجعوا الى أعقابهم واكتفوا بما معهم فقالوا له أيها السيد اخرج ونحن فى أثرك اليهم فندركهم وهم منهزمون فقال لهم انى أخشى أن تكون حيلة فنقع فيها ولكن اصبروا الى أن يزول الليل بظلامه ويأتى النهار بضيائه فاذا كان ذلك فلا يخفى علينا خبرهم .

(قال الراوى) ولم يزل أصحاب الإمام رضى الله عنه راجعين وهم سائرون الى أن غابوا عن العين وانقطع حسهم ولا عاد أحد يراهم فقام الإمام وركب مطيته وقال للقداح اركب مطيتك وسر أمامى ليعرفوك فاذا ناديتهم وعرفوك وسألوك عن شىء فقل لهم انى رسول لغنام ابن الملك ولقد جئت اليكم مبشرا بقدومه عليكم واذا سألوك عنى فقل لهم هذا رجل من العرب أرسله الملك معى مساعدا وما عليك من كلمة اتصل بها الى عدو الله فقال القداح يا أمير المؤمنين قد أهلكتنى وأهلكت نفسك فعند ذلك قال له الإمام سر ياقداح وقل لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقال القداح وحق ابن عمك لا أسير الا على شرطين ولا تخالفنى فيهما بحياة ابن عمك عليك جدلى وأقض بكرمك على فقال الإمام وما ذلك ياقداح ؟ قال انى أسير معك وأخاطبهم وأرد جوابهم وتكون أنت الداخل عليهم دونى وتتركنى عند الباب حتى أنظر مايكون منك ومنهم فقال له الإمام لك ذلك يا قداح فأنا أتقدم دونك ولا ألزمك مالا تطيق .

(قال الراوى)فعند ذلك طاب خاطر القداح وركب مطيته وسار والإمام معه الى أن وصلوا الى باب الحصن وأحس بهم أهل الحصن فنادى كنعان من الطارق لنا فى الليل الغاسق فجاوبه القداح وقال له أيها السيد العظيم أنا رسول بشارة فعرفه كنعان وقال لعلك ياقداح جئت من عند الملك ؟ قال نعم وانه قد أتاك ابنه فى عشرة آلاف فارس ليوث عوابس ما منهم الا كل بطل مداعس فهل عندك خبر عن الغلام على بن أبى طالب فقال له كنعان انه ارتحل فى هذه الساعة وهاهو أمامكم ثم التفت كنعان الى أصحابه وقال لهم ألم

أقل لكم انا بن أبي طالب له طلائع وقد أتوه وأخبروه بقدوم ابن الملك فانقلب بقومه راجعا ثم التفت إلى القداح وقال له لك عندى المواهب والاعطاء والخلع والاكرام بسبب قدومك الينا وارتحال هذا الغلام عنا فمن يكون صاحبك الذى أراه معك فقال القداح هذا رجل من العرب قد ضمن للملك أن ياتيه برأس ابن أبى طالب قبل وصوله اليه وأنه قادر عليه فقال كنعان انه قد رام أمرا بعيدا .

(قال الراوى) ثم نزل كنعان بنفسه إلى الباب ليفتحه للقداح ونزل معه جماعة من قومه وقد امتلات قلوبهم بالفرح والسرور وبأيديهم المصابيح فتقدم الإمام إلى الباب وترك القداح من ورائه وكان قد سمع الإمام حس الأقفال عند افتاحها فقبض بيده على سيفه وقال بسم الله وبالله والى الله ـ وما النصر إلا من عند الله ينصر من يشاء بسم الله نصر من الله وفتح قريب ـ وانتظر فتح الباب فسمع فرقعة من خلفه فالتفت فاذاهو صاحبه القداح وهو يرتعد كالسعفة فى الريح العاصف وعاد الذى هو من داخل الحصن يسمع اصطكاك أسنانه من فمه كأنه الجلد القديم إذا جر على الأرض فضربه الإمام بيده وقال له لا أبا لك ولا أم لك ما الذى نزل بك وما الذى أنت فيه من غير ضرب ولا قتال ولا وصل إليك أحد فان اردت أن تنصرف إلى سبيلك فافعل فلا حاجة لى بك فقد استغنيت عنك فسكت والتفت الإمام الى الباب وانتظر فتحه فأبطأ عليه فأنكر ذلك أشد الإنكار وطال وقوفه على الباب فلم يفتح .

(قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أنه لما وصل عدو الله إلى الباب ومن معه وأراد فتحه بنفسه من شدة الفرح ظهر عدو الله اللعين إبليس فلما نظر القوم شخصوا نحوه وذهلوا من منظره فأتى إلى عدو الله كنعان وأخذ المفاتيح من يده وولى راجعا وأشار للقوم أن يتبعوه الى داخل الحصن فلحقوه فى أثره فلما أن بعد عن الباب قال لهم ياويلكم أنا رسول المنيع جئت اليكم لأنظر ما أردتم تصنعون بانفسكم حيث أردتم أن تسلموا حصنكم الى على بن أبى طالب بلا قتال ولا نزال فقال كنعان أيها الرسول الكريم من عند الرب العظيم والاله الجسيم وأين على ابن أبى طالب ؟ فقال ها هو واقف على الباب مع القداح وصار القداح من حزبه ومن أهل دينه وقد ساقه اليكم ليهجم به عليكم فاندهش القوم من ذلك وقال له كنعان أيها الرسول الكريم من عند الرب العظيم لقد نصحت فلا أنسى لك المنيع ما ذكرت وما من الخير صنعت فما الذى تامرنا به ايها الرسول الكريم

فقال الآن قد وجد عندكم خبره فافتحوا الباب وقفوا على يمين الباب وعن يساره وبأيديكم السيوف مشهورة وكن أنت ياكنعان وولدك مداعس متولى ذلك الأمر واغتنموا وحدته حيث أتاكم منفردا بنفسه ليس معه أحد من قومه فبذلك أوصانى المنيع وكان مداعس بن كنعان من أعظم الشجعان مبيد الفرسان ، وهو أعظم من أبيه ففرح القوم بذالك فرحا شديدا من قول ابليس لعنه الله ثم غاب عنهم فلم يروه فعمد كنعان إلى الرجال واعطاهم السيوف والدرق وقسمهم فرقتين فرقة عن يمين الباب وفرقة عن شماله ، وأخذ رجالا آخرين وفرقهم ثلاث فرق فرقة معه وفرقة مع ولده مداعس وفرقة أوقفها فى وسط الحصن بالسيوف والدرق وتقدم رجل بالمفاتيح وفتح الباب وولى هاربا وللنجاة طالبا .

(قال الراوى) فنظر الإمام رضى الله عنه لأحد يخرج من الباب فلم ير أحدا خرج ولا وجد لأحد منهم حركة وانقطع حسهم فازداد الإمام على رضى الله تعالى عنه على القوم انكارا وحذر على نفسه وتوقف عن الدخول ونادى ياقوم إنا لا نعرف حصنكم ولا نعرف مداخله أفلا توقدون لنا مصباحا ندخل فيه اليكم فى نوره فسكت القوم ولم يردوا عليه جوابا . فقال الإمام رضى الله تعالى عنه لكم ذلك وحق ابن عمى محمد ﷺ ثم التفت إلى القداح . وقال له خذ بزمام ناقتك وابعد عن الباب واحذر على نفسك فقد وقع للقوم خبرنا ولا نعرف مدخله ولا شك ما أعلمهم بنا الا اللعين ابليس . فقال القداح يا أمير المؤمنين لقد سقتنى الى الهلاك فلما سمع القوم الخطاب علموا أن الإمام قد علم ماعندهم وما اضمروا عليه فخشوا من انقلابه فأشار كنعان الى ولده مداعس بالهجمة على أمير المؤمنين .

(قال الراوى) فلم يشعر الإمام حتى نزلوا عن يمين الباب وعن شماله وبايديهم السيوف والحجف وجعلوا يتصارخون بالإمام رضى الله تعالى عنه فاخذ عليهم الإمام محاذيا الى الباب فلم يترك أحدا منهم يخرج اليه وناداهم بعلو صوته يامعاشر اللئام لقد أخطأكم الأمل فأنا على بن أبى طالب قاطع الآجل فوثب اللعين كنعان وعدو الله مداعس ومن معهم وكان كنعان معه حجفة منيعة وهو واثق بحجفته وقوة ساعده فتقدم الى الامام وضربه ضربة شديدة فاخذها الإمام منه على حجفته فلم تؤثر فيها شيئا ثم عطف عليه الأمام كأنه لأسد الضرغام وضربه بسيفه فتلقاها عدو الله بحجفته فقطع السيف ما وصل اليه من الحجفة ورماها ولو

ولو ملكته لأهلكته وكان كنعان واثقا بها متمكنا منها فلما رأى عدو الله كنعان ذلك من الإمام أقبل على قومه وقال ياويلكم ادفعوه حتى يبعد عن الباب إلى الخلاء ليتسع عليكم الفضاء وتملكوا أنفسكم فطلع من كان من داخل الحصن على أعلى السور وأرسلوا على الإمام الصخور والجنادل من أعلى الباب فنزلت عليه كالمطر فتأخر الإمام عن الباب لهول ما لحقه .

(قال الراوى) فعند ذلك فرح الامام فرحا شديدا حيث خرج عدو الله مداعس وخرج والده كنعان فى أثره ومن كان معهم من الرجال ولم يبق فى الحصن إلا القليل ثم أمر اللعين كنعان بغلق الحصن وإيثاقه من وراء القوم ولما نظر القداح ذلك ركب مطيته وولى هاربا وقصد إلى أصحاب الامام فالتفت إلى القداح فلم يره فعلم الامام أنه هرب فأسند ظهره إلى ربوة عالية ونادى برفيع صوته يا شرجيل ويا أخبث قبيل دونكم والقتال واغتنموا وحدتى وانفرادى من قومى فأنا اليوم وحيد فريد فان شئتم فواحدا لواحد وإن شئتم فكلكم لواحد فوالذى بعث ابن عمى محمداً ﷺ بالحق بشيراً ونذيرا ما أنا براجع عنكم حتى أشبع الوحوش والطيور من لحومكم الخبيثة وأنا واحد وواثق بواحد فهو على ما يشاء قدير أما تعرفونى أنا ممزق الكتائب ليث بنى غالب أمير المؤمنين على ابن أبى طالب فقال له كنعان : لولا يكون عار علينا لهجمنا عليك بكليتنا وإنما يبرز إليك واحد منا قال الامام رضى الله عنه ياعدو الله ورسوله وعدو نفسه افعل ما بدالك وما تريد (قال الراوى) فعند ذلك تقدم رجل من المشركين يقاله له سباع إلى عدو الله كنعان وقال يا أيها السيد أنت تجود لى بسلبه وما عليه من الثياب والعدة وإنا أتيك به أسيرا ذليلا حقيراً فقال كنعان لك ذلك ياسباع وحق المنيع الاله الرفيع لئن أتيتنى يا ابن أبى طالب لأزيدنك على الذى قلته بأكثر فعند ذلك خرج سباع من بين المشركين فرحا مسروراً وظن أنه يغلب الامام ويأسره وجعل يرتجز وينشد ويقول :

ألق حسامك ياغلام وآتينى	من قبل أن تردى بحد حسامى
أعط القياد ولا تكن متجلدا	واعطف إلى بذلة الإرغام
فالآن من أصلح أن تكون مجندلا	فاقصر مرامك عند عظم مرامى
أسرع لنحوى ياعلى مبادرا	من قبل أن تفنى بدون ملام

(قال الراوى) فلما سمع الامام ماقاله سباع تبسم ضاحكا وقال الامام ها أنا مقبل

اليك وواقف لديك فقال له أسرع لنحوى لجاء الإمام إلى نحوه فظن عدو الله سباع أن الإمام سلم نفسه اليه حتى يأسره فتقدم سباع اليه وهو يظن أنه قادر عليه فلما قرب عدوالله سباع وثب اليه الإمام رضى الله عنه كأنه الأسد إذا عاين فريسته وضربه ضربة على رأسه بالسيف فشقه السيف نصفين ونزل عدوالله إلى الأرض قطعتين وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فعند ذلك التفت الإمام إلى كنعان وقال له ياعدو الله وعدو نفسه دونك والقتال فقد مضى صاحبك إلى النار وبئس القرار فلما رأى مداعس ابن كنعان ذلك من الإمام تقدم اليه وجعل ينشد ويقول .

أنا الفتى المشهور فى الفوارس	أنا الهمام الضيغم المداعس
أنا ابن كنعان المسمى يافتى	أنا مبيد البطل المحارس
أنا الممزق للعدا يوم اللقا	أنا شديد البطش فى الفوارس
فاحذر قتالى واطعانى ياعلى	ثم أتق الضربات من مداعس
أنا الذى أحيا ليوم كريهه	خائض الغمرات فى الغلامس
فات الى يا على مستأثراً	من قبل أن ترى بسر عابس
لأتركنك فى الفلاة مجندلا	تمشى عليك الناس بالمدائس

(قال الراوى) فلما سمع الإمام على رضى الله عنه كلام مداعس تبسم ضاحكا وقال ياابن كنعان دونك والضرب والطعان فانطلق اليه مداعس ومال نحوه فلما أتاه وثب اليه الإمام وثبته المعروفة فوصل بها اليه وقبض عليه بكلتا يديه ثم ضم الجواد اليه ليقلبه عليه فأيقن مداعس بالهلاك وأخذه الارتباك فصاح من شدة ما أصابه يا ابن أبى طالب بحق ابن عمك إلا ما أبقيت على وأحسنت بكرمك إلى فمد الإمام يده وقبض عليه وجذبه من سرجه فاقتلعه وأمسك رأسه وأوثقه كتافا بعمامته وقاده وفرسه الى هناك ورماه ثم ركب جواده وتقدم على مهل من غير طيش ولا عجل الى أن أتى الى القوم وقال لهم يا نسل اللئام هل فيكم من يبرز الى القتال ويبادر للنزال فناداه كنعان ياابن أبى طالب كن مكانك فانى قاصد اليك وهاجم عليك . ثم برز عدوالله كنعان ، وكان قد هب نسيم السحر وبدت غرة القمر مع انه كان فى آخر الشهر فنظر الإمام الى كنعان وهو كأنه الليث الجلمود وهو راكب على برذون أشهب من البراذين العظام مهول لعظم خلقته وكبر جثته فلما تقاربا نادى عدو الله كنعان يا ابن أبى طالب وطأت ولدى مداعس .

(قال الراوى) فقال الامام قد كان ذلك وأنت الآخر إن شاء الله من بعده فقال له كنعان قتلته أم لا قال له الإمام إنما هو بقبضتى أسير فقال له كنعان يا ابن أبى طالب لولا أنك أبقيت عليه ماأبقيت عليك ولقد كنت أضمرت أنى لاأمتعك بالحياة بعده طرفة عين واعلم ياابن أبى طالب أنه ماثم مخلوق على وجه الأرض يقدر على وليس له طاقة بى فاسلم بنفسك قبل أن ينزل بك الدمار ويحرقك الا له المنيع بالنار فقال له الإمام ياعدو الله ما كنت بالذى يسلم بغير حرب ولا قتال حتى أختبرك فى المجال وأبادرك فى النزال فقال له كنعان يا ابن أبى طالب قد وصلت إلى ما أنت طالب ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فتقاربا وتباعدا وتداعسا وتجاولا فرآه الإمام فارساً عظيما شديدا عارفا بالأمور والقتال شديدا فى المجال جسوراً على النزال ومازالوا كذلك الى أن أصبح الصباح وأشرق بنوره الوضاح وطلع النهار ولاح

(قال الراوى) فبينما الإمام رضى الله عنه يزيد فى القتال مع عدو الله كنعان إذ تصايح قومه من خارج الحصن فال عدو الله نحو أصحابه وترك قتال الإمام رضى الله تعالى عنه فالتفت الإمام وقد تباعد عدو الله عنه فرأى أصحابه متكئين عليهم كأنهم الشواهين وفى أوائلهم ناقد ومن ورائه الرغداء ومن ورائهم جنبل وفى اواخرهم خالد والجيش كتيبة فى أثر كتيبة وكان السبب فى ذلك أن القداح لما هرب من عند الإمام قصد أصحابه وأخبرهم بما وقع لهما فلما سمع أصحاب الإمام ذلك من القداح أطلقوا أعنة الخيل وفوموا الأسنة للطعن والويل وأتوا إلى الإمام كأنهم السيل فلما رآهم أصحاب كنعان تصايحوا بصاحبهم وأرادوا أن يأخذوه ويدخلوا الحصن ويقفلوا بابه فعرف الإمام ماقد أضمروا عليه فجعل يحاذيهم الإمام إلى أن فروا هاربين وإلى الحصن طالبين فأطلق الإمام عنان جواده ومال عليهم كأنه الباز الأشهب وحال بينهم وبين الحصن خوفا أن يفوتوه ويدخلوا فصرخ كنعان بقومه وقال لهم تربصوا عند الباب وأشغلوه بالقتال لعلى أملك باب الحصن وأدخل فيه فأخذته الأصوات من كل جانب ومكان والإمام لايكترث بهم

(قال الراوى) فعند ذلك اجتهد عدو الله كنعان الى الحصن فلم يصل اليه إلا وقد لحق به الإمام فدخل كنعان إلى الحصن وأراد أن يغلق بابه والتفت فرأى الإمام هاجماً عليه فطلب داخل الحصن فجال الإمام فى المشركين يمينا وشمالا وهو يقول أنا لكم باللئام واجتهد أصحاب الإمام أن يدركوه فلم يصلوا

اليه وقد صار المشركون من داخل الحصن وأغلقوه فنادى أصحاب الإمام واعلياه واسداه وامولاه وداخلهم الخوف والفزع على الإمام حين صار فى وسط القوم فريدا وحيدا . فبينما هم كذلك يقاتلون من خارج الحصن إذ نظرت الرغداء بنت الخطافه رجلا مكتفاً وهو مطروح إلى جانب صخرة فاشتغلت عنه بالقتال فبينما هى كذلك إذ ذهب رجل من المشركين إلى مداعس فحل وثاقه وذهب كل واحد منهم إلى ناحية فاستلحقت الرغداء بجوادها وراء الرجل الذى حل وثاق مداعس فأدركته فلم تكلمه دون أن ضربته فأزالت رأسه عن جثته . ثم رجعت إلى مداعس فلحقته قبل أن يصل إلى بقية القوم الذين كانوا من خارج الحصن فنادته برفيع صوتها إلى أين ياملعون ؟ هل لك أن تقول لاإله الا الله محمد رسول الله فقال لها وحق المنيع هذه كلمة لا أقولها أبدا مادمت حياً فلم ترد عليه الرغداء دون أن ضربته فى صدره فخرج السنان يلمع من ظهره. ثم جذبت السنان منه فتجندل صريعاً على الأرض يخور فى دمه وهو كالنخلة السحوق وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار

(قال الراوى) فنزلت عليه الرغداء وقطعت رأسه . ثم عمدت بها الى قومها وقد أفنوا من كان عندهم من المشركين خارجا من الحصن ولم يبق منهم الامن قال: لااله الا الله محمد رسول الله ولم يبق عندهم من ينازعهم فأقبلت الرغداء على القوم ورمت رأس مداعس بينهم فشكروها على ذلك . ثم قالت ياقوم مايكون خبركم من الإمام . فقالوا لها والله لم يكن عندنا منه خبر ولكن نرجو من الله سبحانه و تعالى أن ينصره عليهم انه على مايشاء قدير. هذا ما كان من أمر الرغداء بنت الخطاف

(قال الراوى) وأما ما كان من أمر الإمام رضى الله تعالى عنه فانه لما هجم على عدو الله كنعان ودخل الحصن فى أثره نظر عدو الله الى الإمام فرآه قد دخل معه فى الحصن فارتعدت فرائصه وغاب رشده فصرخ بقومه وقال لهم ياويلكم هذا على بن أبى طالب قد دخل حصنكم وصار بين أيديكم وحيدا فريدا بنفسه بينكم فاغتنموا وحدته واحملوا بأجمعكم فان هممتم أن ترفعوه على أطراف الأسنة لفعلتم فما الذى يمنعكم عنه وهو معكم ؟ ثم قبض عدو الله كنعان على سيفه وحمل مع أصحابه على الإمام وحمل الإمام على القوم بنفسه. وجعل يضرب فيهم يميناً وشمالا حتى لم يبق من حوله ولا من حول كنعان أحداً بدا فقدا الجماجم هداوهدالا بدان هدا وصار كل من وصل اليه أفناه وكل من ضربه أرداه

إلى أن قتل الرجال وجندل الأبطال وتفرقوا عنه يميناً وشمالا ، ثم قال الإمام لكنعان يا ويلك سلك قومك إلى المضيق والبحر العميق ولم ينفعك منهم أخ ولا صديق ولا رفيق (قال الراوى) فقال له عدو الله كنعان يا ابن أبى طالب خل عنك الكلام ودونك والخام . فلما سمع الإمام ذلك حمل عليه وضربه بحجفته على رأسه فنزل هاوياً إلى الأرض مغشياً عليه وقد اندق منخره فى الأرض فبرك عليه كانه الأسد وأوثقه كتافاً . ثم تركه على حاله وعمد إلى القوم فكان يقول للرجل قل : لا إله إلا الله محمد رسول الله وإلا قطعت رأسك بهذا السيف فمن أطاعه تركه ومن خالفه هلك فعند ما رأى القوم ذلك من الإمام تصايحوا : الأمان الأمان يا ابن أبى طالب وأشرف من كان فى أعلى الحصن من الرجال والنساء على قوم الإمام وقالوا لهم إنا نسألكم أن تؤمنونا من أميركم هذا ونحن مطيعون له فيما يأمرنا به ففرح أصحـــاب الإمام بذلك وزال عنهم الحزن والقلق وسمعوا الإمام يقول لهم لا أمان لكم عنـدى حتى يكتف بعضكم بعضاً ، فلما سمعوا ذلك أقبلوا على بعضهم وأوثقوا أنفسهم عن آخرهم وأقبلوا إليه سائرين بجميع أسلحتهم عنده ولم يبق فى الحصن معاند ولا منازع غير النسـاء وهن خائفات وجلات مذعورات لما رأوا من الإمام وهالهن ذلك ثم ان الإمام رضى الله عنه أمر من كان أسلم فى القتال أن يمضى إلى النساء وأن يوثقهن كتافا فمضى اليهم جماعة ففعلوا ذلك .

(قال الراوى) ثم ان الإمام رضى الله عنه أقبل على عدو الله كنعان ، وكان قد أفاق من غشيته وهز السيف فى وجهه . فقال يا ابن أبى طالب قل لى ما أنت له طالب وعليه عازم . فقال له الإمام يا كنعان قل : لا إله الا الله محمد رسول الله تكن لنا ولك السعادة والنجاح واياك أن تنكرها فيحل بك البلاء الفضاح وتخرج روحك من جسدك كخطفة البرق اذا لاح فقال يا ابن طالب ومن ينقذنى من نار المنيع وسطوته فقال له الإمام يا ويلك ان للمنيـع قد ولى زمانه وحان هوانه وأتى بواره وقرب دماره . فقال يا ابن أبى طالب من يفعل به ذلك ومن يستطيع الوصول اليه ؟ فقال له الذى أوصلنى اليك هو قادر على أن يوصلنى اليه ودماركم جميعاً على يدى باذن الله تعالى . فلمـا سمع عدو الله كنعان ذلك . قال انى أشهدكم على يا معاشر النسـاء والرجال انى برىء من هؤلاء السحرة محمد وابن عمه على الظالمين الطاغين المعتدين الساحرين (قال الراوى) فلم يمهله الإمام وقد اشتد به الغضب دون أن

ضربه ضربة هاشمية محمدية فوقعت الضربة على عاتقه الأيمن فخرج النيف من تحت إبطه الأيسر فوقع عدو الله على الأرض قطعتين كأنه الصخرة إذا وقعت أو الجبل إذا قطع وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار . ثم ان الإمام رضى الله عنه أخذ رأس عدو الله كنعان وأقبل بها إلى الباب ففتحه وظهر بها إلى القوم فوجدهم قد أفنوا من عندهم من المشركين ولم يبق عندهم الا من يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله وقد صفا وقتهم وطاب عيشهم وهم فى انتظار أن يخرج اليهم . فلما خرج اليهم ورأس عدو الله كنعان فى يده فرحوا بذلك واستبشروا وأكثروا التهليل والتكبير واستقبلوه جميعاً وهنوه بالسلامة فجازاهم الإمام خيراً وشكرهم على ذلك (قال الراوى) ثم ان الإمام رضى الله تعالى عنه لما فرغ من سلامة قال لهم ياقوم أين مداعس بن كنعان فأقبلت اليه الرغداء بنت الخطاف رضى الله عنها . وقالت يا سيدى انه قد لحق بأبيه إلى النار وبئس القرار . فشكرها الإمام على ذلك وجزاها خيراً ثم ان الإمام رضى الله تعالى عنه أمر القوم بدخول الحصن فدخلوا والإمام فى أوائلهم وهو يقول : فتح الله ونصر وخذل من كفر ثم بعد ذلك أمرهم باحضار الأسارى فأحضروا بين يديه فأمر بحل كتافهم لخلوهم. وقال لهم يا قوم أنتم نظرتم ماحل باخوانكم فلا ينجيكم منى الا أن تقولوا لا إله الا الله محمد رسول الله والا أفنيكم عن آخركم فتخيروا لكم واحدة من هاتين الاثنتين فأنتم المخيرون فى ذلك فقالوا جميعاً نحن نشهد أن لا اله الا الله وأن ابن عمك محمداً رسول الله فسر الإمام بذلك سرورا عظيم وفرح باسلامهم فرحا عظيما (قال الراوى) ثم ان الإمام أراد أن يرتحل من ذلك الحصن فأقبل عليه ناقد بن الملك وقال ياابن عم رسول الله ﷺ انى أريد أن أسألك عن أمر فان كان فيه معصية فانى أتوب الى الله سبحانه وتعالى منه وان كان فيه سماح فاسمح لى فيه فمنكم الجود والكرم وأنتم سادات الحرم وأفضل العرب والعجم . فقال له الإمام رضى الله عنه وما ذاك يا ناقد فقال له يا أبا الحسن روحى لك الفداء ان لى فى المأسورات من النساء اللائى هن فى الحصن مأسورة آلمنى أسرها وما هى الا من بنات الملوك والعز والدلال وكانت مقيمة تحت ذى الضلال وهى بنت أمى وأبى أعز الخلق عندى وان الولد مولود والبعل موجود والأخ مفقود وهممت أن أخاطبها وأدعوها الى ما دعوتنا اليه من هذا الدين النبوى والإسلام النقى فان أردت أن تأذن لى فى ذلك فالأمر اليك فقد كبر على والله ما نزل بها .

(قال الراوى) فعند ذلك تغرغرت عينا الإمام بالدموع، وقال يا ناقد امض اليها فأنت أملك بها وأحق فتلطف بها وشوقها إلى الاسلام وعبادة الملك العلام فخرج ناقد من القوم وسار إلى أخته وكانت اسمها عليا ، فلما أقبل عليها وهى فى جملة المأسورات صعب عليه ذلك فعزت نفسه عليه فأمسك عن الكلام فلما نظرته أخته من بين المأسورات بكت واشتكت وتنهدت وقالت يا أخى تنسانى فى مثل هذا الوقت فتركتنى مطروحة بين الأسارى وما عرفت منك الجفاء منذ حياتى فعرفنى يا أخى ما أنت عليه حتى أتبعك ولو كان فيه ذهاب روحى ثم أنشدت تقول :

جفوت وهل يجفو الفتى للأقارب ... ووليتنى الهجران مثل الأجانب
نسيت التى كانت لك الدهر خلة ... وأسلمتها فى موبقات الركائب
شكوت لك الأهوال أسرى وذلتى ... وتشتيت شملى من أخ ثم صاحب
فلا تتركنى فى ضلال وحيرة ... وأسر فقد ضاقت وجوه المذاهب
وصف لى طريقا مستقيما فاننى ... أكون عليه معك يا ابن الأطايب
وأتبع الحق الذى قد تبعته ... وأسلك منهاج الكرام المراتب

(قال الراوى) فلما سمع ناقد كلام أخته عليا سبقته العبرات فبكى ، وقال لها يا أختى لاح لى الحق والبرهان فعرفت ربى بحقيقة الإيمان وتركت عبادة الأوثان والصلبان وعلمت ان المسيح ومن ركن اليه فى ضلال وخسران فلا يعبد بحق إلا الملك الديان الحنان المنان الذى خلق الانس والجان وكل يوم هو فى شأن وهو الباقى وكل ما سواه فان ، فهو الملك الحق القدوس السلام وإنى قد وجدت مع هؤلاء القوم برهانا أتوا به من عند الله فأقررت لله بالوحدانية ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة وإن شئت يا بنت أمى وأبى ان تسرينى باسلامك فانى محزون عليك وأسر بما يصل من الخير اليك فأقرى لله بالواحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة وإن أبيت فهذا فراق بينى وبينك فلما سمعت عليا مقالة أخيها قالت يا أخى وقرة عينى إنى كرهت مفارقتك وأنا مسرورة بطلعتك وإنى قائلة بمقالتك أشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله

(قال الراوى) فعانقها ناقد وضمها الى صدره وفرح باسلامها فرحا شديدا ثم مضى إلى الإمام وأخبره بذلك ففرح الامام باسلامها وأمره أن يقرها بأما كنها وأمر ان يأتوا بجميع المأسورات فاحضرهم بين يديه فقال لهن الإمام ايها النساء هل لكم ان تفوزوا بترك الضلال والكفر

والظلمه وتكونوا تبعا لأزواجكم وتقروا الله بالوحدانية وتقروا النبيه بالرسالة ويكون لكم ولنا العز والشرف فى الدنيا والآخرة وتكونوا فى أما كنكم الجديده بسرور ولا ضر فماذا قلتم ؟ فقالت النساء بأجمعهن يا ابن عم رسول الله نحن نشهد ان لا اله الا الله وان ابن عمك محمداً رسول الله .

(قال الراوى) ففرح الإمام باسلامهن وفرح أزواجهن فرحا شديداً ثم ان الإمام عقد عقدهن على أزواجهن ومن كانت قتل زوجها زوجها غيره وأقر الجميع فى منازلهم واجتمعوا على الإسلام بعد الإجتماع على الكفر وفرحوا فرحا شديداً ما عليه من مزيد ثم ان الإمام ضم الغنائم الى الحصن وأمر على الحصن اميرا واوصاهم بحفظ نفسهم الى ان يأتيهم ثم ارسل رجلا ينظر خبر الجيش الذى ياتى مع غنام بن الملك الهضام فسار الرجل غير بعيد . ثم رجع الى الامام رضى الله عنه واخبره ان القوم وابن الملك قد اتوا اليه وزحفوا عليه وهو فى عشرة آلاف فارس ليوث عوابس قدا نتخبهم من ماتة الف فارس فقال الإمام المقام قبل ان يلقونا فإن ذلك اهيب لنا والله المعين ينصر من يشاء من عباده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

(قال الراوى) ثم ارتحل الإمام من وقته وساعته وسار بعد ان بلغه الله ما امله وظفر بعدوه والتفت الى القوم وقال لهم معاشر الناس إن الله تبارك وتعالى لم يزل اليكم محسنا وعليكم متفضلا وقد رزقكم الإسلام وخصكم بالإيمان ورزقكم مغانم تأخذونها ومساكن تسكنونها كانت لغيركم ولمن قبلكم فصرتم ملاكها فاحمدوا الله سبحانه وتعالى على ذلك الاوانى ملاق بكم قومكم واهاليكم وعشائركم فلآ يتوجه معى الا من رفض الحبيب والدنيا والقريب والصاحب والغريب فى رضا الله القريب المجيب فمن احب اللقاء فليسر معى ومن خبثت نفســـه فلا يسر معى فهذه الطريق السالكة امامه ومن اراد المقام فى الحصن فليقم ومن أراد ان يمضى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فليمض ولو كنت وحدى للقيت القوم متكلا على الله سبحانه وتعالى فتصايح القوم بأجمعهم يا ابن عم رسول الله ارواحنا وحك الفدا واسيافنا دونك اذا طرقتك العدا كيف نتخلى عنك وانت الذى انقذنا الله بك من الضلال الى الهدى والرشاد فوالله لا نفارقك حتى نقاتل بين يديك ونرضيك ونرضى الله تعالى ولا نسلمك للعدا ابدا فشكرهم الامام على ذلك وجازاهم خـــيرا وسر بذلك سرورا عظيما (قال الروى) ثم اراد الإمام ان

يسير بالقوم فأقبل عليه ناقد بن لملك ، وقال له يا أبا الحسن روحى لك الفدا وأيدك الله بالنصر على العدا والله ان أمكنني الله من أخى غنام فهو رأس القوم وعزمهم وقدرت عليه وسألته الإسلام وأبى لأقطعن رأسه فطب نفساً وقر عيناً فأنا لقولك سامعون ولأمرك طائعون ، ثم أقبلت بعده الرغداء بنت الخطاف وجنبل بن وكيع وخالد بن الريان وقالوا مثل ما قال ناقد فجزاهم الإمام خيرا . ثم سار بالقوم مؤيداً منصوراً فما بعد عن الحصن غير ميل أو أزيد حتى لاح له سواد طائر وعجاج عاكر وغبار سائر حتى سد الأقطار فالتفت الإمام الى أصحابه ، وقال لهم يا قوم انى أرى سواداً طائرا وعجاجا عاكرا ولاشك انه غبار القوم ولا أرى لهم كتيبة تقدمهم ولا طليعة تكشف لهم الأخبار فما أنتم قائلون وما الأمر الذى به تشيرون ؟

(قال الراوى) فقال ناقد يا ابن عم رسول الله ﷺ ان الماء من ورائك والذى أراه من الرأى أن ترجع بالقوم الى المكان الذى كنا فيه من غير فرار ولا هلع ولا جزع فنكون من ذلك على حالتين احداهما كثرة الماء وسعة الفضاء والثانية تجمع الرحال والأثقال وجميع ما معك وتدخله فى الحصن وتخرج للقوم مجرداً بلا عائق ولا ثقل وهذا الذى أراه ورأيك أعلى وأوفق فقال له الإمام أرشدك الله يا ناقد ووفقك للخير وهداك الى طاعته . ثم قال للقوم ارجعوا بنا على بركة الله وعونه وحسن توفيقه فرجع القوم الى الحصن وهو حصن الصخر وأدخلوا رحالهم واثقالهم وجميع ما معهم ونادى الإمام يا معشر الناس من علم من نفسه تقصيرا أو خاف من جواده او كان له عذر يمنعه عن القتال فليجلس فى هذا الحصن فمن يحل فيه ما عليه ملام فلقد أتانا فوارس وأبطال فنتلقاهم ببوادر النزال

(قال الراوى) ثم إن الإمام طاف على القوم يتفقدهم رجلا رجلا فكان لا يمر بشيخ كبير ولا طفل صغير ولا أحد ممن لم يقدر على القتال الا أدخله الحصن وأمره بالمقام فيه ، فما زال كذلك الى أن مر بالقداح بن وائلة وقد اشتد وتحزم واخذ فى الصلاح . فلما نظر الإمام اليه تبسم ضاحكا وقال أى رجل ما أحسن عدته وأهيب منظره ولو كان له قلب الا أنه كالسراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً يا قداح عليك بالحصن ولا تزل عنه . فقال القداح للإمام رضى الله تعالى عنه والله يا سيدى ما بدلت بالإسلام دينا فلا تقعدنى مع النساء فى الحصن والأوطان وانا معروف بمنازلة الأقران ومبارزة الشجعان ومبادرة الفرسان فقال له الإمام

ياقداح لعلك تكون معروفا بلعب الصبيان وأكل الرغفان واخماد الجفان ابعد ما ظهر لى منك البارحة صرت الآن تعد رجلا مع الرجال حين اطمأننت مع انى قد اعتمدت عليك فلم اجدك شيئاً

(قال الراوى) فقال القداح يا ابا الحسن إنما يعد الفارس بمثله والبطل بشكله وان الحصن مملوء رجالا وابطالا وفرسانا وفيهم داهية لا يطاق ولا يلحق فى السباق اتامرنى ان ادخل اليهم وأهجم عليهم والله لو جعل كنعان اصبعه على راسى لخمد حسى وانقطع نفسى ، فلما سمع الإمام منه ذلك تبسم من قوله وقال يا قداح واين كنعان وولده مداعس طلعت عليهم السابقة ودهتهم الداهية فلم يبق منه باقية . فقال له القداح ياسيدى واين الذى هو مثلك وأنت البطل المشهور والليث المذكور فلست أنا مثلك ولا مثل احد من عبيدك وانا من دون ذلك واقل واحقر وانت السيد الأكبر واعظم وافخر وسأقاتل بين يديك حتى يمحى ما بقلبك على من الوجد فقال الإمام ما أنا مؤاخذ من لم يعزه الله بالشجاعة والبراعة والقوة ولا اعترض على الله فى فعله لأنه خلق الخلق أطوارا فنهم قوى وضعيف وجلد ونحيف. فقال القداح يامولاى ان الله تعالى آتانى شجاعة وبراعة وانا أظهرها اليوم بين يديك

(قال الراوى) فلما سمع الإمام ذلك تبسم من قوله وقال ياقداح هل لك ان تمحو ماقدمت وما نزل من بلائك وانقلت . فقال نعم ياسيدى أنا لك وبين يديك أؤمرنى بما شئت فجزاه الإمام خيرا . ثم قال له ياقداح انه ليس فينا أحد اقرب عهدا منك بالقوم وانهم قد ارسلوك رسولا للحصن وتعود اليهم برد الجواب فهل لك ان تسير اليهم وتحدثهم بكلامك فينا وتذكرلهم انك لم تر لنا خبرا ولا اثرا وتبلغهم انك سمعت اننا ماوصلنا الى حصن الصخر وانا على حصن رامق . ثم تبين مسيرهم . فان وجدت سبيلا الى صاحبهم فاقتله . وان بعد عليك ذلك فسر بمسير القوم الينا وهذا المكان يجمعنا فاذا نزل القوم واطمأنوا فها نحن نفتح الباب ونخرج اليهم وهم على غير أهبة ويفعل الله ما يشاء ويختار (قال الراوى) فلما سمع ذلك القداح اطرق برأسه إلى الأرض ساعة ولم يرد جوابا ولم يبد خطابا فقال له الإمام ياقداح مامنع لسانك عن الخطاب وحبسك عن رد الجواب . فقال بابى أنت وأمى ياأمير المؤمنين ماأراك الا تقدمنى فى المهالك أنا ما اصلح إلا للحرب والنزال والمبادرة والقتال وملاقاة الأبطال ولست اصلح للمراسلة ولا المكاتبة وان أردت أن تعفو عنى من هذا الحال وترسل إلى هذا الأمر غيرى

من الرجال فدعنى أكون أمامك و بين يديك أقاتل من قاتلك وأعادى من عاداك فتبسم الامام ضاحكا من قوله وقال له ياقداح ان انكلت على نصرتك فأنى العاجز ياويلك أتخشى من قوم فارقتهم البارحة وقد ائتمنوك على سرهم وعظيم أمرهم ولا يضرك أن تعود اليهم وتذكر ماأمرتك به . فقال القداح ياسيدى فاذا أنا فعلت الذى أمرتنى به وخدعت القوم وسقتهم اليك سوق الجزور الى الجزار ثم ظهرت انت من الحصن برجالك وأبطالك فيعلم القوم عند ذلك أن مبتدأ الأمر والمكر والحيل منى ومنتهاه الى فيحملونى على أطراف الأسنة ثم يقطعونى قطعا فما أظنك ياسيدى إلا وقد كرهت مكانى وتريد أن تبعثنى لهلاكى فتبسم الامام من قوله وتضاحك جميع أصحابه . فقال الإمام اللهم ارزقنا عفوك يا أرحم الراحمين . ثم أقبل على القداح وقال له ياويلك ان يؤمنك منهن بعون الله طول باعى أوهجمتى واسراعى فيشتغلون بى عنك أما علمت ياقداح ان العرب يسمونى البلاء النازل والموت الفاصل وأنا الامام الفاضل الذى الحق الأوائل بالأواخر والأواخر بالأوائل لأنى إذا نزلت فى بيت فيه الرجال شخصت اعينهم إلى ورجفت قلوبهم وخرست السنتهم هيبة من الله عز وجل القاها الله فى قلوبهم منى فسر إلى ما أمرتك به تر العجب فاذا سرت فقل : لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

(قال الراوى) فعندذلك نهض القداح إلى القيام وهو لايريد القيام فأقبل إلى مطيته فشدها واستوى راكبا فى كورها . ثم التفت إلى الإمام رضى الله عنه وقال يا أبا الحسن ها أنا ماض لأمرك فاذا رأيت القوم قد تبادروا إلى وعطفوا بأسلحتهم على فلا يشغلك عنى شاغل وليكن بأسك إلى واصلا وأبدأ بخلاصى قبل أن تبطش بهم . فقال له الإمام لك ذلك على ياقداح امض وتوكل على الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فتوجه القداح سائرا فلما ولى تبسم الإمام ثم قال لقد أعطاك الله ياقداح من الجبن نصيبا ياويلك فلو كان لك قلب لكنت رجلا عظيما وجعل الإمام يكررها مرارا (قال الراوى) ثم ان الإمام التفت إلى أصحابه وقال لهم يامعشر الناس لاتزولوا عن أماكنكم حتى تنظروا ما يكون من أمر صاحبكم القداح فانى أراه جبانا والجبن اقبح شىء بالرجال . وأما القداح فانه حين فارق الإمام وسار اطلق لمطيته زمامها وجد فى سيره مترنما بهذه الأبيات وفيها يذكر ما الزمه الإمام رضى الله عنه وان لم يكن له رغبة فى ذلك وانشد وجعل يقول .

حملت ثقلا وانى كنت أحمله   تجلد إذ دنا ثقل فاعيانى
مالى وللحرب لا كانت كوائنه   النوم أطيب شيء عند وسنان
ألقى الجوع بارماح مقومة   حقا وربى عنها كان اغنانى

(قال الراوى)وما زال القداح سائرا الى أن أشرف على القوم وهم سائرون وقد سترهم الغبار المنعقد عن أعين الناظرين وهم قد احدقوا شرقا وغربا كأنهم الليل الدامس . فلما نظر اليهم القداح حدث نفسه بالهروب . ثم قال : والله أنى لا آمن أنى أن هربت كان من ورائى هذا مفرق الكتائب . فلما دعته نفسه خشى الفضيحة وخاف من أمير المؤمنين رضى الله تعالى عنه فوقف هناك حائرا لايدرى إلى أين يذهب . فبينما هو واقف بين الحيرة والفكرة إذ هتف هاتف من جانب الوادى بصوت رخيم يصيح ويقول :

ما الجبن من شأن الرجال وأنه   عيب وعار للبيب العاقل
تق بالامام وقوله لك أنه   رجل هجوم فى العجاج النازل
وهو المؤيد من إله قادر   بالنصر أيده بسيف قاتل
نفسى الفداء له فتى ما مثله   يعطى الرغائب والمنى للسائل
وإذا غدا لكريهة فكأنه   يرمى العدا منه بسيف فاصل
فانهض لأمر المرتضى وذر الذى   حاولته واقبل مقال القائل

(قال الراوى) فلما سمع القداح قول الهاتف قال لاطاقة لى بمعيرة الأنس ولا جان ثم قال : والله لأحمل بنفسى على المهالك ثم حرك مطيته إلى أن وصل فى القوم فتبادرت إلى نحوه الرجال واسرعت اليه الأبطال . فتأملوا فاذا هو القداح رسول الملك ففرحوا بقدومه فرحا شديدا ثم سألوه عن حاله وعن خبره فلم يبد لهم جوابا فتسارع القوم الى صاحبهم غنام بالبشارة بوصول القداح اليه ففرح غنام بذلك وقال وحق المنيع لأطأن ابن أبى طالب ولو أنه وصل الى مكانه بمكة ولأسوقنه الى منيع سوق العبد الذليل ثم همز جواده الى أن وصل الى القداح ثم ناداه يا قداح ما وراءك وما الذى سمعت من الخبر فقال ياسيدى سمعت الخبر . فقال غنام وما ذاك ياقداح فقال ياسيدنا ويبن مسكنا الناس قد صبوا إلى هذا الغلام من خوفهم منه حتى فى سالت النساء والصبيان فوجدتهم لايتحدثون الا بحديثه ومقاله أنه قد خرج من مدينة يثرب وحيدا فريدا وهاهو قد اجتمع معه عسكر جرار عظيم بغير عطاء

ولا رفد كأنهم اخوان لايدرى أين كانوا والموت بين يديه سائر وقد فتح حصن الوجيه وسار إلى حصن الرامق وهو الآن نازل عليه بجيوشه وقد تركت اهل حصن الصخر حافظين له وقد أظهروا سلاحهم واعتدوا للحرب مع ذلك الجيش وقد زاد الأرق وكثر القلق وأنى لما بشرتهم بقدومك عليهم سكن روعهم واطمأنت قلوبهم وقد بلغنى أن ابن أبى طالب سائر اليهم. فقال له غنام ياويلك مافعل بكنعان الذى كان يروع الوحوش والنساء فى الأوطان والرجال فى كل مكان . فقال القداح . وابن كنعان وحق أبيك أنه قد شغله عنك وعنهم شاغل ولا شك أنه قد ولى راحلا فقال له غنام ياويلك ما هذا قال أنه نزل به الموت وعاجله الفوت . (قال الراوى) فصفق بيديه غنام ثم قال له ياقداح لا بشرت بخير فما فعل بولده مداعس القتال المخالس . فقال القداح وحق المنيع أن مداعس أدركه ما أدرك أباه ولا عدت تراه فقال له غنام ياويلك ياقداح لاسقيت الغيث ولا رجعت الى أملك سالما ياملعون فما لحقنا من ورودك خير فهل طرقهما الموت جميعا ووصل اليهما سريعا فقال له القداح ياسيدى ستخبرهم وترى ما حل بهم فاعرض عنه غنام بوجهه وقال له اصرف وجهك عنى لا كنت ولا كان ولا عمرت بك أوطان فقال له القداح سمعا وطاعة لقد سألتنى عن أمر فلم أقدر اكتم منه شيئا ولم يزل غنام سائرا بقومه إلى أن قرب إلى حصن الصخر . فقال جنبل بن وكيع جاءنا والله يا أبا الحسن عسكر جرار وقد لاح والله لمعان سيوفهم وإنى ياسيدى أرجو من الله أن يكونوا غنيمة لنا وكأن صاحبنا القداح قد سابقهم الينا وأخبرهم بما نزل بأصحابهم فيكون ذلك أقرب لنا واهون علينا (قال الراوى) ثم ان الامام أمر الرجال بنقل الرحال والأثقال الى داخل الحصن وأن يدخلوا الخيل والرحال والجمال وكان ذلك الحصن كبيرا واسعا يغيب فيه العسكر الجرار ولا يرى له فيه آثار فلم يبق أحد خارج الحصن ودخل الإمام رضى الله عنه واغلقوا الباب فلما استقر القوم فى الحصن أقبل اليهم الإمام رضى الله تعالى عنه وقال لهم يامعشر الناس أن القوم اضعافكم مرارا وقد بلغنى عن صاحبهم غنام أنه أفتك اخوانه و بطشهم يدا وأكثرهم بأسا وأقواهم مراسا وانى عزمت أن اقدم بكم اليهم وأهجم عليهم ان شاء الله تعالى فانظروا أمامكم وسلموا إلى الله أموركم وانزعوا الرعب من قلوبكم وإياكم أن تبقوا على أقاربكم وعشائركم وأن كبر عليكم ذلك فلا تستعينوا بالمخلوقين واستعينوا بالله رب العالمين الأوانى

أوصيكم بما أوصى به نفسى . أما أنا فرجل مثلكم أريد بكم اليسر وما أريد بكم العسر (قال الراوى) ثم ان الإمام رضى الله عنه أقبل على من أسلم من أهل الحصن وقال لهم كونوا فى اعلى حصنكم فان خاطبكم غنام فخاطبوه واظهروا له السيادة وأسألوه النزول عندكم فيزول عنه الشك فقالوا حبا وكرامة ياابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم التفت الإمام الى جنبل بن وكيع وقال كن خليفتى على من فى الحصن حتى ارجع اليك إن شاء الله تعالى فقال له جنبل وحق ما أعتقده من حبك وولائك ما كنت إلا معك وبين يديك لعلى ان احظى بالسعادة وأغتنم الشهادة فشكره الإمام على ذلك ثم أقام مكانه خالد بن الريان وتقدم أمير المؤمنين وقال لأصحابه أنا خارج أمامكم فى نفر قليل من قومنا لأننا إذ خرجنا بجمعنا نخشى أن يفوتنا ما عزمنا عليه ويبعد عنا ما أملناه ويستيقظ القوم لنا فقالوا له ياسيدنا ومولانا افعل ما بدا لك فانا لكلامك سامعون ولأمرك طائعون إن شاء الله تعالى .

(قال الراوى) فدعا الامام بناقد وجنبل والرغداء وغيرهم من الأبطال المعروفة بالشجاعة والقوة والبراعة فأقبلوا اليه ووقفوا بين يديه وقالوا له أؤمرنا بما تريد فقال الإمام يا ناقد ان أنت وصلت الى اخيك غنام فلا تأس عليه ولا تمدد يدك اليه بسوء وائتنى به أسيرا واياك أن تأخذك لومة لائم فى الدين فكن فيمن ذكرهم واثنى عليهم لما أنهم عادوا فى الله آباؤهم وأبناؤهم وعشيرتهم فلما سمع ناقد ذلك تبسم وقال ياسيدنا وحق ابن عمك محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أخى غناما اشدمنى بأسا وأقوى مراسا ولا أطيقه فى الحرب ولا أصده فى القتال والضرب ولكن أنا واثق بالله تعالى ومتوكل عليه فقال الإمام يا ناقد قل لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . ثم أن الإمام حزم وسطه وجمع اذياله فى دائرة منطقته وأمر أصحابه أن يترجلوا ويفعلوا كفعله وقال يامعشر الناس إذا رأيتمونا قد ناشبنا القوم بالحرب فأتونا بخيلنا مسرعين (قال الراوى) فبينما الإمام كذلك وهو يوصى اصحابه إذ سمع صهيل الخيل وقعقعة اللجم وتصافق الرماح وصياح الرجال عند نزولهم وقد ارتجت بهم الأرض من كثرتهم فقال الإمام يا ناقد قد ظهر السرور والفرح فنظر اليه ناقد وهو مبتسم ضاحك فقال ياسيدى هؤلاء الجيوش قد ارتجت الأرض لكثرتهم فقال له لا يهولنك ذلك فان الله تبارك وتعالى معنا لايخفى عليه من أمرنا مثقال ذرة ومعنا أينما كنا وهو القادر عليهم فبقدرته ينصرنا عليهم إن شاء الله تعالى قال

.ناقد ياسيدى لاأفلح شانيك ولا خاب مواليك وخسر معاديك فشكره الإمام وقال يا ناقد إنى متشوق إلى الضرب أشوق من الظمآن إلى الماء البارد فنزل القوم وامتدوا بالوادى فلئوا الأرض بالطول والعرض ونصبوا الخيام والمضارب وأحدقوا بصاحبهم غنام من كل جانب ومكان .

(قال الراوى) فلما استقر بغنام الجلوس ولم يستقبله أحد قال أين القداح بن وائل فنودى به فاتى اليه ووقف بين يديه فقال له غنام ياقداح ما كان فيهم من يستقبلنى ويخرج إلى قبل وصولى اليهم فقال لهم القداح وكان صاحب لسان لا صاحب ضرب ولا طعان ياسيدى إن خوف ابن أبى طالب قد تمكن فى قلوبهم فيخشون من أن يقع بهم فبينما هو يخاطب القوم وإذا بباب الحصن قد فتح وخرج الإمام مسرعا ومعه قومه وقد تركوا باب الحصن مفتوحا وتقدم أمير المؤمنين وهو غير مكترث بهم إلى أن اخترق عسكر غنام ووصل اليه فوجده جالسا من حوله أصحابه وأكابر قومه والقداح بازائه وغنام يحدثه فلما نظر القداح إلى الامام وهو مقبل اصفر لونه واضطرب كونه وتغير وجهه وتأخر إلى ورائه فبقى غنام يحدثه وهو يقول أتتكم الكتائب ووصلت اليكم المصائب من كل مكان وجانب من ممزق الكتائب ومظهر العجائب ومبدى الغرائب ليث بنى غالب أمير المؤمنين على بن أبى طالب .

(قال الراوى) فلما وصل الامام إلى غنام بن الملك لم يمهله دون أن حسر عن لثامه وتقدم الى مكانه . وقال : أنا صاحب العجائب أنا مبدى الغرائب . أنا البحر الساكب أنا الأسد الطالب . أنا هازم الجيوش والضوارب أنا الليث المحارب . أنا فارس المشارق والمغارب أنا ليث بنى غالب أنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب ثم أشهر سيفه وفعل أصحابه مثله وكبر الامام وكبر أصحابه الذين معه وسمعهم الذين فى الحصن فكبروا وأطلقوا لهم الاعنة وقوموا الأسنة فلما نظر غنام ذلك اندهش وحار وذهل ونظر إلى أمير المؤمنين وقد كاد يعلوه بالسيف فصرخ صراخا كبيرا منكرا فانكب عليه أصحابه من كل جانب ليمنعوا عنه الامام فلم يكبر ذلك على الإمام دون ان تقدم اليه رجل منهم يقال له مسارع بن جميع . وكان كأنه قطعة جبل لطوله وعظمه فضربه الامام على عاتقه فطلع السيف يلمع من تحت إبطه فتجندل صريعا يخور فى دمه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار .

(قال الراوى) فتقدم الغطاط بن جبير العابد وقال له يا ابن أبى طالب كيف وصلت إلى سيد السادات وفعلت به هذا الفعال أنت عدمت عقلك وأراد أن

يعطف على الامام فعطف عليه الامام رضى الله تعالى عنه عطفة هاشمية وهو ممتزج بالغضب كالأسد الضارى وقال له ياعدو الله أما عرفت أن ابن أبى طالب هو الموت الفاصل والبلاء النازل فهل لك أن تقول لا إله إلا الله محمد رسول الله فقال يا ابن أبى طالب تخدعنى بالكلام وتسحرنى بسحرك قال له الامام أنا سحرى ذو الفقار الذى عجل به لكم الويل والدمار ثم وثب عليه وضربه ضربة فاحتملها عدو الله على حجفته من فوق رأسه فوقعت تلك الضربة على الحجفة فقطعها ونزل السيف على رأسه فخرج من بين فخذيه .

(قال الراوى) ثم تقدم إلى الامام رضى الله تعالى عنه رجل يقال له حزام وكان من الأبطال المشهورة والشجعان المعدودة فبادر الإمام رضى الله عنه ليضربه بسيفه ويأخذ منه ثار أصحابه فبادره الامام وضربه بالسيف فزقت الضربة درعه ورمت نافوخه فتجندل صريعا يخور فى دمه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فعند ذلك تكاثرت القوم على الإمام رضى الله عنه بجمعهم وهو غير مكترث بهم بل يضرب بسيفه يمينا وشمالا فيقطع بحسامه الدرع الساتر والبيض العادية ان ضرب طولا قدوان ضرب عرضا قط وبعد ذلك يدخل يده تحت الفرس ويرفعها فيقلب الجواد براكبه ويمسك الرجل بيده ويحذف به الآخر فيقتلهما فلما رأى القوم ذلك تنافروا يمينا وشمالا بعد أن قتل منهم مقتلة عظيمة وكان لا يرى غير رؤوس طائرة وأكتاف حائرة ثم رجعوا بعد ذلك الى أماكنهم بعد أن ملك أعداء الله القداح بن وائلة .

(قال الراوى) فعظم ذلك على الإمام رضى الله عنه فبينما القوم كذلك إذ خرج من عساكر المسلمين غلام أمرد رشيق القد مشرق الوجه متوشح بازار أحمر وبيده سيف مشهور فأقبل حتى وصل إلى جيش غنام وحمل عليهم فتأملوه فاذا هى الرغداء بنت الخطاف فأدركها الامام وجازاها خيرا وأمرها بأن ترجع إلى مكانها وقال لها نحن نكفيك هذا الأمر بأنفسنا ثم أقبل ناقد بن الملك إلى الإمام رضى الله عنه وقال يا ابن عم رسول الله ﷺ : إنى عزمت على كشف القناع وبسط الذراع وأريد أن اتقدم إلى أخى بالأعذار والانذار فعسى أن يصلح الله شأنه وشأن من معه فقال الامام لا أمنعك من ذلك أخرج على بركة الله تعالى ورسوله وحسن توفيقه . (قال الراوى) فتقدم ناقد إلى أخيه ونادى برفيع صوته ياأخى قد ظهر الحق لطالبه وخسر صاحب الباطل فى مذاهبه قد ذهبت دولة الأصنام وجاءت دولة الاسلام وعبادة الملك العلام وظهر دين

محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، ثم نادى أخاه غناما . وقال يا أخي تقدم إلى حتى أدلك على طريق تقربك الى الله وتدنيك ومن النار والعذاب تقيك والسلام على من أتبع الهدى وخشي عواقب الردى وأطاع الملك الأعلى ياأخي أسلم تسلم وتكن من أصحاب الإمام المكرم وابن عم محمد المعظم صلى الله عليه وسلم .

(قال الراوى) فلما سمع غنام ذلك من أخيه ناقد فار بالغضب وأخذه الغيظ والحنق فقال لقومه هذا أخي الضال المغوى الذى أغضب أباه وإلهه المنيع وقطع رحمه وها أنا خارج اليه وملق بنفسي عليه فاذا رأيتموني وصلت اليه فسارعوا لنحوى فقالوا له سمعا وطاعة ، ثم خرج من قبل العسكر وهو ينشد ويقول :

لبيك أنت أخي ان كنت منقذني ... من الهلاك ومنجيني من النار

لبيك يا ابن أبي ان كنت مسعدني ... فالسعد أنجى لى من ظلمة النار

بادر الى وخلص مهجتي ودمى ... من المهالك واسمع بث أسرارى

(قال الراوى) فلما فرغ غنام من شعره أتى نحو أخيه بغير عدة ولا سلاح .فلما رأى ناقد أخاه وهو على تلك الحالة لم ينكر شيئا من أمره فدنا منه ليعانقه ويستعطفه فلم يمهله غنام دون أن دكس عليه بجواده ثم داخله وعاقصه وضرب بيده على أطواقه وسحبه اليه فاقتلعه من سرجه ، فلما رأى المشركون ذلك من غنام وقد أقتلع أخاه ناقدا من بحر سرجه أتوا إليه مسرعين مبادرين فرحين مسرورين حيث اخذ ناقدا من المسلمين فلما أخذه غنام أوثقه كتافا وسلمه إلى أصحابه فمضوا به إلى عسكرهم ، فلما رأى الإمام ذلك من المشركين لم يمهلهم دون أن حمل عليهم وحمل معه أصحابه ومالوا على المشركين فحمل غنام وحمل معه أصحابه ومنعوا الإمام وأصحابه من الوصول الى القداح وناقد ولم يزالوا كذلك الى أن ذهب النهار وأقبل الليل بالإعتكار فافترق القوم ورجع كل فريق إلى أهله ، وقد حزن المسلمون لفقد ناقد ابن الملك والقداح حزنا شديداً ورجع الإمام وهو يفور بالغضب وقال والله لا أكلت طعاما فى ليلتى حتى أنظر ما يكون من أمر صاحبي ناقد والقداح فلا صبر لى عنهما

(قال الراوى) ثم أمر الناس باضرام النار وزيادة الحرس وجعل الإمام يطوف حول عسكره ويحرسهم بنفسه ، وهو قلقان على ناقد والقداح فهذا ما كان من أمر أمير المؤمنين . وأما ما كان من أمر عدو الله غنام فانه لما رجع من حرب الإمام رضى الله عنه أمر باحضار ناقد فاتوا به وأوقفوه بين يديه . فقال يا ناقد ما الذى تفعل

مع هذا الذى دخلت فى دينه وما الذى نفعك من ابن أبى طالب وانى أراه أنه ساقك الى المهالك فوحق رأسى لا أتركن أحدا يتولى عذابك الا المنيع وجنده وها أنا سائر بك اليهم فقل لمحمد يخلصك منهم فانهم يريدون هلاكك فقال ناقد تبا للمنيع فوحق رب الكعبة لا يرجع ابن أبى طالب عن المنيع حتى يحرقه فى ناره انما يعبد الاله العلى العظيم الذى خلق سبع سموات طباقا ورفعها بغير عمد ترونها وخلق سبع أرضين وخلق الخلق جميعاً وقسم بينهم الأرزاق له أعبد ولوجهه أسجد وأنت وان غدرتنى فلى من يأخذ بثارى ويكشف عنى ذلى وعارى .

(قال الراوى)فقال له غنام ومن يأخذ بثارك ويكشف عنك عارك ونهره وأظهر غيظه . فقال له ناقد أوما تعرفه قال لا . قال أنا أعرفك به وأنت أعرف الناس به فهو ممزق الكتائب ومظهر العجائب ومبدى الغرائب الغيث الساكب والنجم الثاقب القرم الغالب الصنديد المحارب الفارس المضارب الأسد الطالب فارس المشارق والمغارب المذكور عند المطامع والمواهب ليث بنى غالب أمير المؤمنين : على بن أبى طالب ، فلما سمع ذلك غنام فار بالغيظ من قول أخيه ثم أقبل على أصحابه وقال ياقوم : ان الحرب دول وسجال يوم لك ويوم عليك وإنى أخشى من ابن أبى طالب ان يصل الى أخى هذا ويخلصه منى فأيكم يمضى بأخى ناقد الى الديار مع هذا اللئيم الغدار القداح بن واثلة ويسلمهما الى أبى وأبى يقدمهما إلى الاله المنيع فيفعل بهما ما يشاء ويختار فلم يرد عليه أحد من قومه بجواب وكانهم الجموا بلجام عن الخطاب وذلك كان حياء من ناقد وخوفا من الإمام على بن أبى طالب أن يصادفهم فى الطريق

(قال الراوى) فلما نظر ذلك غنام قال ياقوم ان كنتم أبيتم أن توصلوا هذين الغدارين الى ملككم والى الهالك المنيع فانظروا من يوصلهم الى حصن المنرف لنأمن عليهم من أعدائنا فلم يكن من القوم أحد يرد عليه جوابا فقال غنام يا قوم مالى أراكم قد امتلأت قلوبكم هلعا وجزعا من ابن أبى طالب انا لها ولكل ملة مثلها فانظروا لأنفسكم وتدبروا امركم واحرسوا عسكركم فانى ارجع اليكم قبل الصباح ثم ان غناما دعا بابن عمه حبان بن معاوية وكان كبير القوم وافرسهم واشجعهم فلما حضر بين يديه قال له يا ابن العم كن خليفتى على القوم حتى اعود اليكم ثم حمل اخاه ناقدا على جواد وقيده من تحت بطنه وحمل القداح على فرسه وقيده من تحت بطنه كذلك ثم اخذ من القوم عشرة رجال جيادا

أبطالا من شجعان القوم وجعلهم حول ناقد والقداح وخرج بهما من بين العسكر فى جوف الليل وأراد أن يوصلهم إلى الحصن المشرف هذا ما كان من حديث غنام .

(قال الراوى) وأما ما كان من أمير المؤمنين رضى الله عنه فبينما هو يحرس أصحابه ويرجع إلى ناحية المشركين وإذا هو نظر إلى خيل خرجت من عسكر المشركين فظن أنهم رسل من غنام إلى أبيه الهضام يستنجده فتركهم وحاد فى الطريق واستنهض جواده الى أن انقطع عن حس القوم ، وقد بعد عنهم وأتى الى موضع هناك بين جبلين على هيئة المضيق وليس لأولئك القوم طريق غيره فوقف الإمام على رضى الله عنه وأخفى نفسه ، وقد جرد سيفه وجعل ينتظر قدوم القوم اليه وهو لا يعلم أن الله تبارك وتعالى قد ساق له كل طلبه من خلاص أصحابه ناقد والقداح وقتل عدو الله غنام ابن الملك الهضام (قال الراوى) فبينما الإمام رضى الله عنه شاخص إذ سمع هفيف الخيل وسمع صوت غنام وكان قد أثبت معرفته . فلما سمع حسه اهتز فرحا وسمعه يقول لأخيه ناقد أما زعمت أن لك صاحباً يخلصك . ومن الشدائد ينقذك فالى أراه متباعدا عنك والمهالك سلبك وناقد يقول ياويلك ان لى صاحبين صاحب فى السماء يرانى وهو الكبير المتعال وصاحب فى الأرض لو علم بمكانى لأتانى وخلصنى من سجنك وسمع القداح يقول لا آخذ الله من أوقعنى وبالخلاص أوعدنى وضمن لى السلامة من كل شيء يؤلمنى ، ومازالوا كذلك إلى أن قربوا من الإمام وغنام فى أوائلهم فوثب الإمام رضى الله عنه وثبة وصل بها إلى عدو الله غنام وقال له أقلل من الكلام فها أنا الأسد الضرغام أنا البطل المقدام أنا ليث بنى غالب أنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب فسمع القداح صوته فصاح ياسيدى سألتك بالله الا ما خلصتنى قبل صاحبنا ناقد فقد علمت مانزل بى من أجلك وكان الإمام لما وثب الى عدو الله غنام ووصل اليه مد يده وقبض على أطواقه وسحبه فاقتلعه من سرجه وقال له قد خلص أخاك صاحبه الأصغر بأمر سيده الأكبر فمن ينقذك منى ياويلك وهم أن يعلوه بالسيف فقال يا ابن أبى طالب ابق على كما بقيت على صاحبك وأحسن الى بكرمك .

(قال الراوى) فتقدم الإمام الى ناقد وحله من وثاقه وأمره أن يشد أخاه غناما شدا وثيقا وتقدم الى القداح وحله والعشرة أبطال الذين أتوا معه ينظرون الى فعل الإمام فما جسر أحد منهم أن يتكلم ولم يتحرك فخمد حسهم وسكنت حركاتهم فلم يستطيعوا أن

يتحركوا فى أماكنهم . فقال لهم الامام رضى الله عنه من قال منكم لا إله الا الله محمد رسول الله فلا أمد اليه يدى الا بالخير ومن لم يقلها مددت يدى اليه وقطعت رأسه بهذا السيف فقالوا بأجمعهم نحن نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ففرح الامام باسلامهم فرحا شديدا ثم أقبل رضى الله عنه الى غنام وقال له هل لك فى كلمة تقولها تمحو بها ماسلف من ذنوبك فقال غنام يا ابن أبى طالب وما هى الكلمة التى أقولها فتمحى بها ذنوبى فقال الامام تقول : لا اله الا الله محمد رسول الله وتقر لله بالوحـــدانية ولمحمد ابن عمى بالرسالة فقال غنام يا ابن أبى طالب هذا شىء لا أفعله أبدا وما أنا بتارك دين آبائى وأجدادى ولو قطعت إربا إربا واعلم أنك لم تكن من رجالى وانما خادعتنى وأخذتنى غصباً وغدرتنى ولو كنت لك فى الميدان لبعد عليك ما أملته ولا كنت ملكت قيادى (قال الراوى) فعند ذلك وثب الامام لحل وثاقه وهو يتمامل من شدة غيظه ورمى اليه سيفه وحجفته واشتد الامام غضباً وقال لغنام ياعدو الله وعدو نفسه خذ سيفك وحجفتك واشتد ومانع عن نفسك فقال غنام يا ابن أبى طالب لقد أنصفت فى فعلك وأصلحت فى صنعك دونك يا ابن أبى طالب والقتال والمبادرة الى النزال فأنا أشجع الشجعان أتحسبنى كغيرى من الرجال يا ابن أبى طالب لأذيقنك الخذلان وأرميك بالوبال فلما سمع ذلك الامام غضب غضباً شديدا وقال ياعدو الله لقد تجرأت فى قولك فاعتزل الى ناحية عن أخيك لئلا يهوله مايحل بك ياعدو الله وعدو نفسه ثم ان الامام جذب سيفه وأخذ غنام واعتزل من القوم ثم غشيه كغشية البحر اذا ثار بلجته وفاجأه مفاجأة الأسد لفريسته وضربه بالسيف ضربة هاشمية علوية فتلقاها عدو الله واستتر بحجفته على رأسه فنزل السيف على الدرقة فقطعها ونزل على رأسه ففلقها ونزل الى صدره والى أنياط قلبه حتى خرج من بين فخذيه وتجندل طريحا يخور فى همه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار .

(قال الراوى) فكبر الامام رضى الله عنه وكبر معه أصحابه ثم ان الامام أخذ ما كان عليه ودفعه الى أخيه ناقد وسر الامام بقتل عدو الله فقال ناقد يا أبا الحسن مافعلت بعدو الله غنام قال يا ناقد انه صار الى النار وبئس القرار فلا تأسف عليه فانه ليس بأخيك ثم أقبل على القداح وقال له يا قداح كيف رأيت نفسك قال يا أبا الحسن خلصتنى بعد اليأس من الحياة والاشراف على الموت قال له الامام رضى الله عنه يا قداح ان الله قد أنقذك من الموت فان شئت أن تقيم معنا وان شئت

فارجع إلى أهلك وديارك مصاحبا بالسلامة فقال القداح يا أبا الحسن وكيف أمضى إلى أهلى ودياري وقد أتانى الله مالم ينله أحد من قومك فوالله لا أمضى حتى آخذ من الغنائم مايسرني واسد به فقرى وأوسع به على أهلى وينشرح به صدرى .

(قال الراوى) فتبسم الإمام رضى الله عنه ضاحكا من قوله ، وقال له حبا وكرامه ياقداح لأعطينك من الغنائم مايسر قلبك ويغنى فقرك وترجع مجبوراً الى أهلك إن شاء الله تعالى فقال القداح يا أبا الحسن هذا بعض من فضلك وكرمك فعند ذلك عطف الإمام رضى الله عنه إلى عسكره وهو مسرور باسلام القوم وخلاص أصحابه وقتل عدو الله غنام . فلما أتوا إلى عسكرهم فى ساعة واحدة وقد مضى الليل شطره وقد كان الامام تفقدوه فى الليل فلم يجدوه فكبر ذلك عليهم فلما سمع القوم صوته تبادروا اليه فرحين فلما وصلوا اليه ونظروا الى ناقد والقداح والعشرة الذين اسلموا من جماعة غنام مع الإمام بهتوا واندهشوا وشخصوا بابصارهم نحو الإمام وقالوا له يا أبا الحسن ماهؤلاء القوم ؟ فقال عصابة مالت الى الإسلام ورغبت فى الإيمان ففرح القوم بذلك وباتوا ليلتهم .

(قال الراوى) فلما برق ضياء الفجر أذن الامام وصلى بالناس صلاة الصبح فلما فرغ من الصلاة ناداهم ياقوم خذوا آلة حربكم واستعدوا للقتال رحمكم الله فأخذ كل منهم آلة حربه وأتوا الى أن وقفوا بين يدى أمير المؤمنين رضى الله عنه فرتبهم الامام كتائب ومواكب وقال كونوا آمنين وكان المشركون قد أبطأ عليهم خبر صاحبهم غنام فقلقوا لفقده قلقا شديدا فلما نظروا إلى المسلمين وتهيئتهم للقتال خافوا خوفا شديدا فلما رتب الإمام رضى الله عنه أصحابه وعزم على القتال نادى برفيع صوته معاشر الأراذل إلى كم تدفعون الحق بباطلكم والحق أغلب وها أنا أشفق عليكم منكم على أنفسكم واعلموا أن الله سبحانه وتعالى أنقذ أصحابنا ناقدا والقداح وقتل صاحبكم غناما وأورده بحسامى موارد الحمام وقد أسلم الذين كانوا معه فهل لكم أن تقولوا : لا إله الا الله محمد رسول الله وهذا تصديق قولى لكم ثم نادى القداح وناقدا فأجابوه وأسرعوا اليه فقال لهم الامام نحن قوم لا نكذب ولا يليق بنا الكذب فما أنتم قائلون ؟

(قال الراوى) فلما رأى القوم ناقدا والقداح والعشرة أبطال الذين خرجوا منهم تحققوا الأمر وصدقوا الامام فى قوله وأتوا نحوه قائلين لا اله الا الله محمد رسول الله وكانوا عشرة آلاف فارس قتل منهم فى المعركة ثلاثة آلاف وبقى

السبعة آلاف الذين اتوانحو الامام واسلموا وحسن إسلامهم وفرح الإمام بذلك فرحا شديدا حيث صفا له ذلك العسكر ولم يبق فيهم معاند واجتمع مع الامام رضى الله عنه جيش عظيم يزيد عن العشرة آلاف بعد خروجه من المدينة منفردا وحده فبعض الجيوش من أهل الحصون والباقى من جيش الملك الهضام واختلط القوم بعضهم ببعض فأخذهم الامام وقرب بهم إلى الحصن فخرج أهل الحصن اليهم واستقبلوا الامام وجيشه وأسلموا على يديه وأكرموه غاية الاكرام فأقام عندهم بقية يومه فى خير وسعة وقد أكثر الله جمعه وأعلى نصرته ورفع قدره وجيشه من خارج الحصن لكثرتهم وقد ازداد فرحهم لكثرة جمعهم وانقاذهم من النار ثم ان الامام بعث طائفة من ليلته وأمر عليهم جنبل بن وكيع وارسله وامره ان لايعود اليه إلا بخبر صحيح فسار جنبل من عند الامام فما عاد إلا وقت الصباح . فلما أقبل على الامام سلم كل منهم على صاحبه والمسلمون كذلك.

(قال الراوى) ثم ان الامام رضى الله عنه جمع عسكره وجميع قومه وقال لهم معاشر المسلمين إن الله تبارك وتعالى قد انقذكم من الكفر وظلامه ومن عليكم بالاسلام واكرمكم بكرامة الايمان وبعد فأنى ألتى بكم جمعا فيه عشائركم واقاربكم وأصحابكم واخوانكم الأوان الله باعد ما بينكم وبينهم وإنى اخشى ان يداخلكم ما يداخل القربى على اقاربهم وهذا عسكر قد اجتمع لصاحبكم فيه خلق كثير من سائر العربان ثم قال ياجنبل ماوراءك قال كل خير وسلامة ياأمير المؤمنين الا أن الملك الهضام خرج الينا بجميع قومه وعسكره وهم مائة الف فارس مامنهم إلا كل بطل مداعس غير ما معهم من الصعاليك والعبيد ومن سائر قبائل العربان فقال له الامام ياجنبل لو انه يكون معه أهل الأرض جميعاً ما كبر على لقاؤهم ولقد كنت معولا على لقائهم وحدى فكيف اخشاهم اليوم وأنا معى هذا الجيش والله المستعان وعليه الاتكال وهو حسبي ونعم الوكيل فلابد للخيل ان تخوض فى الدماء ولابد للسيف ان ينثلم من شدة الضرب ولابد للرماح أن تتقصف من شدة اشتباكها وبقضى الله امرا كان مفعولا وذلك مما ألقى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا ما انتم قائلون.

(قال الراوى) فلما سمع ذلك ناقد وثب إلى الإمام رضى الله عنه وقال ياأبا الحسن ما انا فوالله الذى بعث ابن عمك بالحق بشيرا ونذيرا وعرفني آية وهدانى لدينه ما اعرف اعز على من الاثنين احدهما والدى والآخر اخى فو الله إن مكننى الله

منهما لأضربن عنقهما وقد أظهرت لك البيان وقد لاقيت أخى غناما فان لاقيت أحداً منهما لأضربن عنقه وكل من كان منا له فى القوم خليل وحبيب ونسيب وأخ وصديق ورفيق فقد تركناه لله عز وجل وحاش لله أن يؤمن بالله ورسوله أحد ثم بعد ذلك يتبع النفاق وانه إن شاء الله تعالى ستنظر ضربنا بالحسام وصدمنا فى معركة الاقوام ولتعلم أننا عند القتال سيفك القاتل القاطع ودرعك المانع ثم جلس ناقد وقامت من بعده الرغداء بنت الحطاف وكانت فصيحة اللسان قوية الجنان وقالت : يا ابن السادة الكرام وابن عم محمد خير الأنام أنت مالك رقابنا وأولى بأنفسنا منا فلك الاجلال والإكرام ياابن عم محمد عليه أفضل الصلاة والسلام واعلم أن لنا فى القوم إخوة فى الجاهلية عبدة الأصنام فقد أزالها الله بحمده وصاروا إخوة فى الدين والإسلام ولم نزل معك وبين يديك نقاتل كل حبيب وقريب عسى الله أن يسامحنا فيما سلف من ذنوبنا وخطايانا فالق بنا ماشئت وامض بنا الى ما أردت فمعك والله من لم يبال بالرجال ولا يفزع من ملاقاة الأبطال ولو أنك سلكت بنا الجبال العالية والأطواد السامية لكنا معك وبين يديك نقاتل مرضاة لله ورسوله ولا نبالى من الموت اذا نزل بساحتنا فى مرضاة ربنا عز وجل .

(قال الراوى) فسر الامام لذلك سرورا عظيما وقال على الأصول تفرع الفصول ومن أشبه أباه فما ظلم يارغداء فلو أجاب والدك الى الاسلام لكان ركنا عظيما من أركان المسلمين ولكن لم تسبق له سابقة السعادة ولو سبقت له السعادة لنطق بالشهادة فقالت له ياأبا الحسن : ان الله سبحانه وتعالى قد حرمه الخير وابعده من رحمته وجنته وجعله من أهل ناره فنسأل الله تعالى السلامة فتواثبت الرجال الأبطال الى الإمام رضى الله عنه وقالوا ياابن عم رسول الله سر بنا نلق عدو الله فى المجال فما يكبر علينا قتاله ولا نزاله ولو أنه فى عدد أهل الأرض جميعا فلما سمع ذلك الامام فرح فرحا عظيما وسر سرورا مباركا وجزاهم خيرا ثم انتخب من القوم رجلا من خيارهم وأمره على الحصن وأمره بحفظ من فيه وأوصاه بأن يحفظ رعيته وأقام عنده مائة رجل فى الحصن .

(قال الراوى) ثم أمر الامام رضى الله عنه بالرحيل فتواثبت الرجال اليه كالأسود الكاسرة أو كالنسور على الطائرة وتقشعت صارية وأحدقوا بالإمام من كل جانب ومكان ثم نادى الامام ناقدا وقال له يا ناقد أنت أعرف بالطريق وهى بلادك ولا بيتك وجيشك وأنت أعرف بهام

غيرك فسر أمام القوم. فقال ناقد حبا وكرامة ياأمير المؤمنين ثم تقدم ناقد وبقى الإمام وجنبل ابن وكيع والرغداء بنت الخطاف وأكابر قومه محدقون به وقد تأخر الى وراء القوم وهم سائرون فى أثر ناقد بن الملك فما زال القوم سائرين وحميت الشمس واشتد الحر وناقد فى أول القوم والإمام رضى الله عنه وجنبل بن وكيع والرغداء من وراء القوم متباعدين عنه فبينما هم كذلك إذ نظر ناقد فارسا مبادرا من وراء ربوة كأنه طالب أو مطلوب وهو شاك فى سلاحه فنظر الفارس فرأى ناقدا وهو أول القوم فانقض هاربا راجعا من حيث جاء .

(قال الراوى) فلما رآه ناقد انقض عليه كأنه الأسد إذا عاين فريسته وترك الناس وقوفا فى انتظاره فلحق بهم الإمام. فقال لهم ياقوم ما الذى أوقفكم عن المسير فأخبروه بخبر ناقد . فقال الإمام ماكان يحب أن يهجم عليه وحده فلا نامن أن يكون طليعة لقوم كامنين فيقع فيهم . ثم تقدم الإمام أمام القوم وجعل يسير بهم على مهل وقد قلق لابطاء ناقد عنه فما كان إلا ساعة وإذاهم بناقد أقبل والفارس معه وهو يقوده بعد أن أوثقه كتافا وشده من فوق فرسه بالقيد ولم يزل سائرا به الى أن وصل الى الإمام رضى الله عنه فلما نظره الإمام تبسم وقال زادك الله ياناقد خيرا فهل أنت تعرف هذا الفارس قال نعم ياأبا الحسن انه من أكبر قومنا .

(قال الراوى) فاقبل الإمام رضى الله عنه الى ذلك الفارس وقال له ياأخا العرب ما اسمك قال اسمى مضارب بن عراف الباهل . فقال له يامضارب : الصدق أوفى سبيل فاكشف لنا عن حقيقة أمرك ومنتهى خبرك فلا تخادعنا فنحن جرثومة الخداع . فقال مضارب يافتى ان فراسة العاقل لا تخيب وأنا أتيقن فيك أنك صاحب الجيش فتى قريش ممزق الكتائب ومظهر العجائب هازم المواكب أمير المؤمنين على بن أبى طالب فقال له وأنا والله من ذكرت فقال مضارب لله درك ياأبا الحسن أنه ما وصف لى شىء من صفات العرب إلا وقد وجدته فيك وأنت والله أعظم مما وصفوا وأكثر مما ذكروا وان عندى أسرارا وأخبارا غير ان نظرك اشهى إلى قلبى وخاطرى من الماء للظمآن ولكن ياأبا الحسن اعطنى الأمان (قال الراوى) فلما سمع الامام رضى الله عنه من مضارب ذلك قال له لك الأمان إن قلت الحق واستمعت الصدق فقل ما أنت له قائل . فقال مضارب يا أبا الحسن : إن الملك الهضام لما بعث ولده غناما فى العشرة آلاف فارس ظن أن ولده يأتى بك اسيرا فأقام يومه ذلك فلما جن الليل واختلط الظلام وأوى الى

فراشه رأى فى منامه رؤيا قد انتبه منها فزعا مرعوبا ، فلما أصبح الصباح بعث الى حاشيته وكبراء مملكته فحضروا بين يديه . فقال لهم ياقوم انى رأيت الليلة فى منامى رؤيا أرعبتنى وارتعدت منها فرائصى وأوجعنى منها قلبى وخاطرى . فقال له قومه ياأيها الملك العظيم أنعم المنيع لك الصباح بقوتك وحفظك فى كل غدو ورواح مارأيت فى منامك؟ . فقال انى رأيت ولدى غناما جالسا بين يدى وأنا أحدثه فبينما أنا كذلك اذ رأيت طيرا عظيما قد انقض على وله مخالب كمخالب السباع وجناحاه كأجنحة النسور وله منقار طويل زائد فى الطول وكأنى أخذت ولدى وضممته الى صدرى فهجم عليه ذلك الطير وهو فى حجرى فاختطفه بمخاليبه ولم أقدر على خلاصه منه وكأنى أنظر اليه وهو طائر به بين السماء والأرض حتى غاب عن عينى ولم أره بعدها أبدا وقد خشيت على ولدى أن يكون أصابه شىء من ابن أبى طالب فلا أراه أبدا فما الذى ترونه فى ذلك؟ فلما سمع القوم منه ذلك قالوا له أيها الملك انه داخلك وسواس أحلام لأجل تعلقك بولدك فان أردت أن تسير الى الهك المنيع وتستخبره عن أمر ولدك فانه يخبرك بذلك كله .

(قال الراوى) فقال لهم الملك : اما ماذكرتم من خبر الاله فانه وعدنى بالنصر على ابن أبى طالب . فقالوا له كن واثقا بما أخبرك به الهك . فقال الملك لابد من المسير اليه واقص رؤياى عليه ، فقام من وقته وساعته ومازال سائرا الى ان دخل على الصنم فخر الملك ومن معه ساجدين . ثم رفعوا رؤوسهم وقام الملك قائما على قدميه وشخص ببصره الى الصنم وتمادى اليه بيده وجعل يقص عليه مارآه فى منامه ثم قال الهى وسيدى ومولاى ماعندك فى هذه الرؤيا من الجواب فقد كدر هذا المنام الذى قصصته عليك على عيشى وأزعج قلبى فأجابه الصنم بصوت مزعج لم يسمع اشنع منه وهو ينشد ويقول :

ذهب الصابئون من أصحابى بفنائى وسارعوا للذهاب
مابقيتم ترونه بعد هذا لا ولم يأت من طريق الذهاب
أين منجاهم من الضيغم القر م مبيد العدا بسوط العذاب
هو حبر مذنب وذكى قد علا فخره بذا الانتساب

(قال الراوى) فلما سمع الملك والقوم من صنمهم هذا تنافروا عنه وخرج الملك وهو زائد الغضب على صنمه حين سمع منه ذلك فأنكر ذلك غاية الانكار ثم

قال لا شك أنه عدو من أعداء الاله تكلم من كراهته على لسانه ثم انه أمر بتجهيز الجيوش وأرسل إلى قبائل العرب وجمع جميع قومه وقد عزم عـلى المسير بنفسه اليك وهو منتظر قدوم الجيوش اليه وهم فى تكاثر من العدد . فلما زاد به القلق جهز جماعة وسيرهم اليك وهم أربعة آلاف فارس من كل مدرع ولابس صناديد عوابس من الأبطال المشهورة والشجعان المذكورة وأمر عليهم رجلا يقال له حويرثه بن أسد الباهلى وهو فارس مذكور وبطل مشهور وأمره بالسرعة ليأخذ خبر ولده غنام ؛ فلما وصلوا إلى الحصن المشرف وعلموا بسيرك اليهم كمنوا لك فى وادى الظباء بعد أن تفرقوا أربع فرق كل فرقة منهم ألف فارس وقد أمرهم الملك أنك إذا صرت بينهم يقبضون عليك بأيديهم وأن الوصية قد تقدمت إلى صاحب الحصن المشرف خالد بن بسطام الملقب بهجام أن هم عجزوا عنك وهجام هذا فارس لا يرام كثير الشر والإنتقام لاتهوله الأبطال ولا يكترث بالرجال والقوم فى مكان من الوادى ومضايقه والأمير حويرثة بن أسد أمير الجمع وهو فى الجهة التى قبلك من جهة عطفة الوادى وأنه دعانى وأمرنى أن آتى اليه بخبرك لما يعلم من سرعتى وامضاء أمرى وقال لى سر على عجل وأشرف على على بن أبى طالب وانظركم معه من القوم وأين هو ؟ وارجع الى مسرعا فخرجت فى امره مجدا ولم يعلم القوم انك قد تكامل معك هذا الجيش العظيم والعسكر الجسيم ؛ فلما عدلت من جانب الوادى أسرع الى ناقد واقتنصنى ودهانى وها أنا بين يديك فاصنع بى ما شئت فقد اخبرتك بالأمر الصحيح على حقيقته ؛ وانا اقول قبل أن تصنع بى شيئاً اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله .

(قال الراوى) فلما سمع الامام اسلامه سر سرورا عظيما . ثم اقبل الامام على اصحابه وقال لهم معاشر الناس ماتقولون فيما قال اخوكم مضارب . فقالوا يا ابا الحسن انت الآمر ونحن المأمورون وأنت القائل ونحن السامعون ومنك القول ومنا الاجابة بالسمع والطاعة لله ورسوله ثم لك يا أمير المؤمنين فجزاهم الامام خيرا ثم التفت الى ناقد وقال له يا ناقد أتعرف ههنا منفذاً أو مخرجا نخرج منه وندور من القوم حتى نخى بينهم وبين الحصن ونترك له جماعة منا ههنا يلاقونهم ونحن ندهمهم فى مكانهم . فقال ناقد يا ابا الحسن ان الطريق سالكة الى الوادى يمينا وشمالا فان شئت فاعزم فهامن واحد من قومك الا وهو يعرف البلاد ومسالكها ففرقنا على المكان ونحن ندهمهم من سائر الجهات

(قال الراوى) فجزاهم الإمام خيراً ثم أفرد مع ناقد ألف فارس وقال له خذ فى عرض البرية إلى أن تحاذى القوم من جهة الحصن واعطف على الجادة اليهم فانهم إذا نظروك وقد أتيت اليهم من جهة الحصن يظنون أنها نجدة من عند صاحبهم الملك هجام واذاقربت منهم فاحمل عليهم بمن معك ومكن السيف فيهم حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله وها نحن سائرون من بين أيديهم وأقرن بهذه الأبطال فسار ناقد بالألف فارس فلما جد به المسير أنشد وجعل يقول :

لم يقصد الركب للراكب ولا إلى خل ولا صاحب
لكن قصدت اليوم عقد اللوا من الامام على بن أبي طالب
يا عروة الوثقى وشمس الضحى لا تنثنى عن حبك الواجب

(قال الراوى) فلما بعد ناقد بمن معه دعا الامام بجنبل بن وكيع وأفرد له ألف فارس وقال له ياجنبل خذ أنت بمن معك يمين الوادى إلى أن تأتى الى ميامن القوم فسار جنبل كما أمره الامام رضى الله تعالى عنه فلما جد به المسير أنشد وجعل يقول :

أسير الى العداة ولا أبالى بعون الله ندفع للخطوب
أقد رؤوسهم بالسيف قدا أروم بما صنعت رضا الحبيب
ورضا حيدر الهادى أمامى أمير الهاشمى الفطن اللبيب

(قال الراوى) فلما فرغ من شعره جد فى المسير ثم دعا الامام بالرغداء وافرد لها ألف فارس وأمرها عليهم وقال لها جدى بهم عن يسار الوادى الى أن تأتى مكمن القوم . فقالت له السمع والطاعة يا أمير المؤمنين فسارت وأنشدت وجعلت تقول :

أسير على اسم الله ربى واننى لأرجو بهذا العفو يوم المعاظم
الى شر أقوام لنشفى غليلنا ونروى الفلا من دمهم والمعاصم
وانى أنا الرغداء من نسل فارس تقول به الأقران عند التزاحم
فهذا أمير المؤمنين يقودنا لكل جهول مسمح القتل ظالم

(قال الراوى) فلما سارت الرغداء بمن معها سار الامام بمن معه فلما جد به المسير أنشد وجعل يقول :

سيروا بنا يا معشر الأصحاب وفرقوا الهام مع الرقاب
فانا على لست بالكذاب معتصم بالواحد الوهاب

صهر النبي الصادق الأواب　　تشهد لى الجهات بالأعراب

(قال الراوى) وتقدم الإمام وسار بالقوم وهو شاهر سيفه وأصحابه محدقون به ولم يزالوا سائرين إلى أن انحدر من الوادى إلى بطنه فوجد القوم جلوساً فى أماكنهم فلما نظروا إلى أمير المؤمنين وأصحابه قال حويرثة أما وحق المنيع ان القوم قد علوا بمكاننا ولا شك أنهم ظفروا بصاحبنا وأرادوا قتله فكشف لهم عن حالنا وجملة أمورنا ولكن امهلوه الى أن يجاوزنا واخرجوا عليهم ويأتى قومكم من جهة الحصن فيكونوا فى وسطكم وندور عليهم بالسيف حتى نفرقهم .

(قال الراوى) فبينما القوم كذلك إذا شرف ناقد بمن معه من جهة الحصن المشرف وقد ثار الغبار من حوافر الخيل ففرح المشركون بذلك وظنوا انهم نجدة لهم من الحصن . فبينماهم كذلك وهم ينتظرون وصولهم اليهم اذ كبر ناقد وأصحابه معه . ثم حمل عليهم وقد انحدرت الرغداء بمن معها فحملت وحمل قومها معها ونادوا بأعلى أصواتهم وأتى الإمام وجنبل واحتوشوا بالقوم بجمعهم فعند ذلك علم المشركون أنهم قد مكروا بهم وأن أصحاب الإمام قد دهموهم فى أماكنهم فحمل عليهم أصحاب الامام حملة عظيمة وتراشقوا بالنبال وتطاعنوا بالرماح وتصافحوا بالصفاح وفلقوا الهامات وتهشمت العظام وكشف الامام رضى الله تعالى عنه رأسه فى معمعة الحرب ونادى برفيع صوته يامعشر الناس ان الله سبحانه وتعالى مطلع عليكم وناظر اليكم والملائكة تتخلل صفوفكم فكلوا أعداءكم أكلا وازجروهم زجرا وتقاتل الناس فى ذلك اليوم قتالا شديدا قال مبارك رأيت فى يوم وادى الظباء وأنا بازاء أمير المؤمنين فارساً عظيما وهو متوشح بعمامة خضراء وقد عقد أطرافها من ورائه وتلثم بباقيها وهو يخترق معمعة الحرب ومحل الطعن والضرب فينكس الشجعان ويقتل الفرسان ولم يتوجه الى جهة من الجهات الا وهو يخضب بنانه بالدماء فبينماهم كذلك اذا انحدر عليه عشرون فارساً فاعترك معهم فما قدروا عليه ولا وصل اليه منهم أذى فقلت فى نفسى ليت شعرى من يكون هذا الفارس الشديد والبطل الصنديد والقرم العنيد ثم أخذت فى أثره وأنا أظن أنه الامام رضى الله عنه فسمعته ينادى ويقول دواعى الموت تهتفكم ياأعداء الله من أطراف لوامع الرماح وصواعق المسلكات تسوقكم الى مواقع الصفاح فاليوم طلب الكفاح ولا زوال ولا براح

(قال الراوى) فلما تحققت امرها عرفت أنها الرغداء بنت الخطاف فقلت لله

درك يارغداء ياسيدة نساء قومك لقد ظهر لى منك ضروب الأهوال فلا ترك الله لك هذه الفعال عطفت واذا أنا بفارس بضرب يمينا وشمالا واذا تشبكت عليه الرماح براها كما يبرى الأقلام فتأمله فاذا هو أمير المؤمنين رضى الله عنه فلم تكن إلا هنيهة وقد أخمد الله المشركين وقذف فى قلوبهم الرعب من أمير المؤمنين وتزايد عليهم الأمر فولوا منهزمين فلما رأى حويرثة ذلك علم انه لا طاقة له بالإمام وأصحابه وكان الإمام رضى الله عنه لم يصادفه فى الحرب فى ذلك اليوم ولا وقع فخرج حويرثه من معمعة الحرب ومن معه من خاصة قومه وكان تحته جواد أشقر من عتاق الخيل فأطلق عنانه وولى هاربا منهزما وتبعه أصحابه فاتبعهم المسلمون ووضعوا فيهم السيف من موضع المعركة الى الحصن فلما نظر أهل الحصن الى هزيمتهم أمر هجام بفتح باب الحصن حتى دخلوا فيه وأوصاهم بحفظ بابه وأن يكونوا عنده للمحاماة من الأبطال (قال الراوى) ثم نزل هجام شاهرا سيفه وهو كأنه البعير لعظم خلقته فبرك جاثما على الباب والمنهزمون داخلون إلى ان أقبل حويرثة وقد فلق جواده من شدة ركضه فلما رآه هجام قال ياحويرتة ماوراءك قال له دعنى من سؤالك من عطب الموت وهو ولى فى الطلب ثم دخل الحصن وهو لا يصدق لنجاة نفسه . ثم ان جماعة من أصحاب الإمام رضى الله عنه تقدموا وفيهم ناقد ابن الملك وجنبل بن ركيع والرغداء بنت الخطاف وحباب بن كاشح وورقة بن شهيل فجالوا بين بقية أصحاب حويرتة فى الحصن وقد اغلقوا الباب دونهم فقتلوهم عن آخرهم وما سلم من المشركين فى ذلك اليوم الا من دخل الحصن ومنع عن نفسه ثم أقبل الإمام على أصحابه وسار على مهل لأن الامام عليا رضى الله تعالى عنه كان لايتبع منهزما قط ولم يزالوا كذلك الى أن اجتمع بقيه القوم فأحدقوا به من كل جانب والخيل مقطعة والأعنه مقرونة والرماح متشبكة والسيوف مشهورة لامعه والأصوات بالتكبير عالية وساروا الى أن وقفوا عند الحصن متباعدين عنه يسيرا .

(قال الراوى) فلما رآهم هجام خاف قلبه واصفر لونه وارتعدت فرائصه فقال لأصحابه وقومه ياقوم احفظوا حصنكم فقد طرقكم ابن أبى طالب برجاله وأبطاله وكان مع حويرثة فى طليعته أربعة آلاف فارس أبطال عوابس فدخل معه الحصن مائة وسبعون رجلا وقد قتل بقية قومه ولم يبق منهم سوى هؤلاء من ودى النضباء الى الحصن فلما دخل حويرتة فى الحصن واجتمع مع هجام أمر

هجام سائر من فى الحصن أن يعلو على أعلى السور وكان حصنا منيعا لم يكن فى تلك الحصون أمنع منه ولا أوسع ولا أرفع بناء منه وإنما سمى بالمشرف لارتفاعه وعلو بنائه وكان الرجل إذا طلع على أعلى سوره ونظر يمينا يلاحظ حصن الصخر وإذا نظر شمالا يرى الحصن الأسود وكان الملك الهضام إذا طرقه طارق أو دهمه داهم أو عدو أو أراد حرب قوم بعث بأهله وأولاده وماله الى الحصن المشرف لما يعلم من تمكنه وقدرته وعلو بنيانه ومنعتـــه .

(قال الراوى) ثم ان القوم لما دخلوا فى الحصن وامتنعوا فيه تأهبوا للقتال وعزموا عليه وحرضهم هجام وقال لهم ياقوم إن حصنكم هذا منيع وطعامكم كثير ومع هذا فان الملك الهضام سائر الينا بنفسه وقادم عليكم فكونوا مطمئنين فى حصنكم الى أن تنظروا ما يكون من أمر ملككم فأجابوه الى ذلك وقالوا له :أيها السيد نحن معك وبين يديك نقاتل بأنفسنا عن حريمنا وأموالنا فنحن لا نسلم حصننا لعدونا ولو قتلنا عن آخرنا ففرح هجام بقولهم ثم اقبل على حويرثة وقال لا يكبر عليك ما نزل بك لانهم لذلك فانا آخذ بثارك وأكشف شين عارك وان كنت تجزع من الملك الهضام وإلهك المنيع فسوف أرضيهما حتى أدفع لك ابن أبى طالب فتمضى به اليهما فاجابه حويرثة وقال ياهجام انى رأيت من ابن أبى طالب شجاعة لم أر مثلها من أحد من العالمين ولا فعل مثله إنس ولا جن فقال هجام سوف ترى حين املك قبابه .

(قال الراوى) فبينما القوم كذلك على اعلى السور يشدد بعضهم بعضا إذ تقدم الإمام وأصحابه فاقاموا بالنبال والصخور ورشقوهم بالنبال فقال الامام لأصحابه ثقوا بالله عز وجل واستتروا بالحجف من حجارة المشركين فانهم عالون عليكم وليس هذا الحصن كسائر الحصون وإنى أراه حصينا منيعا ثابتا وسيعا عاليا مرتفعا وان جنادل القوم إذا وصلتكم وهنت وإن سهامهم إذا أتت وصلت واثرت وان سهامكم إذا وصلت اليهم كانت واهية ولكن النصر من عند الله ينصر من يشاء وهو على كل شىء قدير فقولوا على بركة الله لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وترجلوا عن خيولكم وضيقوا المواكب على عدوكم فنزلوا عن خيولهم ونزل الإمام رضى الله عنه عن جواده وزحف بقومه وفرقهم من سائر جوانب الحصن فاشتد القتال وتراشقوا بالنبال واشتد الحرب وعظم الكرب وكثر الضرب وتعالى القوم على اصحاب الامام رضى الله عنه فوصلت اليهم جنادلهم وسهامهم فصبروا لذلك صبر الكرام

وقد تهشمت رجال من المسلمين بالحجارة فلما نظر الامام إلى ذلك عطف وقال لقومه ارجعوا إلى ورائكم فتصايح القوم بعضهم ببعض وانعطفوا عن القتال واجتمعوا إلى أمير المؤمنين فلما نظر المشركون إلى ذلك فرحوا فرحا شديدا برجوع الإمام رضى الله عنه وقومه عنهم فجاءوا يطوفون عليهم وينادون الى أين يا ابن أبى طالب أتظن أننا كمثل ما رأيت من الحصون وما بقى من أجلك سوى ما بقى من هذا اليوم وعند المساء تحيط بك عساكر الملك وجنوده فلا تجد لك مساعدا ولا فى الأرض مقعدا فأعطنا القياد أنت ومن معك فنأخذكم أسارى ونبقى عليكم ولا نقتل منكم أحدا .

(قال الراوى) فلم يجبهم الإمام رضى الله عنه ولا أحد من أصحابه بل نزل متباعدا وقومه معه فتوضأ الامام رضى الله عنه وأمر الناس بالوضوء ثم قام فأذن وصلى بهم صلاة الظهر فلما أتم صلاته أقبل على قومه وقال ياقوم : هل لكم أن تشيروا على برأيكم فانى أرى ما أملته من هذا الحصن متباعدا إلا أن يأذن الله بفتحه وهو على كل شىء قدير ونخشى أن نطاول القوم فى القتال فيدهمنا ملكهم الذميم وإن الله حامى أوليائه الأبرار وخاذل أعدائه الكفار وأخشى أن يفوتنا هذان الاثنان ومن معهما فهل فيكم من يشير على بحيلة أو خديعة نصل اليهم بها فتكلم كل واحد بما معه وما عنده فمنهم من قال أيها الامير إن هذا الحصن منيع ومجىء الملك سريع لأنه تكاملت جيوشه وهى مائة ألف من خيار العرب غير ما يتبعها من خدمها ورجوعنا بهذا الفتح وهذه الغنائم أصلح لنا . ومنهم من قال نحارب القوم ونضاربهم الى ان يطول عليهم الأمر ويكثر عليهم الشر فيفتحوا لنا وهم طائعون ومنهم من قال نقيم فى موضعنا ونقاتل كل من طرقنا ولو ملئت الأرض علينا خيلا ورجالا إلى ان نقتل عن آخرنا وكثرت الأقوال من القوم والامام ساكت يسمع قول كل من قال .

(قال الراوى) فلما فرغ القوم من كلامهم وثب ناقد بن الملك قائما على قدميه وقال يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم انك ان أشرت فانت جرثومة الخيل والجالب لأعدائك الخبل والموقع بهم الفشل وقد سمعت بإسلام كل أحد من قومك فقل أنت قولك فانت اوفق للصواب والفصيح فى الخطاب ومنك يسمع القول والجواب . فقال الامام رضى الله عنه : ياقوم أما لقاء الملك ومن معه فهذا شىء لا بد منه لا محالة ولو لاقيتهم وحدى أو يأتينى اليقين وأصير إلى رب العالمين الا أنى فكرت فى حيلة أرجو بها فتح هذا الحصن إن شاء الله عن قريب . فقال له ناقد وما هى يا أبا الحسن وفقك الله .

قال يا ناقد نصنع المنجنيق كما صنعته ونحن مع رسول الله ﷺ لما عسر علينا حصن النظام . فقال ناقد وما هو المنجنيق يا أمير المؤمنين وكيف تكون هيئته ومن أى شىء يصنع وما الذى يحتاج اليه ؟ فقال له الامام يحتاج إلى أخشاب طوال قد قطعت من مدة أعوام وعدة يقطع بها الخشب من مناشير وقواديم وفوس ومسامير من حديد وحبال وكفة .

(قال الراوى) فقال ناقد بأبى أنت وأمى ان فى هذا الوادى من وراء هذا الجبل بستانا عظيما فيه أخشاب طوال وقد قطعنا منه كثيرا ، وقد أراد أبى أن يجعل هذه الأخشاب ليصنع بها مجلسا قريبا من داره فأشار عليه بعض أصحابه من أكابر قومه أن يصنعه فى ذلك البستان فصنعه فيه وليس عنده احد وهو قريب منا ، وأما الأحبال فنحن نجمع لك من فوق النخل حبالا من الليف وأن الأخشاب منجرة مهندسة نأخذ منها مايوافقك بعد أن تفكه وتأخذ مساميره وما كان فيه من الصفائح الفولاذ والمسامير الحديد فتبسم الامام ضاحكا وقال يا ناقد لقد تمم الله بك أمرنا ويسر عسيرنا ثم التفت إلى أصحابه وقد تبين لهم السرور فى وجهه وقال لهم ياقوم أسرعوا مع أخيكم ناقد وأطيعوه فيما يأمركم به وإياكم أن تخالفوه فى شىء فقالوا السمع والطاعة لله يا أمير المؤمنين .

(قال الراوى) فاخذ ناقد معه ثلاثة آلاف فارس وساروا وأهل الحصن شاخصون لهم مايدرون ماهم لهصانعون إلى أن وصلوا إلى البستان فأمر ناقد فرقة منهم أن تجمع ليفا من النخل وأمر فرقة تحمل الأخشاب على الجمال وأمر فرقة بفك مجلس أبيه وأمر فرقة تحمل ماهناك من الحديد والصفيح والمسامير والأخشاب فلم تكن غير ساعة حتى جمع ناقد مايحتاج اليه وأتى به إلى أمير المؤمنين والقوم شاخصون إلى ذلك من أعلى الحصن فقال هجام لحويرثه ويحك ماترى هؤلاء القوم وما هم صانعون أرادوا أن يسندوا هذه الأخشاب الطوال إلى جدران حصننا ويصعدوا لنا من فوقها ان ذلك منهم أمل بعيد والوصول اليه صعب شديد لئن مكناهم من وضع هذه الأخشاب إلى جدران حصننا فنحن العاجزون فبينما هم كذلك وإذا بالإمام رضى الله عنه لما نظر إلى الليف والأخشاب والحديد فرح فرحا شديدا وأمر كل فرقة من قومه أن يشتغلوا فى شغل فقوم يفتلون الحبال وقوم يجهزون لهم الليف وقوم ينحتون الأخشاب وقوم يحفرون الأرض وقوم يصلحون فى الحديد وقوم يقيمون الأخشاب وقوم يسندونها وقوم يجهزون الكفة وأحبالها والامام رضى الله عنه

يطوف عليهم ويعلمهم كيف يصنعون ويقول لهم اصنعوا كذا وكذا أصلح الله شأنكم ولم يزالوا كذلك بقية يومهم وليلتهم والإمام يساعدهم بنفسه الى أن فرغ المنجنيق وجميع آلته فأمرهم الإمام بحمله فحملوه ومشوا به والإمام معهم الى أن قربوا به من الحصن وأمرهم بنصبه فنصبوه وأمرهم بأن يعقدوا آلته وحباله ففعلوا ذلك وأمر القوم أن يحملوا الصخور فحملوها وأتوا بها ووضعوها عند المنجنيق ولم يصبح الصباح إلا وقد ركبوه وفرغوا منه .

(قال الراوى) فلما أصبح الصباح ونظر أهل الحصن الى ذلك قال بعضهم لبعض ياويلكم ماهذه الحيلة التى نصبت بإزائنا وماهذه الأحبال والأخشاب وماهذه الصخور العظام التى من حولها ليت شعرى ماتكون هذه الحيلة ومايريد أن يصنع ابن أبى طالب فهذا قول هجام وأماقول حويرثة حين سمع ذلك من هجام فقال لاشك ان هذه حيلة نصبوها ليرتقوا عليها فيسا وناثم يرمونا بنبالهم . واعلم ياهجام أن كل من صعد من أعلاها فهو هالك لامحالة فانه اذا انتهى الى أعلاها أرشقناه بنبالنا رشقا عنيفا متداركا فقال هجام صدقت فى قولك ثم ان الإمام أفرد ألف رجل بالدرق يمنعون عن أصحابهم وأخذ فرقه وجعلهم حول المنجنيق يجرون الأحبال وأمر بقية القوم أن يقفوا صفوفا بأسلحتهم وعدتهم ثم إنه رضى الله عنه أخذ حجرا عظيما بيده وضعه فى كفة المنجنيق وأمر الرجال بجر الحبال وتعلق الإمام بكفته وهو ينشد ويقول :

حجارة نازلة من ذلك البطل ... دامغة ترمى الأعادى بالأجل
صنعها الشهم ابن عم المصطفى ... مدمدم الكفار من كل بطل

(قال الراوى) فلما فرغ الإمام من شعره صاح بالرجال وأمرهم أن يسرعوا بشد الحبال والتكبير لذى العزه والجلال فكبر القوم بأجمعهم وشدوا الحبال فارتفع الحجر فى الهواء باذن الله وعلا علوا عظيما ثم انه أمرهم أن يحطوا الحبال من أيديهم ففعلوا ما أمرهم به فانقض الحجر من كفة المنجنيق وله دوى كدوى الرعد القاصف وازداد الهواء ارتفاعا عظيما ثم وقع على الحصن فنزل على اثنين فهشمهما فلم يتحرك منهما احد فذهل القوم عند ذلك وحاروا واندهشوا مما حل بهم والتفت هجام الى حويرثة وقال له الا تنظر الى هذه الحيلة العظيمة التى نصبت : فبينما هم فى الحيرة واذا بالإمام رضى الله عنه أخذ حجرا آخر ووضعه فى كفة المنجنيق وأوصى الرجال بجر الحبال عقب كلامه وأنشد يقول :

أنا علي قاتل الأعادى اليوم أبلغ منهمو مرادى
ويشتفى من غيظهم فؤادى بقتل ذى الأرذال والأوغاد
أنا ابن عم الهاشمى الهادى داعى الورى طرا الى الرشاد
أنا على فارس الجياد مبيد أهل الكفر والعناد
وقامع الكفار فى الجلاد فأسرعوا أنتم بكل واد

(قال الراوى) ثم جرت الرجال الحبال وكبروا ثم أرسلوا الحجر من أيديهم فهوى الحجر الى السماء ثم سقط فى الحصن فوقع على جماعة من النساء فاهلكهم فعلا فى الحصن الصياح وكثر الصراخ وتنافرت النساء من كل جانب ومكان فلما نظر هجام الى ذلك قال وحق المنيع لقد رمانا هذا الغلام بداهية عظيمة فاين المنيع اليوم يمنعه عنا وعن نصرته فبينما هم كذلك حائرون اذ أخذ الإمام رضى الله تعالى عنه صخرة عظيمة ووضعها فى كفة المنجنيق وجعل يقول :

حجارة ترمى الى الكوافر من يدصنديد الوفا المخابر
أنا ابن عم الهاشمى الفاخر مجندل الأبطال بالضوامر
وجالب الزلزال للفواجر أذيقهم كأس الضنى بالباتر
أنا ابن عم الهاشمى الطاهر صلوا على هذا النبى العاطر

ثم ان الإمام قد أمرهم أن يفعلوا بها مثل فعلهم أولا فما استطاعوا أن ينقلوها من مكانها وما قدروا أن يحركوها فزادهم الإمام رضى الله تعالى عنه رجالا وأمرهم أن يكبروا فكبر المسلمون وكبر الإمام ثلاثا وأطلقوا الحبال من أيديهم فانقض الحجر فى الهواء وزاد ارتفاعا وله دوى كدوى الرعد أو كالريح القاصف وكان الامام قد قصد ناحية باب عدو الله الهجام وحويرثة فوقعت على الباب وكان ذلك الباب العظيم على قبة معقودة عظيمة فهدمتها وصارت حجارتها طائرة فى الهواء كأنها العصافير وعاد كل من صدمه حجر منها قتله فكل منهم جزع وقد فزع عدو الله هجام وحويرثة وقد تزايد بهم الخوف وكثر الصياح وعظم الصراخ وتنافرت الرجال يمينا وشمالا وقد تهشمت الرجال والنساء وصاحوا الاصر لنا على هذا وقال هجام وحق المنيع إن دام علينا هذا الفعل هلكنا عن آخرنا ولقد كنا نرجو الملك الهضام أن يرسل لنا أحدا من قومه أو يسير الينا بجيوشه فينصرنا على عدونا ولقد أبطأ علينا وإن غاب عنا بقية يومنا هذا وليلتنا لأهلكنا على بن أبى طالب

ويملك حصننا بعد أن يقتلنا , ولم يزل الامام يرمى عليهم بقية يومه فقتل منهم خلقا كثيرا فلما ولى النهار وأقبل الليل وأنسدل الظـــلام رجع الإمام بمن معه إلى أماكنهم وتركوا المنجنيق على حالته (قال الراوى) فالتفت الامام رضى الله عنه لأصحابه وقال لهم ياقوم هذه الليلة ليلة حرس وأنا أريد أن أضطجع هذه الساعة الى أن تغيب الشمس وكانت عند الاصفرار ، وإذا طرقكم طارق فأيقظونى فقالوا سمعا وطاعة ياأمير المؤمنين فاضطجع الإمام ونام سبحان من لا يغفل ولا ينام ولم يزل نائما الى أن غربت الشمس ثم انتبه من غير أحد يوقظه فقام وتوضأ وأمر الناس بالوضوء ثم أذن للمغرب وصلى بالناس فلما فرغ من صلاته التفت إلى أصحابه وقال معاشر الناس إنى رأيت فى منامى ولذيذ أحلامى كأن نارا تضرم لنا بين الرجال وهى تحرق القوم يمينا وشمالا وكأن كلابا قد ملأت أفواهها ماء يريدون اخماد تلك النار وكأنى أضرب خراطيم تلك الـكلاب وأفواهها ولا شك أن القوم عزموا على منجنيقنا والمكيدة لنا فتولوا حرسكم بأنفسكم وأنا اتولى حرس المنجنيق بنفسى فان الحماية عندى ان شاء الله تعالى وان هموا لكم أتيتكم وحميتكم وقاتلت عنكم بنفسى

(قال الراوى) ثم ان الامام رضى الله تعالى عنه دعا بناقد وجنبل والرغداء وخالد بن الريان وولاهم الحرس بالقوم وأوصاهم بمداومة السهر فقالوا له السمع والطاعة ياأمير المؤمنين ثم قالوا ياأبا الحسن لو أنك أخذت معك من قومك ولو مائة رجل لطارق يطرق أو عائق يعيق فان فى الحصن حيات تلسع وعقارب تلدغ فقال له ياناقد ان لنا ربنا يعيننا على تلك العقارب والحيات الأراقم ونهلك بمشيئة الله كل كافر وظالم مع نصرته ونحن فينا الكفاية ونرجو من الله العناية وهو المتفضل على عباده سبحانه وتعالى ثم ودع القوم وسار الى المنجنيق وهو ينشد ويقول :

أنت لى مؤنس على كل حال ... فى نهارى وفى ظلام الليالى
منك أرجو للقوم نيـل مراد ... أنت ياسيدى عليك اتكالى
قد خلا القلب من جميع البرايا ... ليس للغير موضع فيه خالى
قد سكنت الحشا صميم فؤادى ... لم تزل حاضرا معى فى خيالى
ربنا عمنا بواسع فضـل ... يارحيم بنا عظيم النوال
ربنا انصر جيوشنا واعف عنا ... واخذل المشركين يامتعالى

(قال الراوى) ثم أخفى الإمام حسه وسار الى أن وصـــل الى المنجنيق فوجد

بازائه وهو مستقبل القبلة ولم يزل يصلي ويتضرع الى الله سبحانه وتعالى الى أن مضى من الليل أكثره والناس فى طيب هجعتهم ولذة رقادهم فبينما الإمام فى صلاته إذ سمع صرير الباب وفتح الأقفال فلصق الإمام بطنه على الأرض وتحقق بالنظر الى باب الحصن فرآه قد فتح وإذا هو بالرجال قد خرجوا منه بعضهم من وراء بعض وجعل الإمام يعدهم واحدا بعد واحد حتى انتهى إلى مائتى رجل وقد كان عدو الله هجام قد تشاور فى تلك الليلة على قطع المنجنيق وقطع حباله وأخشابه وقطع البستان حتى لا يبقى فيه شجر ولا نخل ثم خرج هجام وحويرثة ومع كل واحد منهم مائة رجل من صناديد القوم وشجعانهم فلما خرجوا من باب الحصن امروا من بقى من قومهم أن يغلقوا باب الحصن من ورائهم ثم أقبلوا يمشون وقد أخفوا حسهم وحركتهم ولم يزالوا كذلك الى أن وصلوا الى المنجنيق والإمام رضى الله عنه مراقب لهم وقد امتشق سيفه من جفيره وقبض عليه بيده وعلى حجفته وهو لاصق بطنه على الأرض ولم يداخله هلع ولا جزع وهو كأنه أسد وهجام وحويرثة فى أوائل القوم فسمع حويرثه يقول وحق المنيع ياهجام أنا لا نأمن من على بن أبى طالب أن يعلم بمكاننا فلا بد أن يأتينا ويصل بشره إلينا

(قال الراوى) فقال هجام اسكت لا أم لك لقد ملىء قلبك خوفا من ابن أبى طالب ثم أنه أمر طائفة القوم أن يسيروا الى البستان فيحرقوه بالنار فتوجه جماعة من القوم اليه وتقدم الباقون الى المنجنيق مع حويرثة وهجام يقول وحق المنيع لأقصدن ابن أبى طالب أينما هو نازل ولآخذنه أسيرا ذليلا ولآتين به وأوصله الى الملك الهضام ولا لهنا المنيع يفعل به مايشاء ويختار، كل هذا والإمام يسمعه منهما وهو صامت لم يرد عليهما جوابا وهو صابر لأحكام الله تعالى ولم يزالوا كذلك الى أن وصلوا الى المنجنيق وهموا أن يقدموه فوثب لهم الامام قائما على قدميه وصرخ صرخته المعروفة بين القبائل بالغضب فدوى منها الوادى وقال لهم إلى أين ياأولاد اللئام فذهـــل القوم واندهشوا وبهتوا ولم يجدوا مفرا مما نزل بهم فبادرهم الامام رضى الله عنه بذى الفقار وجعل يضرب فيهم يمينا وشمالا وهم يصرخون بقومهم والامام يقول أين ياهجام قد قربنى الله اليك فو الذى بعث ابن عمى بالحق بشيرا ونذيرا لا أرجع عنكم بمشيئة الله عز وجل حتى أخرب حصونكم وأقتل رجالكم وأبيد سجعانكم وآخذ ملككم والحكم واحرقهم فى نارهم إن شاء الله تعـــالى ولم يزل

الإمام يقتل فيهم إلى أن ولوا منهزمين على وجوههم هاربين وإلى حصنهم طالبين وأما حويرثة فانه شخص ببصره ولم ينتقل من مكانه ولم يتحرك من موضعه من شدة ما أصابه ، وأما هجام فانه لما عاين ذلك قلب جواده وعطف بركضه إلى جهة الحصن وصرخ بمن فيه أفتحوا ففتحوا له الباب فدخل وأغلق الباب من خلفه وقد جرى الإمام وراء من كان معه من القوم وقتلهم جميعاً خارجا عن الحصن وكانت عدة القوم مائتى رجل فلم يدخل الحصن غير أربعة وسبعين رجلا وقتل الباقون وقد كانوا دخلوا قبل هجام وكان أصحاب الإمام رضى الله عنه سمعوا الصراخ والصياح بالليل فأقلقهم ذلك وهموا أن يبادروا إلى الإمام فقال لهم ناقد ياقوم إنه أقسم على الإمام بحقه أن لا أدع أحدا يلحقه فاصبروا حتى يأذن الله بالفرج من عنده إنه كريم حليم .

(قال الراوى) وأما الإمام فانه لما فرغ من قتل بقية القوم عند باب الحصن ورجع إلى المنجنيق وجد حويرثة واقفاً وأمسك الله جوارحه فلم يستطيع أن يحرك بحركة فأعلن الإمام بدعائه ليسمع قومه لما علم أنهم متطاولون اليه فنادى يامعشر الناس لا يضرنكم القلق ولا يداخلنكم الأرق فانى بعون الله سالم وبنصره غانم فانغمروا فى مراقدكم فانى قاتلت قتالا لا أرجو به إلا رضا الجبار ودمار الكفار فاستبشر الناس بقوله وفرحوا بكلامه وعاد الإمام رضى الله عنه إلى صلاته وخدمته لمولاه وحويرثة باهت يراه ويسمع قراءته ونداءه وينظر إلى ركوعه وسجوده وتضرعه وتعفير وجهه فى التراب ولم يزل كذلك إلى أن برق الفجر فأذن الإمام الفجر فى ذلك المكان فعلم أذانه جميع عسكره فأجابوه من كل ناحية ومكان فأستبشر بذلك أهل الايمان وأرتعد أهل الشرك والطغيان .

(قال الراوى) فلما رأى ذلك حويرثه أقبل على الامام رضى الله تعالى عنه وقال ياابن أبى طالب لمن كنت تناجى ولمن كنت تضرع وتنادى ومن أنت اليه داعى ومن أنت له شاكى ومرة ترمق بطرفك إلى السماء ومرة تمرغ خديك على الثرى فقال له الامام رضى الله عنه لمن أوصلنى اليك ونصرنى بقوته على قومك وعشيرتك فقال له وأين محله ومأواه يا سيدى وأين مستقره ومنتهاه . فقال الامام رضى الله تعالى عنه يا حويرثة هو لا تحده الخواطر ولا تحدق فيه النواظر ولا يعلم ما هو إلا هو ثم قرأ قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو فى آخر الآية فقال حويرثة إن هذا الكلام لعظيم وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقال له

الامام رضى الله عنه إن ذلك سبق لك فى اللوح المحفوظ وفرح باسلامه .

(قال الراوى) ثم أن الامام صلى صلاة الفجر فى مكانه وجلس يذكر الله حتى طلعت الشمس وأقبلت أصحابه اليه رضى الله عنه ، فلما نظر أهل الاسلام إلى حويرثة والامام وهما كالأسد الكاسرة الهائلة فرحوا بسلامة الامام رضى الله عنه وفرحوا باسلام حويرثة وبادروا اليه . فقال لهم الامام رضى الله تعالى عنه انزلوا حتى يتضاحى النهار بارك الله فيكم فنزلوا يتحدثون معه كيف صنع فى ليلته وهو يحدثهم بما وقع له فى ليلته : فبينما هو كذلك ، وإذا بالشمس قد أشرقت وملأ نورها الأرض فنظر الامام رضى الله عنه إلى الحصن وإذا عليه أعنة منصوبة وأحبال مفتولة وكفات مبسوطة وجنادل موضوعة فبينما هم ينظرون إلى ذلك إذ أخذتهم الأحجار من كل جانب ومكان من أعلى الحصن واذا هم بصوت فظيع هائل شنيع حتى سمعه الفريقان وليس هو كصوت الآدميين واذا بالصخور قد تداركت على المسلمين فأصابت جماعة منهم وتزايدت الأحجار وتساقطت كالمطر وأخذتهم الأصوات وتداركت عليهم الزعقات وحل بالمسلمين مالاطاقة لهم به فاستتروا عند ذلك بالدرق والحجف وتأخروا الى ورائهم وسمعوا قائلا يقول هؤلاء رسل المنيع أظهروا برهانهم وأذلوا أعداءهم .

(قال الراوى) فلما سمع ذلك الإمام رضى الله تعالى عنه . قال هذا صوت ابليس اللعين ورب الكعبة مافعل بالقوم ذلك الاهو غيرة منا لهم وخديعة فتقمعوا الى ورائكم وأنا معكم فوالله لولا أن الله سبحانه وتعالى أنظره الى يوم الدين لكنت أهلكته هذا والصخور تتساقط على المنجنيق حتى أزالته ومحت آثاره وكان السبب فى ذلك أن عدو الله هجام بن خالد لما دخل الحصن منهزما ارتجف فؤاده وتضعضعت أركانه وأيقن بالهلاك ووقع مغتشياً عليه فرشوا علـى وجهه الماء الى أن أفاق من غشيته فاقبلوا عليه وقالوا له أيها السيد ما الذى نزل بك فقال لهم ياقوم ان هذا الغلام بلية على العرب من عند محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وان محمداً يبقى اذا قدر ويحسن اذا عفا وأن هذا المشئوم الطلعة لا يبقى ولا يذر ولا يرحم اذا ظفر ولا يحسن اذا قدر وكانه نار ترمى بشرر ومع هذا كأنه كاهن قد علم بأمرنا وما أخفيناه من سرنا وما أضمرناه من فعالنا فسبق الى المنجنيق وكمن لنا هناك فلما وصلنا رأيناه كالأسد اذا عاين فريسته أو كالبحر اذا تراد فت أمواجه ولولا أنه اشتغل بحويرثة لكان قد وصل الى وهجم بنفسه على ولا طاقة لنا بمن ليس

له فى الأنس نصيب وانى أراه فى كل مكان حاضرا لا يغيب وأظن أن المنيع قد تخلى عنكم وعن نصرتكم فلما سمع ذلك قومه حاروا وذهلوا واندهشوا من قوله وقالوا له أيها السيد إذا كنت أنت تقول هذا القول فما الذى يكون عندنا من القول ؟ فان كنت كارها للقائه فافتح لنا باب الحصن فوحق المنيع مالنا قدرة على حربه ولا طاقة لنا عليه

(قال الراوى) فبينما القوم كذلك إذ ظهر لهم اللعين إبليس فى صورة رجل عليه مدرعة من شعر وبيده قدوم النجار فجعل القوم تنظره . فقال لهم ياويلكم ماهذا الفزع الذى انتم فيه وما الذى نزل بكم فما هذا الهلع الذى أصابكم انما أراد المنيع أن يستخبركم ويعلم ما عندكم من ضعف الدين وقلة اليقين وأنا من أعوانه ومن بعض خدامه وقد أرسلنى المنيع أتولى قتال هذا الغلام ودماره ومن معه وأمانع عن حصنكم فعند ذلك فرح القوم فرحا شديدا وقالوا باجمعهم لا نعرف ربا ولا إلها نعبده ونتوسل به ونتضرع اليه إلا الرب المنيع الاله الرفيع .

(قال الراوى) ثم أقبل اللعين إبليس على عدو الله هجام وقال له ياويلك هل يخفى على المنيع ما تكلمت به وهو بصير سميع عليم ولولا أنه إله كريم حليم لسلبك النعم ورماك منه بعظائم النقم وانى أنصحك نصحا عظيما ان تتوب اليه من خطاياك وتكن راجعا اليه وانجز ما أمرتك به وأسرع فيما اليه أرسلت فاذهبوا واحفظوا حصنكم . فقال له هجام ومن يعينك على أمرك ؟ قال إبليس يعيننى المنيع بكثرة جنوده فانصرف القوم من عنده فصرخ اللعين إبليس على خدمه وجنوده فاجتمع اليه من مردة الجن وعفاريتهم وشياطينهم الف قبيلة فلم يكن الا ساعة حتى صنع المنجنيقات وفرغ من آلتهن وأمر بحملها وفرقها على أبراج الحصن ففعلوا ذلك وما أتت الصباح حتى فرغ من جميع ما أراده وجعل يقف على المنجنيقات ويعلمهم الرمى وكيف يصنعون فى عملهم ذلك غاب عنهم فلم يروه فازدادوا عند ذلك حبا شديدا فى المنيع وجعل هجام يقول بعد ذلك : الهى وسيدى ومولاى كثرت خطياتى وعظمت بليتى فلا تؤاخذنى بسوء أفعالى وازداد القوم فى كفرهم وطغيانهم ونادى هجام الى أين يا ابن أبى طالب ؟ لقد أحاطت بك من المنيع الكتائب وأسرعت اليك المصائب من كل جانب فستسلم الينا انت ومن معك ونحن نسأل المنيع حسن وجودا ان يصفح عنك وعن خطاياك وزعم انه لن يعجل عليك لذلك وامهلك واردتك ولو غرتك فيباك واذلالك فأين بن

عمك محمد ما أغفله عنك وعن نصرتك .

(قال الراوى) فلما سمع ذلك الامام رضى الله عنه اشتد غضبه وأقبل على أصحابه وقال يامعاشر الناس ان الله سبحانه وتعالى يبتلى العبد المؤمن لينظر كيف صبره فيوفى الصابرين أجرهم بغير حساب ويقيهم سوء العذاب فاصبروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون واعلموا ياقوم أنما هى طوارق من الشيطان والطغاة من الجان وانكم من ذلك فى أمان لأنكم من حزب الرحمن ومن أهل القرآن وأن الآخرة خير لكم وقد رأيت أن تكونوا فى أماكنكم وأتقدم أنادونكم فان أصابنى مكروه فيكون بى ولا يكون بكم فعند ذلك قام ناقد بن الملك قائما على قدميه وقال ياأبا الحسن فان نحن فعلنا ذلك فما يكون عذرنا عند الله ورسوله إذا اجتمع الخلائق لفصل القضاء وفاز المطيعون من ربهم بالرضا فنحن معك وبين يديك نقاتل من عاندك وتضرب أسيافنا من عارضنا فان نحن صرعنا من حولنا ولم يبق منا باق لم يكن على حجة يوم القيامه وقام جنبل بن وكيع واغداء بنت الخطاف وخالد بن الريان وقالوا كذلك فجزاهم الامام خيراً وفرح بقولهم وقال والله ياقوم مايسرنى أن أرى أحدا منكم مخدوشاأو منهوشاولا بدأن يشتد بالقوم الحصار وينالهم منا الضرار ويفنى مأكولهم ويفرغ ماؤهم فيفتحو لنا الحصن رغما عن أنفهم .

(قال الراوى) فقال ناقد بعد أن قام واقفا وكروقال جزاك الله كل خير وأبعد عنك كل ضير لقد ذكرتنى أمرا والله كنت عنه غافلاً وقد قرب الله علينا وعليك البعيد وسهل لنا ولك كل أمر صعب شديد فقال له الامام رضى الله تعالى عنه قل ما عندك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وأشر علينا بما عندك فما عرفتك إلا مباركا فى المشورة ميمون الطلعة فعند ذلك قال ناقد يا أبا الحسن زاد الله عمرك وأهلك أعداءك ان مشرب القوم من عين ماء خارج الحصن جارية وتدخل إليه من مرج معقود من العين الى أن تدخل الى الحصن من تحت البنيان وقد اخفوا مكانها حتى لا يقدر احد من اعدائهم عليها. وليس للقوم مشرب الا منها ومع ذلك انها لاتستقر فى الحصن بل انها تدخل من باب وتخرج من باب الجانب الآخر ويسيح ماؤها فى وادى الظباء فيسقى ماهناك من المواشى والاشجار وغير ذلك وانا اعرف الناس بها وبمكانها وان من رأى مشورتى أن نمضى اليها ونكشف عنها ونسد مجاريها عن الحصن ونسيب ماؤها يجرى فى الفضاء من الأرض تقطع الماء عنهم ولا صبر لهم عن الماء ولا يبقى

عندهم من الماء قطرة (قال الراوى) فلما سمع الامام ذلك قال له أحق ماتقول ياناقد؟ فقال له وحق ابن عمك محمد ﷺ ومن بعثه بالحق بشيرا ونذيرا كيف يجوز لى أن اقول غير الحق ياأمير المؤمنين وقد هدانى ربى إلى الحق وعرفنى بأهله فانهض معى وأنا أظهر لك بيان ذلك فلما سمع الإمام ذلك من ناقد وثب قائماً وقام معه جماعة من أصحابه مبادرين مسرعين وناقد أمامهم ومازالوا كذلك إلى أن وصلوا إلى دكة مبنية بأصناف الرخام الأبيض والأسود والأزرق والأخضر والأحمر والأصفر وسائر الملونات من جميع الفنون وعليها شباك محيط بها وظهر البنيان باختلاف الألوان من حولها فلما نظر الإمام رضى الله تعالى عنه استحسنها وقال لناقد ما هذا ياناقد فقال له يامولاى كان أبى حين يركب يأتى إلى هذا المكان وينزل فيه وحجابه ونوابه وجنوده يقفون على بابها وهى مبنية على العين ونريد ان نهدمها لأجل ان تصل العين الى العين نفسها

(قال الراوى) فلما سمع الإمام رضى الله تعالى عنه ذلك أمر الناس بهدمها وقلعها لينكشف لهم ماتحتها فنزع الناس أطمارهم وتجردوا من ثيابهم وتجرد الإمام كذلك وبعث الى أصحابه واستخدم رجالا كثيرة قوم بالمعاويل وقوم بالخناجر وقوم ينقلون ما يهدم أصحابهم الى بعيد وأيدهم الله سبحانه وتعالى بالنصر والمعونة ومازالوا كذلك إلى أن وصلوا الى جديد من الأرض فانكشف لهم عن صخرة عظيمه فى وسطها حلقة هائلة وقد كان أهل الحصن اذا أرادوا قلعها لاصلاح مجاريها يوثقونها بالأحبال الشداد الوثيقة ويجرها الرجال الكثيرة فلما رآها الامام قال ارجعوا عنها واحفروا حولها فتركها الناس وحفروا حولها فسمعوا هدير الماء من تحتها واجتمع أصحاب الإمام وعالجوا قلعها فلم يقدروا على ذلك وكأنهم لم يصنعوا فيها شيئاً فعند ذلك قال ناقد ياقوم انطلقوا الى العسكر وأتونا بالرجال والأخبار فقام الإمام رضى الله عنه وقال يا ناقد ان الله سبحانه وتعالى هو المعين والنصير يهون علينا كل صعب عسير وهو على مايشاء قدير

(قال الراوى) ثم تقدم الامام وقال ابعدوا عنها والله تعالى يعيننى عليها فبعد القوم عنها وتقدم الامام اليها وضرب بيده عليها وتلت يده فى حلقتها وفتح رجليه حتى عاد الحجر بينهما ثم جذبها اليه جذبة شديدة وكبر عند جذبته فقلعها من مكانها وأزالها عن بنيانها فكبر أصحابه عند فعله ورفع يده وعلقها فى ذراعه ورماها من خلفه فبعدت عنه عشرين ذراعا الى ورائه فكبر المسلمون ووثبوا الى

الامام يعودونه فشكرهم الإمام رضى الله عنه تعالى على ذلك، وجزاهم خيرا فلما فلح الإمام الصخرة انكشف لهم عن ذلك الماء وهى عين يفور منها الماء ويجرى فى مرج معقود فى بنيان واسع وقد أحكمه الأوائل بالصخر والرصاص فعند ذلك تبسم الإمام ضاحكا وفرح بذلك فرحا شديداوأمر القوم ان يسدوا ذلك المجرى ويطلقوا الماء يخرج الى فضاء الأرض ثم قال لهم ياقوم لاتعجلوا على ذلك ويفعل الله مايشاء ثم أقبل الامام على ناقد وقال له هل عندك علم من هذا المرج اهو واسع على حالته هذه إلى داخل الحصن أم هو واسع من هنا وضيق مما يلى الحصن ؟

(قال الراوى) فقال ناقد يامولاى هو واسع على حالته كما ترى إلى داخل الحصن إلا أنه مهلك لمن دخل فيه فقال الإمام يا ناقد فكيف ذلك ؟ فقال له يا مولاى إنه معمور بالجن والشياطين فقال الامام رضى الله عنه يا ناقد ومن أين علمت ذلك قال يامولاى لأن الماء يتغير على القوم فى بعض الأوقات وتنسد مجاريه فاذا دخل رجال فى هذا المرج ليصلحوا مافسد منه تتصارخ بهم الجن والشياطين فقال الامام رضى الله عنه يا ناقد من أين علمت قال سمعت انه تحتاط بهم النيران من كل جانب ومكان فيخرجون منها هاربين من هول ما يظهر لهم وقتل منهم خلق كثير فلم يجسر احد ان يدخله من ذلك والذى شربه بعيد والوصول اليه صعب شديد. فقال له الامام إنى أخشى ان أسبب الماء إلى فضاء الأرض فيعلم القوم بانقطاع الماء عنهم فيجعلوا منه عندهم ويأخذوا من الماء مايكفيهم الى أن تأتى اليهم جيوش الملك الهضام فالتفت الامام رضى الله عنه الى أصحابه وقال لهم معاشر الناس أما فيكم كريم يصنع صنيعاً يشكره به رب السموات والأرض فيدخل فى هذا المرج إلى أقصاه وينظر كيف مدخله ومنتهاه ثم يعود الينا بالخبر الصحيح على حقيقته فعند ذلك نظر بعضهم الى بعض وهم ما بين مصرق وخجل وصامت ذهل وقد داخلهم الجزع مما سمعوا من الامام

(قال الراوى) ثم ان الامام قال معاشر الناس مالكم لاتجيبون أميركم وتؤثرون ربكم على أنفسكم فانه من عمل صالحاً فلنفسه ومن قدم اليوم شيئاً يلقاه غدا ربه ويسلك به طرق الهدى فهل فيكم من يهب نفسه الى الله تعالى فانه ارحلك وجبت له الجنة ووقع أجره على الله عز وجل فلم يتم كلام الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى الله عنه حتى وثب المقداد بن الملك وقال له ياسيدى ومولاى أنا الذى أشرت بهدم المسورة وأنا أريد ان أتقدم الى

ذلك بأمرك مطيع لك لأننى أعلم الناس بهذا السرب وبما يحل بمن ينزل من بنى آدم إلى هذا السرب فان وصلت إلى حاجتك يا أمير المؤمنين فهو الذى تريده من نصرتك وأريده أنا كذلك . وإن كانت به وفاتى فهى الفائدة فانى أريد ان أحشر فى زمرتك وتحت لواء ابن عمك محمد صلى الله عليه ثم أن ناقدا تجرد من ثيابه وأخذ سيفه وتنكب بحجفته وتقدم إلى السرب وجعل ينشد ويقول :

يارب إن كانت وفاتى قد دنت ... فاختم بخير سيدى أعمالى
يارب مالى غير سؤلك ديدن ... فاقبل دعائى وعمنى بنوال
إنى مطيع فى الأمور لسيدى ... ابن الكرام السيد المفضال
أرجو بذلك أن أكون مخلدا ... فى جنة محفوفة بظلال
ثم الصلاة على النبى محمد ... وعلى على فارس الأبطال

(قال الراوى) ثم تقدم ناقد إلى السرداب ونزل فيه والامام ينظر ما يكون من أمره والناس من حوله سكوت فما لبث ناقد غير قليل . وقد خرج على أثره وقد تغير لونه وهو يرتعد كالسعفة فلما قرب ناقد من باب السرب وقع مغشياً عليه وصار يضرب بيديه ورجليه والزبد يخرج من شدقيه وقد بان فى وجهه السواد فلما نظر الامام إلى ذلك قال أعيذك بالله من همزات الشياطين وبوارق المردة الملاعين ثم تقدم اليه ومسح على وجهه بيده المباركة وقال : بسم الله الرحمن الرحيم ـ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة حجابا مستوراً ـ أعيذك بالملك الخلاق مكون السبع الطباق من لوامع بوارق المراق وزجرات ونهرات وسطوات الفساق ـ قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون ثم قرأ الاخلاص والمعوذتين فعند ذلك فتح ناقد عينيه فأجلسه الامام ورش الماء على وجهه وقال يا ناقد مارأيت وما ظهر لك وما الذى أجزعك ؟

(قال الراوى) فلما سمع ذلك ناقد قال بأبى أنت وأمى يا أمير المؤمنين وهل أقدر أن أصف لك ما رأيت وقد ظننت أنى لا أراك أبداً بعد ذلك وانى ما صرت إلى السرداب بعد أن نزلت فيه وجدت أمامى نارا تشتعل فى الماء فقلت إن هذا لشىء عجيب فكيف تكون النار فى الماء فعند ذلك سمعت أصوات هائلة وصيحات رجة وقد رميت بالشرار ، احتاطت بى النيران من كل جانب ومكان وأطبق على الدخان وضاقت من ذلك منافسى وظننت إنى لا أرجع إليك ولا أعود بعدها أبداً فألحقنى الدعاء وجعل

قراءة آية الكرسى فلما قرأت الآية الشريفة خرجت اليك كما ترى والذى أشير به عليك أن لا تتعرض لهذا الأمر وان كنت خشيت من تطاول الأوقات وضيق صدور الرجال فاترك هذا الأمر على حاله حتى تعود وتفصل أمرك مع أبى الهضام الضال المضل فان أنت ظفرت به فتح لك هؤلاء القوم حصنهم رغما عن أنفهم فعند ذلك قال الامام يا ناقد هذا الرأى ليس بسديد وقول ليس برشيد. فاذا وصل الخبر الى ابيك وانى رجعت عن هذا الحصن ولم أقدر على فتحه طمعوا فينا وتجاسروا علينا .

(قال الراوى) ثم التفت الامام يمينا وشمالا فرأى خرقة زرقاء فأخذها الامام رضى الله عنه وأخذ عوداً من الأرض وكتب فيها بريقه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله وابن عم رسول الله على بن أبى طالب إلى مردة الجن والشياطين والقوم الطاغين أما بعد فأنا ممزق الكتائب ومن تعرفونه ولا تنكرونه أنا صاحب الأقسام والدلائل العظام وراميكم بالنكال فافسحوا لنا عن الطريق فهو أصح لكم ولا تتعرضوا لصاحبى فهو أجمل لكم فان أبيتم فأنا داخل عليكم والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى ثم طواه والتفت إلى أصحابه وقال لهم معاشر الناس من فيكم ينطلق بكتابى هذا إلى الجان فاذا ظهروا فليلقيه اليهم وبعد ذلك يرجع الينا .

(قال الراوى) فلما سمعوا ذلك قام جنبل ابن وكيع اليه وقال أنا أمضى بكتابك يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنى أقسم بالله ورسوله لئن تعرض لى عارض من الجن والانس لأجندلنه بسيفى هذا ان وجدت إليه سبيلا ويقضى الله امراً كان مفعولا فشكره الامام ودعا له بخير ثم دفع إليه الكتاب به .تجرد جنبل من ثيابه وقبض على الرساله بيمينه وأخذ سيفه بشماله وسلم على الامام وقال يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم إن وجدت الى الحصن سبيلا أفعل ذلك بأمرك فقال الامام لا تحدث أمراً حتى تعلمنا بمنتهى هذا السرب فنزل جنبل وغاب عن الوجود حتى قلق لانتظاره وهو فى السرب والامام أشدهم قلقا عليه فغاب أكثر مما غاب ناقد حتى ظن القوم أنه وصل الى الحصن فبينما الناس كذلك وإذا بجنبل قد خرج وقد تحول سواده إلى اصفرار فرمى سيفه من يده وقد غمض عينيه وانعقد لسانه عن الكلام والقى بين الناس كالخشبة اليابسة وكان جنبل رجلا عظيم الخلقة كبير الجثة ولم يتحرك ولم ينطق فظن القوم أنه هلك فقال الامام عند ذلك إنا لله وإنا اليه راجعون ثم أنكب عليه الامام وجعل يعوذه ويتلو عليه كلام رب العالمين منه

مافهمناه ومنه مالم نفهمه فأفاق وجلس كأنه سكران ثم اعتراه الهذيان فبقى مثقل اللسان فتفل الامام فى فيه فأفاق ونطق وذهب عنه ما كان يجده فكان أول كلمة نطق بها : لا إله إلا الله محمد رسول الله لا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم . .

(قال الراوى) فقال له الامام رضى الله عنه ياجنبل ما رأيت وما الذى نزل بى وأما أنت وأصحابك فلا تعرضوا المردة الجان فان أمرهم كبير والوصول اليهم عسير فقال له الامام ياجنبل ماعن هذا اسألك بل اخبرنى عما رأيت : فقال له جنبل : أعلم ياأبا الحسن انى سرت فى السرب برسالتك كما أمرتنى فلم أزل الى أن توسطت فى المضيق وظننت أن لا يعارضنى عارض ولا يطرقنى طارق . فبينما أنا كذلك إذ رأيت السرب قد اسود وأظلم وتضايق وانعقد دخانا حتى ضاقت منافسى واحاطت بى النيران من كل جانب ومكان واخذتنى الحيرة فاستسلمت للقضاء والقدر حتى علمت ان الله تبارك وتعالى قال ـ قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا ـ فعلمت أنه ما يصيب العبد الا ما كتب الله عليه فى سابق الأزل ثم اعتصمت بالله وتوكلت على الله وتقدمت اليهم بالرسالة وقلت لهم إنى رسول عبدالله وابن عم رسول الله على بن ابى طالب أرسلنى اليكم بهذه الرسالة وما على الرسول الا البلاغ المبين فلما القيت اليهم الكتاب ما ازدادوا على الا لهيبا من النيران وكثر على الدخان وظهر لى رءوس بلا ابدان واخذتنى النيران وعظمت على الزجرات وهى من خلفى ومن بين يدى . فلما ضاق بى الأمر ناديت ياقريب يامجيب ياحاضر الايغيب اليك فوضت أمرى واليك أسندت ظهرى ثم ناديتهم ياويلكم أنتم أعرف الناس بصاحبى فلا تتعرضوا للنوازل فهو مبيدكم بأقسامه وأسمائه ومهلككم بسيفه ونزاله فردوا الجواب من قبل أن يحل بكم العذاب من الفارس الغلاب والليث الوثاب ممزق الكتائب ومظهر العجائب ومبدى الغرائب الغيث الساكب والنجم الثاقب الليث المحارب والفارس المضارب الأسد الطالب القرم الغالب المذكور فى المشارق والمغارب ليث بنى غالب أمير المؤمنين على بن أبى طالب فوالله يامولاى مااستتم كلامى حتى ضربونى من أسيافهم شيء لايحصى ولا يعد وقد زادوا فى أهوالهم نارا ودخانا فأيقنت عند ذلك بالهلاك وقد جعلت أتلو عليهم ماعلمتنى من كتاب الله تعالى ولم أزل كذلك والنيران تضطرم وتتزايد فى الآية دوانا فى أشد ماتكون من ضيق الأحوال (قال الراوى) فلما سمع الامام رضى الله

عنه ذلك قال ياناقد برعانى ويرعاكم الله الذى ـ لاإله إلا هو عليه توكلت واليه أنيب ـ فهو أرفق بكم منى وأشفق عليكم أكثر من الوالدة على ولدها ثم أنه أمر على القوم ناقدا وجنبلا والرغداء وخالدا وأوصاهم بحفظ القوم وسار الامام يطلب العين فلما وصل اليها حل منطقته ونزع ثيابه وأخذ سيفه وحجفته ثم قال لمن أتى معه من أصحابه ان طال عليكم مغيبى فعليكم بباب الحصن فانكم تجدونى وإن أنا هلكت فكل شىء هالك إلاوجهه له الحكم واليه ترجعون ـ وإذا وصلتم إلى رسول الله ﷺ فاقرئوه منى السلام واقرئوا أولادى الحسن والحسين وأمهما فاطمة الزهراء منى السلام . ثم تقدم إلى باب السرب وهو ينشد ويقول :

عليكم سلام الله منى مجدد　　سلام محب لا يزال مدى الدهر
سلام على الزهراء فرع نبينا　　فلست بناسيها إلى موقف الحشر
سلام على الحسنين سبط محمد　　فحبهما مازال يشرح لى صدرى
وان كان قد آن الرحيل أو قد دنا　　فراقى لمن أهوى ففينا القضا يجرى
عليهم سلام الله فى كل ساعة　　يفوح كنشر المسك أو خالص العطر

(قال الراوى) ثم إن الامام رضى الله عنه دخل السرب فسمعه الناس عند نزوله يقول بلوامع الأبراق من نور الجبار اطفئ نار المردة الأشرار وأزجرهم بأسماء الله الكرام الشريفة المنيعة وسر أقسام الله الغالية المرفوعة يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ثم غاب فى السرب فلم يسمع له أحد كلاما فلم تكن إلا ساعة وقد لاح للناس الشرار من الجانب الآخر من السرب وهو يتساقط يمينا وشمالا وقد سمعوا من داخل السرب صياحا وضجة ولم يزل مناديا وقد خمدت الأصوات وانقشع الدخان وزاد الشرار ولم يسمع الناس للامام كلاما بعد ذلك ولم يعرفوا له خبرا . وقد انتظر الناس رجوع الامام فلم يرجع فقلق الناس لذلك قلقا شديدا وماج العسكر بعضه فى بعض وهم ينظرون إلى الحصن وهم ما بين متضرع وداع والناس يسيرون من فم السرب الى المكان الذى فيه العسكر ولا يطيب لأحد منهم كلام ولا يقر لهم قرار وكل منهم قلق على الامام رضى الله عنه ولم يزالوا كذلك الى أن مضى من الليل الثلث فبينما القوم فى أشد القلق (قال الراوى) وإذا هم يسمعون صوت الامام رضى الله عنه ينادى من أعلى الحصن وهو يقول نصر من الله وفتح قريب فعند ذلك أجابه أصحابه بالتكبير وقد اطلقوا له الأعنة فتقاربوا من باب الحصن

حتى سمع الاصوات من داخل الحصن وهم ينادون الأمان الأمان يا أبن أبى طالب والامام يناديهم إلى أين ياأولاد اللئام فوالذى بعث ابن عمى بالحق بشيرا وتذيرا ماأرجع عنكم بمشيئة الله حتى أبدد جمعكم وأشتت شملكم وأقتل رجالكم وشجعانكم وفرسانكم ثم وضع فيهم السيف وصار يضرب يمينا وشمالا فتكاثر القوم عليه فصار يجمعهم بحجفته ويدفعهم فيكردسهم فينزلون إلى أسفل الحصن فيصيرون هشيما فأهلك منهم خلقا كثيرا ورأوا منه مالا طاقة لهم به فعند ذلك صاح من بقى منهم الأمان الأمان يا أبن أبى طالب . فقال لهم الامام رضى الله عنه : لا أمان لكم عندى حتى تقولوا كلكم لا اله الا الله محمد رسول الله وتلقوا أسلحتكم ويكتف بعضكم بعضا

(قال الراوى) فعند ذلك ألقى القوم أسلحتهم من أيديهم وأقبلوا يكتف بعضهم بعضا ولم يبق منهم احد الا وأوثقوه كتافا فانحدر الامام من أعلى الحصن الى أسفله وعمد الى باب الحصن وفتحه وقال لأصحابه ادخلوا وكبروا معى على بركة الله وتوفيقه وعونه فكبر القوم ودخلوا بأجمعهم فرحين مسرورين وهزوا أسيافهم وهموا فى العسكر بالقتال فلم يجدوا فى الحصن مدافعا ولا ممانعا فقال لهم الامام رضى الله عنه اغمدوا سيوفكم بارك الله فيكم ادخلوا آمنين على انفسكم وانظروا أهل الحصن كيف صار حالهم فدخل أصحاب الامام آمنين فوجدوا أهل الحصن بعضهم قتيلا وبعضهم مجندلا وبعضهم أسيرا فقال ناقد والله يا أبا الحسن انك لم تفتح لنا باب الحصن حتى لم يبق فى القوم لك مطالب ولا معاند والله انك لجسور على الأهوال وبمثل افعالك تضرب الأمثال بأبى انت وأمى ياأمير المؤمنين وما فعل بعدو الله هجام بن خالد فقال ياناقد ان هجاما نزل به الحمام من كف الأسد الضرغام والبطل المقدام القرم الهجام ليث بنى غالب أمير المؤمنين على بن أبى طالب

(قال الراوى) ثم ان الامام جلس يحدث ناقدا بما جرى له فى السرب مع المردة ثم مع عدو الله هجام وذلك أنه لما رأى الامام وسمع المنادى ظن هجام انه الامام ثم بعد ان طلع من السرب ودخل الحصن وهو قاصد القبة التى فيها عدو الله هجام فاذ هو به نائم كأنه قطعة من جبل على الفراش المكى فوقف الامام رضى الله عنه عند رأسه ورفصه برجله ولم يعجل عليه بالقتل بل أيقظه على مهل وقال له قم ياويلك هل أمنت وتحصنت بغرور الشيطان ها أناعلى قد أوصلنى اليك الرحمن فقال له ومن أين جئت وما تصنع فقال له جئت اليك ياعدو الله اقبض روحك وأعجل دمارك ودمار قومك وألا روح

إلاأن يوصلني ربي إلى الملك الهضام وإلهه المنيع وأحرقهم فى نارهم التى صنعوها فقال هجام ياابن أبى طالب من أين دخلت علي ومن أين نزلت أمن السماء نزلت أم من الأرض خرجت فقد زاد سحرك على السحرة ومكرك على المكرة

(قال الراوى) فغضب الامام رضى الله عنه غضباً شديدا من قوله وهم أن يعلوه بالسيف فقال له هجام ياابن أبى طالب ماأنت بهذا موصوف ولا بهذه الفعال معروف فان العرب تذكر عنك أنك تساوى الأقران وتنصف طالبك فى الميدان وأناماأراك الا ملكتنى غدرا وخدعتنى قهرا فقال الإمام وما الذى تريد منى ياعدو الله وعدو رسوله وعدو نفسه فقال له هجام أريد منك ياابن أبى طالب أن تصارعنى فان قدرت علي فلاتبق فقال له الامام لك ذلك ياهجام وكان عدو الله عظيم الخلقة كبير الجثة قوى الساعد شديد البأس وكان إذاضرب الحجر بصدمته يرعده وكان عدو الله يصرع الرجال بصدمته فتحزم وتشدد وتمنطق وهو يظن انه ظافر بالامام وشمر عن ساعديه فوثب اليه الامام وداخله وقبض على جنبيه بيديه ورفعه الامام من فوق رأسه وجلده على الأرض فتلاصقت أضلاعه وتكسرت فى جوفه فوقع على الأرض ولم يتحرك وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار وهلك من وقته وساعته

(قال الراوى) ثم ان الامام رضى الله عنه تقدم اليه وقطع رأسه وأخذها فاستقبلته امرأة هجام وقالت له مافعلت يارسول المنيع فقال لها الامام فعلت ماأمرت به وأنجزت ماجئت اليه ثم خرج من وقته وساعته وطلع الى أعلى الحصن ورأس عدو الله هجام فى يده فأول من لاقاه عطية بن مساور الباهلي وكان قريباً لهجام فلما نظر الى الامام ظن أنه هجام فقال أنا المقدام مفلق الهامات ومفرج الزحام ومفرق المواكب عند مايشتد الكرب ويعلو القتال فقال له ماالذى فعل بهجام فانى لاأعرف هذا الكلام فقال له الامام ادن منى ياملعون حتى أخبرك بما فعل بهجام فتأمله فاذا هو الامام رضى الله تعالى عنه فلما تحققه وعرفه هم أن يطعنه فزاغ عنها الامام وضربه ضربة هاشمية فنزلت فى صدره وبدنه فتجندل سريعاً يخور فى دمه وعجل الله تعالى بروحه الى النار وبئس القرار

(قال الراوى) فلما سمع القوم حس الضربة تواثبوا من مراقدهم قياماً على أقدامهم وقالوا بأجمعهم من الضارب ومن المضروب فقال لهم الامام رضى الله تعالى عنه أما الضارب فهو ممزق الكتائب ومظهر العجائب ومبدى الغرائب الغيث السا كب

والنجم الثاقب والأسد الطالب والقرم الغالب ليث بنى غالب أمير المؤمنين على بن أبى طالب وأما المضروب فهو صاحبكم عطيه بن مساور الباهلى وهذه رأس صاحبكم وكبيركم هجام وقد عجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فلما سمعوا ذلك من الإمام ماج بعضهم فى بعض وحملوا بأجمعهم على الإمام حملة واحدة . فحمل الإمام عليهم حملته المعروفة فى قبائل العرب فارتفع الصياح وكثر الصراخ وتبادر القوم إلى باب الحصن فوجدوه مغلوقا على حالته موتوقا بأقفاله فطاشت عقولهم وذهلوا وحاروا واندهشوا فتكاثروا على الإمام فناداهم إلى أين بالثام ياأولاد الثام فو الذى بعث ابن عمى بالحق بشيراً ونذيرا ماأرجع عنكم إن شاء الله تعالى حتى أفنيكم بالسيف عن آخركم أو تقولوا بأجمعكم : لا إله الا الله محمد رسول الله فلما سمعوا ذلك قالوا بأجمعهم نحن نشهد أن لا إله الا الله وان محمدا رسول الله فقال لهم الامام لا أمان لكم حتى يكتف بعضكم بعضاً فاجابوه وأوثقوا أنفسهم كتافا ودخل أصحاب الامام رضى الله تعالى عنه فوجدوا أهله قد أمنوا ولم يبق لهم حركة ونظر وهم على أقسام : قسم قتيل وقسم مأسور .

(قال الراوى) فلما رأى ذلك ناقد أحمر وجهه بالفرح والسرور ثم قال الحمد لله والشكر الجيل للذى يسر علينا العسير وردك علينا سالما ياأبا الحسن ثم ان الامام أقبل على أصحابه وقال لهم معاشر الناس أجمعوا لنا ما بقى فى الحصن من النساء والأولاد والأسارى لنفصل معهم امرنا قبل الصباح فان جيوش الملك قد قربوا منا فتفرق القوم فى جوانب الحصن وأخذوا يجمعون النساء والصبيان ومن بقى أسيراً من الرجال فتمثل الجميع بين يدى أمير المؤمنين رضى الله تعالى عنه فعرض عليهم الاسلام وقال لهم اختاروا لكم واحدة من اثنين : إما أن تقولوا : نشهد أن لا إله الا الله وان محمدا رسول الله وإلا أفنيتكم عن آخركم فقالوا ياابن أبى طالب أنا لانعرف لنا إلها غير المنيع ولا نفارق دينه ولا عبادته من حين ما أظهر لنا من آياته ومعجزاته ودلائله فوحقه لانتبعك ولا نركن اليك ولا الى ابن عمك محمد أبدا وافعل بنا ماشئت فقال لهم الامام رضى الله تعالى عنه إن الله غنى عن العالمين .

(قال الراوى) ثم أن الامام جلس متوركا كالأسد ذا عاين فريسته ثم قال لأصحابه دونكم واعداء الله فلا تبقوا على أحد منهم وأنا كذلك معكم وقولوا معى الله اكبر فتح الله ونصر وخذل من كفر . نصر من الله وفتح قريب ـ إن الدين عند الله الاسلام فلم يكن الا كلمح البصر حتى قضوا عليهم جميعاً ولم يبق فى الحصن المشرف من أصحاب

اشرف من أصحاب هجام لاكبير ولا صغير ولا امراة ولا بنت ثم أن الإمام أقبل على أصحابه وقال لهم ياقوم تفرقوا فى هذا الحصن واجمعوا الأمتعه والأسلحه والأسلاب وجميع ماتجدونه من المتاع فمضى أصحاب الامام رضى الله تعالى عنه وتفرقوا فى الحصن وجمعوا ما كان فيه فأخذوه ووضعوه فى قلعة هجام ابن أسد الباهلى وختم عليه ثم أنه عمر الحصن المشرف بقومه من المسلمين الذين معه وأمر عليهم عون بن صفوان الباهلى وأوصاهم بحفظ الحصن وحفظ مافيه من الأموال والأمتعة وغير ذلك وأقام القوم فى الحصن إلى آخر الليل ثم تفكر الامام فى العواقب فأمر أصحابه بالخروج من الحصن فخرج الامام وخرج اصحابه الى أن أتوا إلى المكان الذى كانوا فيه أولا فلما نزلوا وتكاملوا تولى الإمام حرس القوم بنفسه فلما كان وقت السحر وهو يحوم حول أصحابه كالراعى الشفوق على أغنامه وإذا هو بثلاثة فوارس مقبلين على جادة الطريق فلما تحققهم ترك اصحابه واطلق عنان جواده اليهم من قبل ان يصلوا الى عسكره فلما وصل اليهم قال لهم من أنتم ياوجوه العرب ومن أين أقبلتم والى أين تريدون فظنوا أنه من الحصن المشرف فقالوا له نحن طليعة من جيش الهضام قد قدمونا لنأخذ لهم خبر هذا الغلام على بن أبى طالب . وقد كان بعث قبلنا طليعة مع حويرثة بن أسد وهى أربعة آلاف فارس ليأخذوا له خبر هذا الغلام وإلى أين وصل ، فهل عندك عنه خبر ياهذا فقال لهم الامام بئس الأخبار وأقبح الآثار : أما حويرثة فانه اسلم واقر لله بالوحدانية وهاهو معنا مسلم وأما أصحابه فقد قتلوا عن آخرهم وأما على فهو أنا الذى أكلمكم وأنتم بين يديه .

(قال الراوى) فلما سمعوا ذلك ذهلوا وهموا بالفرار فلوى الامام على واحد منهم وضربه بالسيف فوقعت الضربة على رأسه ووصل السيف إلى صدره ولم يزل الى أن قطع السرج وقطع ظهر الحصان فتكردس مع فرسه إلى الأرض وكل منهما قطعتين ثم هم لامام بالاثنين الآخرين فقالوا ياابن أبى طالب ابق علينا فقال لهم الامام لن يجيركم من سيفى إلا أن تقولوا: لا إله الا الله محمد رسول الله فلما سمعوا ذلك قالوا نحن نشهد أن لا إله الا الله وأن محمـــدا رسول الله ففرح الامام باسلامهم ثم سار الاثنان بين يديه فأتى بهم الى عسكره وسألهم عن حالهم وخبر الملك الهضام فاخبروه خبر الطليعة التى أرسلها أمامهم وهى عشرة آلاف فارس أبطال عوابس وانهم قاصدين الامام فقال لهم الامام ياقوم تأهبوا للرحيل ثم تقدم واذن للفجر وأمر

الناس بالصلاة ثم تقدم وصلى بهم صلاة الصبح فلما فرغ من صلاته أقبل على أصحابه وقال لهم ياقوم اركبوا خيولكم واستعدوا بالة حربكم وارتحلوا على بركة الله وعونه ثم ركب الامام رضى الله عنه أمام القوم وجعل يقول :

أنا على عابد الجبار	أنا ابن عم المصطفى المختار
أنا المسمى بالفتى الكرار	انا نقمة الله على الأشرار
أبيد بضرب ذى الفقار	الجالب الويل مع الدمار
لأمحون الهام بالشفار	حتى يسير الدم كالبحار
وصل يارب على المختار	زين البرايا صاحب الأنوار

(قال الراوى) ومازالوا سائرين إلى وقت الظهر والامام رضى الله تعالى عنه أمام القوم : فبينماهم كذلك إذا هم أشرفوا على عسكر جرار كالبحر الزاخر وله صياح طالع وغبار ساطع وأسنة لها ضياء لامع فالتفت الامام لقومه وقال أتاكم عسكر جرار ولا شك أن هذين الاثنين ورفيقهما الذى قتلناه كانوا طليعة هؤلاء القوم وأنا أكون طليعتكم إن شاء الله تعالى ثم أطلق عنان جواده وتقدم منفردا بنفسه إلى أن قرب من القوم فناداهم برفيع صوته معاشر الناس اعلوا رءوسكم وأخبرونا عن مرادكم وإلى أين قصدكم ؟ قالوا له ياهذا نحن من جيش الملك الهضام قد أرسلنا نقاتل هذا الغلام على بن أبى طالب فقال لهم ياقوم أنا قاصدكم ومريدكم أنا على بن أبى طالب فها أنا بين أيديكم ثم حمل على الخاطب وضربه بذى الفقار على رأسه ففى الحين نزل السيف الى السرج والحصان فتكردس مع جواده صريعاً يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار

(قال الراوى) ثم كبر الامام وحمل على القوم وحملوا عليه فحضر أصحاب الامام وحملوا فى أثره وقد ارتجت الأرض بالتكبير وتصايح الجيشان واقتتل الفريقان قتالا شديدا حتى خاضت الخيل فى الدماء فلم يكن غير ساعة حتى كثر المسلمون وكسروا المشركين ومال فيهم الامام وحمل عليهم حملة علوية هاشمية وصاح بهم الى أين ياأولاد اللئام فلم تكن الاهنيهة وقد ولى المشركون الأدبار وركنوا الى الفرار وأخذهم السيف من جميع الجهات والأقطار فقال لهم الامام يامعشر الأراذل قولوا لااله الا الله محمد رسـول الله تكونوا من الفائزين وعن النار مبعدين والى الجنة مقربين فلم يقل أحد منهم لا اله الا الله وقالوا يا ابن أبى طالب ما نتبعك ولا نترك الهنا المنيع لا كان ذلك

ذلك أبدا ولو قتلنا عن آخرنا وكان عدتهم عشرة آلاف فارس

(قال الراوى) فلما سمع الامام رضى الله عنه ذلك قال لأصحابه دونكم ياقوم وأعداء الله فلا تبقوا منهم أحدا أبدا فمكن المسلمون السيف فيهم فقتلوهم عن آخرهم وقد حاز الامام رضى الله عنه جميع الأسلاب والأسلحة والخيول وبعث بها جماعة من قومه إلى الحصن المشرف وكانت غنيمة عظيمة وأقام الامام بقومه بقية يومه فى مكان الواقعة وبات تلك الليلة فلما برق ضياء الفجر وأذن الامام وصلى بالناس صلاة الصبح أقبل عليهم وقال معاشر الناس إن هذا عدو الله الهضام قد خرج اليكم بجنوده وعساكره وقرب اليكم وانه لم يبق بيننا وبينه غير مسيرة الراكب المجد يوم وللماشى يومان ومعه مائة ألف فارس غير ما اجتمع اليهم بعد مسيرهم وانما قدم اليكم هذه العشرة آلاف فارس فأظفركم الله بهم وأقدركم عليهم وملككم متاعهم وجميع ما كان معهم فما الذى ترونه من الرأى هل نسير اليهم أو نتمهل الى أن يسيروا الينا مع أن سيرنا اليهم وهجومنا عليهم أهيب وأوقع فى قلوبهم فما أنتم قائلون فانى لا أفعل شيئا الا بمشورتكم ولا أخالفكم ولا أحملكم ما تطيقون فقالوا بأجمعهم ياابن عم رسول الله افعل ماتختاره وتريده ودبر أمرك كيف شئت فانا لكلامك سامعون ولأمرك مطيعون ومبادرون غير مخالفين ان شاء الله تعالى

(قال الراوى) فأقبل ناقد وقال ياأبا الحسن أنت أعلم منا بالأمور وأخبر فمنك القول ومنا السمع والاجابة ثم أقبل حويرثه وجنبل الى الامام رضى الله عنه وقال ياأمير المؤمنين فان فى مسيرك الى أن يبعث الينا عدو الله طلائع متفرقة فيكون ذلك أهيب وأقرب الينا لأن جيوش الملك فى تكاثر من العدد وتزايد فى المدد وما من يوم الا وتأتى اليه الجيوش من جميع الأقطار ونحن يا أمير المؤمنين مطيعون لأمرك وتحت يدك فقال جنبل والله يا أمير المؤمنين ماأحب الا أن أكون معك وبين يدك أينما سلكت وأينما توجهت الا أن التأنى فيه خير الى أن تأتى عساكر وطلائع تباع مالنا معهم وبعد ذلك نسير الى جمعهم فجزاهم الامام خيرا واتبع كلامهم .

(قال الراوى) ثم أذن الامام رضى الله عنه فنزل القوم واستراحوا ولم يزل الامام مقيما الى وقت العصر فلم يأت اليه أحد فارتحل بالقوم وسار وجد فى المسير الى أن وصل الى الحصن الأسود فنظر اليه الامام فاذا هو كأنه قطعة من الليل الدامس فتأمله الامام رضى الله عنه فاذا المشركون قد تحصنوا فيه وأشهروا سلاحهم ورفعوا

راياتهم فلما أشرف عليهم عسكر الامام لم يكترثوا به لثقتهم بحصنهم وأن الملك الهضام سائر اليهم فعند ذلك نزل الامام بجيشه متباعدا ثم سار الامام وحده وسار الى الحصن فلما قرب من الحصن نادى يا معشر الناس ان كان لكم شفقة على أنفسكم ورغبة فى حياتكم فافتحوا لنا باب الحصن فان أنتم أبيتم ذلك فنحن نسفك دماءكم وننهب أموالكم ونسبي حريمكم ونقتلكم عن آخركم أو تقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله فان قلتموها فانا أكف عنكم الشر ويأتيكم منى الخير .

(قال الراوى) فلما سمعوا ذلك من الامام رضى الله عنه قالوا له بعد أن تصايحوا عليه بأعلى أصواتهم وقالوا أنت ياغلام اعتديت علينا حتى أتيت الى حصننا وتجارأت علينا بهذا الكلام لمن تكون أنت وما دينك توحق المنيع ما نعرفك فقال لهم الامام ياويلكم أنا صاحب حصن الوحوش وحصن رامق وحصن الصخر وحصن المشرفه أنا قاتل رجالكم ومفنى أبطالكم يا ويلكم أنا ممزق الكتائب ومظهر العجائب ومبدى الغرائب الليث المحارب والحسام القاضب البحر الساكب النجم الثاقب الأسد الطالب القرم الغالب الصنديد المحارب الفارس الضارب المذكور عند المطامع والمواهب فارس المشارق والمغارب ليث بنى غالب أمير المؤمنين على بن أبى طالب .

(قال الراوى) فعند ذلك أجابه صاحب الحصن الأسود وهو مساور السفاك الباهلى وقال يا ابن أبى طالب انا لنعلم ان انصرام عمرك ودنو أجلك هو الذى أوصلك الى ماوصلت وبلغك الى مابلغت وقد وقعت فى أوطاننا بهذه الشرذمه القليلة والعصابة اليسيرة وهذا الملك بطل مذكور وفارس مشهور وجميع القبائل اجتمعوا عليه وأتوا معه وقد دنا وصولهم اليك ويحدقون بك كاحداق بياض العين بسوادها وما أنت وقومك إلا كاقمة يأكلها أحدهم أو شربة يشربها وأما نحن فيقاتل بعضنا بعضا على خيلكم وسلاحكم وقسمناها قبل وصولكم الينا فلا تتعرض لقوم قد صرت أسيرا معهم وفى قبضتهم . فلما سمع الامام ذلك من عدو الله فار بالغيظ وغضب غضباً شديدا وقال ستعلم يا ملعون إذا تحققت الحقائق من يكون قسم صاحبه فانه ماعدل بى اليكم وأوقفنى عليكم إلا أنى أقدم اليكم الأعذار والإنذار . فان أبيتم فما على الرسول إلا البلاغ ، ثم رجع الامام رضى الله تعالى عنه الى مكانه وقد اصفر وجهه وتغير لونه من الغيظ فسأله الناس عن أمره وقالوا يا أبا الحسن مالنا نراك متغير اللون مصفر الوجه فقال لهم مما سمعت من عدو الله مساور السفاك من فوق جدار الحصن

وأنى لا أفارقه حتى يأذن الله سبحانه وتعالى وأظنه صاحبهم والقائم بأمر الحصن فوالله لو وصلت اليه لكان هان على فعله وكلامه ، ثم ذكر لأصحابه ماقاله عدو الله . ثم قال معاشر الناس أشيروا علي بما اصنع فاني اخشى من قدوم عدو الله الهضام قبل أن نملك هذا الحصن فانه حصن منيع وما فتحنا حصنا إلا والذى بعده اشد منه (قال الراوى) فقال له حويرثة ياأمير المؤمنين ان فتح هذا الحصن بعيد والوصول اليه صعب شديد لأن حجارته أشد من الحديد والماء عندهم غزير وطعامهم كثير وصاحبهم المتولى عليه صنديد وبطل جليد وفارس عنيد ولذلك سموه السفاك فهو المعروف بالسفك بين قبائل العرب لسفكه دماء الرجال وقتله الأبطال . ثم قال ناقد ياسيدى ان لم يفتح الباب لك وإلا أقمنا عليه إلى أن يأذن الله سبحانه وتعالى بفتحه لانه مبنى بحجر اسود إذا ضرب بالمعاويل يخرج منه شرار نار ولم تعمل فيه المعاويل شيئا وبابه وثيق لا تنقله الرجال ولا تحركه الابطال. فقال الامام اذا اذن الله سبحانه وتعالى بفتحه تهدمت اركانه وتساقطت حيطانه وتخلخلت جدرانه ثم تلا قوله تعالى ـ وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ـ فقال ناقد إنما نقتنا بالله وتوكلنا عليه . فقال الامام له امسك يا ناقد فأمسك ناقد عند ذلك عن الكلام ونزل بجنب الحصن بحيث لا تصل اليه سهامهم ولم يزل الإمام قائما الى وقت الزوال (قال الراوى) فبينما هو كذلك اذا اشرف عليه رجل راكب على مطية قد أرسل زمامها وطول خطامها وهى تخرق الأرض خرقا وتقطع البيداء قطعا الى أن وصل الى عسكر المسلمين فنادى برفيع صوته معاشر الناس أنى رسول اليكم من قبل فلان الأمان من أسيافكم ثم من سيف صاحبكم حتى ابلغكم مامعى من الرسالة فلما سمع ذلك الامام رضى الله عنه قال لك الأمان ولكن لا أمان الا لأهل الفضل والاحسان والجود والكرم فأناخ الرجل مطيته وقال له ظننت أنك صاحب الجيش وأصلك من قريش فقال الإمام نعم فقال أنت مشوش النعائم وفالق الجماهير الموصوف بالعظائم. فقال له الامام نعم فقال له لقد نالك ونال فيك أبو طالب والدك امنيته ولو أنه عاش الى ان يرى ايامك المشهورة ووقائعك المذكورة وما قد نلته من الشجاعة والقوة والبراعة لابتهج بك سرورا ولامتلأ قلبه منك حبورا ونورا ياابن عبد مناف أنه ينبغى للعاقل أن يبقى لرضاه من سخطه وخذنه من غضبه ويدع التعرض لعداوة من لا يعاديه فقد علمت أنك تعديت فيما فعلت وقتلت العرب

وأخذت مالهم حتى أنك هجمت عليهم فى ديارهم وهجمت على الملك وقتلت رجاله وفتحت حصونه وأخذت ماله وملكتهم وحولت رجاله عن دينه وأخذت أولاده فنهم واحد أدخلته فى دينك والآخر قتلته من غير ذنب ولا خطيئة سبقت منه اليك ثم أنك بعد ذلك سائر اليه وقد أخذت رجاله معك تريد بهم قتاله وأنت تعلم أن البغى مصرعة الرجال فطاوعنى فانى شيخ كبير قد عاركنى الزمان والدهور وشاهدت عظائم الامور ولو كنت تعرف مكانى ومقدارى على أقرانى وإنى أشير معك بمشورة الوالد على ولده أنك ترجع على أثرك فقد بلغت ما بلغت وصنعت ماصنعت فارسل أنت إلى الملك الهضام ماأخذته من ملكه وأنا أسأله أن يصفح عنهم فيما فعلوه من تغيير دينهم ولا يكلمهم لأجلك واطلب لنفسك نجاتها واعلم يا ابن أبى طالب انى تركت من ورائى مائة الف فارس يتسارعون إلى القتال ويتمنون الحرب والنزال والملك أطول منهم باعا وأشد منهم ذراعا وهذه الشرذمة التى هى معك كأكلة الجائع أو شربته فاقبل النصيحة وأنشد يقول :

إنى نصحتك يا ابن عبد مناف ... بالرفق فاقبل واعظ الأشراف
واسمع نصيحة من أتى بنصيحة ... فالدهر مايبقى له من صافى
ارجع كريما ناجيا ومسلما ... من قبل أن تلقى إلى الإتلاف

(قال الراوى) فلما سمع الإمام هذه المقالة من الشيخ اشتد غيظه وأطرق رأسه إلى الأرض مليا فظن الشيخ أنه قد انقطع عن الجواب فرفع الإمام رضى الله عنه رأسه إلى الشيخ وقال له ما اسمك أيها الشيخ ؟ فقال أنا اسمى موهوب فقال الإمام رضى الله عنه وكرم الله وجهه ياموهوب انى ماذهب عنى شىء من جوابك ولا انقطع عنى شىء من خطابك فانى تفكرت فى شىء لو أشرت فى الجواب لطال فيه الشرح والخطاب لأن الاختصار فى الأمور أقطع للشرور وانى ما فعلت هذا الا بأمر الله وأمر رسوله لأن الله أمرنا بجهاد الكفار وبقتال الأشرار حتى يقولوا : لا اله الا الله محمد رسول الله فانى خرجت من عند ابن عمى محمد وأنا لا أتكل على حولى ولا على قوتى وما ثقتى الا بربى فعليه اتكالى وهو عالم بحالى وبكل أمورى . وقد ملكت بعض الحصون وان شاء الله تعالى أملك باقيها فهل جئت ياشيخ فى شىء غير هذا فقال نعم معى كتاب فان شئت أدفعه لك والا فلا . فقال له الإمام رضى الله عنه نعم هلم بكتابك . فتقدم الشيخ وناوله الكتاب (قال الراوى) فأخذ الامام رضى الله الكتاب منه

وقرأه فاذا فيه مكتوب باسمك اللهم من صاحب الدار والقرار مميت كل جبار بالمرهف البتار ملك الملوك المذل لهيبته كل سيد وصعلوك الهضام بن عون بن غانم الباهلى الملقب بمرارة الموت إلى الحدث العصفور أو الطفل المغرور على ابن أبي طالب : أما بعد فان الذى فعلته ووصلت اليه وأدركته فيبقاء المنيع عليك وإحسانه اليك فلا تغتر بفعلك وإلا زحفت عليك بأسود زائرة ووحوش كاسره موقرة وأبطال للحرب متبادرة فيتركونك كلا شيء كان ولا بان وإن أنت أطعت وأتيت مع حامل هذا أبقينا عليك وأحسنا اليك فانظر لنفسك وتدبر أمرك وقد أعذر من أنذر فلما قرأ الإمام كرم الله وجهه ورضى الله عنه الكتاب وقع من يده من شدة الغيظ وصرخ فى وجه موهوب فبقى موهوب ينتفض كالسعفة فى الريح البارد فخر مغشياً عليه ، فلما أفاق من غشيته قال له الإمام قم ياويلك لولا أنك رسول لأبعثن رأسك لصاحبك فارجع اليه وقل له ليس عندى إلا السيف هذا وهز ذا الفقار فى وجهه فارتعدت فرائصه واصفر لونه وتغيرت حالته . فقال يا ابن أبي طالب لا تعجل علـى فانما أنا رسول . فقال له الإمام يا هذا قد سبق لك أمانى أيهددنى صاحبك وما يعلم أنى أشتهى القتال أكثر من أن يشتهى الظمآن الماء البارد وقد أمرنى الله سبحانه وتعالى أن أقاتل الكفار وأحل بهم الويل والدمار وأنزل بهم البوار .

(قال الراوى) فوثب موهوب قائما على قدميه وولى راجعاً من حيث جاء وهو لا يصدق لنفسه بالخلاص من بين يدى الإمام فصار يجد فى السير إلى أن وصـل إلى الملك الهضام فلما نظره عدو الله قال له ياموهوب أخبرنى ماقلت وما قيل لك فقال له أيها الملك هو قد جاوز المقدار ويرمى كل من يخاطبه بالنار وكلامه عـلى العدا لهيب ونار ويرى من بجانبه إذا تكلم كأنه الرعد القاصف إذا تقعقع أو الجبل الشامخ إذا انقطع وما كنت مصدقا أنى راجع من زجراته ونهراته وإنى قد جاولته محاولة المطارد أرجو بذلك رجوعه عما هو عازم عليه واليه قاصد فما رأيته يزداد الا غيظاً وحنقا وإنه لم يكن أهلا لرد الجواب ولا أبق موضعاً للخطاب فانظر ما أنت له صانع فان هذا الغلام همام وأسد ضرغام وقضاء نازل لا يرد ولا يقاوم .

(قال الراوى) فلما سمع الملك ماقاله موهوب جعل يعض عـلى أنامله ولحيته من شدة غيظه ثم جمع كبراء قومه وسادات عشيرته ووجوه أهل مملكته فلما أتوا اليه ووقفوا بين يديه قال لهم يا قوم ما تقولون فى هذا الأمر الذى وصل الينا من هذا

الغلام وان الملوك والسادات تقول فى شأن مجالها فأجابه كبراء قومه وقالوا أيها الملك الذى تراه برأيك السعيد هو الصواب . فقال لهم الرأى عندى ان أرسل له غماماً فى جيش عظيم فيأتى بهذا الغلام اسيرا فقالوا له نعم الرأى ايها الملك فالتفت الملك وقال ابن غمام ، فقال لبيك ماالذى تريد قال انتخب من قومك فرساناً شدادا وأتونى بهذا الغلام فعند ذلك انتخب من قومه سبعة آلاف فارس صناديد عوابس وساربهم نحو الامام رضى الله عنه فهذا ما كان من أمر الهضام وقومه.

(قال الراوى) وأما ما كان من أمر أمير المؤمنين رضى الله عنه فانه حين رجع من عنده موهوب إلى عدو الله الهضام جلس بين أصحابه يتحدث معهم وهم يحدثونه فلاح منه التفاته فنظر إلى غبار قد علا وارتفع حتى سد الأقطار ثم انكشف ذلك الغبار وبان عن كتائب . فقال معاشر الناس هذه كتائب قد أشرفت عليكم وليس هو العسكر الأعظم ولا شك انها طليعة اوسرية وكان الإمام قد عدل بأصحابه عن الحصن إلى أرض فسيحة تصلح للميدان ومجال الفرسان ولم يزل القوم سائرين إلى أن وصلوا إلى جيش الإمام فتأملهم الامام رضى الله عنه فعرفهم . فقال لأصحابه ياقوم ان هؤلاء سبعة آلاف فارس لايزيدون ولا ينقصون وغمام لم يقف بالقوم ولم يهيئهم للقتال ولم يرتبهم للنزال فلما رأى الامام ذلك قال لا شك ان هذا الغلام أو هج أو مجنون أو به اختلال .

(قال الراوى) ثم ان الامام اطلق عنان جواده وأشار لأصحابه فحملوا فى أثره وجعل الامام رضى الله عنه يقول : بسم الله وفى سبيل الله وعلى بركة رسول الله ﷺ فالتحم القتال وتواثبت الرجال والتقت الأبطال واشتبكت الرجال بالرجال وعلا الصراخ وكثر الصياح وصبروا صبرا الكرام واشتد الزحام وعلا القتال وانهشمت العظام وجرى العرق وكثر القلق وازورت الحدق وتحققت الحقائق وأمير المؤمنين رضى الله عنه يضرب يميناً وشمالا فلم تربين يديه الا قتلى مجندلة وقد دامت الخيل عليهم والامام ينادى : أنا الليث الهمام أنا الأسد الضرغام أنا البطل المقدام انا نسل الكرام انا فارس الآكام انا زوج البتول أنا ابن عم الرسول أنا سيف الله المسلول أنا ممزق الكتائب أنا مظهر الغرائب انا ليث بنى غالب انا أمير المؤمنين على بن أبى طالب .

(قال الراوى) فلما سمعوا ذلك هابوه ورموهم بالنبال وصار المسلمون يرمون بالأحجار فلم تبلغ أحجار المسلمين اليهم ولا اثرت عند أعداء الله وعدو الله

السفاك ينادى : ياابن أبى طالب تريد أن تمن علينا الآن وتقول لنا كلاما ليس له بيان وتملكنا بالزور والبهتان لتصير قومنا عبيدا لك ومن عتقائك وكان كل ذلك استهزاء بالإمام فلم يرد عليه جواباً ولم يبد له خطاباً وقد بلغ الغيظ من الإمام مبلغاً عظيما فبينما هم كذلك إذ لاحت لهم غبرة عظيمة هائلة فنظرها أصحاب الحصن قبل أصحاب الإمام فسكتوا عن الصراخ وانقطعوا عن الصياح وجعلوا ينظرون إلى الذى اتاهم وهم فرحون مسرورون والامام لا يعلم بشىء من ذلك بل انه انكر عليهم حتى قطعوا ما كان فيه من الصياح والصراخ فالتفت الامام إلى ورائه وكان كثير الالتفات فنظر إلى غبرة ثائرة وعجاجة متعلقة مرتفعة وخيول كثيرة وهى سائرة نحوه

(قال الراوى) فلما رآهم الامام نادى معاشر الناس قربوا من هؤلاء اللئام ودونكم والخيل يا بنى الكرام فعطف الناس على الحصن مسرعين وإلى الخيل مبادرين فاحتدت بهم العطعطة والصياح من أعلى الحصن فظن اللئام أن الامام رضى الله عنه هارب بأصحابه . فقال له مساور إلى أين تريد ياابن أبى طالب ، وقد جاء الملك لاستقبالك لما علم بقدومك . فلم يرد عليه الامام جواباً بل انه تقدم إلى جواده واستوى عليه راكباً وكثر الطعن والضرب حتى دار المشركون من حول الامام كالحلقة الدائرة فبينماهم كذلك وإذا بصائح يصيح بالامام فقصد نحوه . فاذا هو بناقد وقد كان ناقد قاتل فى هذا اليوم قتالا شديدا فبينما ناقد فى معمعة الحرب إذ عرفه عمه غمام رأس القوم فصاح به يا ناقد فقال ما تريد يا غمام ؟ فقال ويحك يا ناقد أنا عمك غمام . فقال له نعم أنت عمى وبقتلك أبرد قلبى وأكشف همى وغمى فغضب غمام من ناقد ابن أخيه غضباً شديدا وقال وحق المنيع لآخذنك قبل ابن أبى طالب وأكافئك على قولك ثم حمل عليه وهاجمه وهم أن يقتلعه من بحر سرجه فما أمكنه فبادره بضربة وظن أنه قد قتل منها فتلقاها ناقد فى الدرقة ولوحها قبل أن تصل اليه ولم يصبه منها شىء فلما رأى ذلك هجم عليه عمه غمام وهو لا يريد أحدا غيره فداخله وأراد أن يقتلعه من بحر سرجه وضرب بيده اليه وضرب الآخر يده على عمه وربطوا بعضهما فى سروجهما وتعاركا على جواديهما فبينما ناقد مع عمه غمام على هذه الحالة اذ سمع صوت أمير المؤمنين رضى الله عنه فصاح ناقد لأجل أن يعرف الامام مكانه وكان عدو الله رابطه فقصد الامام نحوه وإذا هو ناقد متشابك مع عمه غمام فناداه يا ناقد أبشر فقد أتاك الفرج من عند الله ومن أميرك

فلما نظر عدو الله هجمة الإمام عليه وسرعته اليه سبق ناقدا وتأخر الى ورائه وصرخ بقومه فمالت اليه الكتائب وتبادرت نحوه المواكب وخرج اليه مساور من الحصن بقومه وأنجده وقال للامام الى أين يا ابن أبى طالب من يخلصك منى وأين ابن عمك محمد هيهات هيهات ان عاد ينظر اليك بعد هذا اليوم .

(قال الراوى) فناداه الامام وهو مغضب وقال له ياعدو الله وعدو نفسه ادن منى حتى أعرفك مقدارك ثم بادر اليه وعطف بالهضمة عليه فمالت دونه الفرسان وبادرت اليه الشجعان ومنعوا بينه وبين الامام فرجع غمام إلى ناقد وهو معه فى المعركة وصار القوم فرقة تصرخ بناقد وفرقة تصرخ بغمام وفرقة تصرخ بمساور وفرقة تصرخ بالإمام فبينما هم كذلك واذا هم بصوت ناقد من تحت الغبار وهو يقول احضر الى يا أبا الحسن فقد غلبت عن نفسى وهم أن يملكنى عمى . فقال الإمام ياغمام تخل عن ولى الله فأنا على بن أبى طالب ابن عم رسول الله ثم مال الإمام نحوه فلما نظر غمام الى الإمام وحملته عليه أطلق ناقدا من يده وقال خذه ياابن أبى طالب هو هدية منى إليك . فقال له بل هو رغما عن أمك يا عدوالله . فقال ناقد سألتك بحق الله تعالى وابن عمك رسول الله ﷺ يا أبا الحسن الا ماتركتنى حتى أشفى غليلى وأبرد ما بقلبى منه بقتله فقال له ياناقد دونك وإياه فجرد ناقد سيفه وأراد أن يضرب عمه غماما فوثب اليه كالبرق وسبقه بضربة فتلقاها . ناقد بدرقته فلم يصبه منها شىء فصرخ به الإمام وحمل عليه فحمل أصحابهما معهما على الإمام وعلى أصحابه وتلاحم القوم وعملت الصوارم وقاتل عدو الله غمام قتالا شديدا وحملت الفرسان وبادرت الشجعان وتخضبت الأرض بالدماء وزحف عدو الله مساور وأصحابه نحو الإمام وعلى رأسه بيضة عادية وعليه درع من نسج داود عيه السلام وكان عدو الله قد خرج ذلك اليوم وبرز اليه وقد كان عدو الله أوصى أصحابه وقال لهم اذا رأيتمونى وقد وثب على على بن أبى طالب فانجدونى ثم حمل عدو الله على الإمام

(قال الراوى) فلما وصل عدو الله مساور بحملته على الإمام صرخ على الإمام فلم تؤثر صرخته فيه شيئا لما عليه من الهيبة والقوة فتقدم الإمام اليه وضربه ضربة هاشمية علوية وقال مع ضربته : الله أكبر خذها ياعدو الله من يد على ولى الله فتلقاها عدو الله فى درقته فقطع السيف الدرقة ونزل الى رأس عدو الله فجرحه

جرحا يسيرا . فلما أحس عدو الله بالضربة ولى هاربا وللنجاة طالبا فاستجار فى قومه فلما وصل اليهم قالوا ما رأيت من ابن أبى طالب قال لهم رأيت منه ضربات ها ثلاث وحق المنيع ماهى ضربات أنسى بل هى ضرب جنى ثم هم أن يولى بقومه هاربا إلى الحصن فلما نظر غمام وهو راجع بالهمة هو وقومه الى الحصن قال كن مكانك فكأنك يا أخى علقمة وقد أشرف علينا بسبعة آلاف فارس فلما سمع ذلك غمام سكن روعه وعاد الى القتال ومعه قومه فتقدمت الرغداء بنت الخطاف الى الإمام رضى الله عنه وقالت له يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن القوم تقدموا الينا فى المكان ومنعونا عن الجولان وأحدقوا بنا كاحداق بياض العين بسوادها أتأذن لى أن أحمل عليهم فأفسحهم عنا فقال لها الإمام رضى الله عنه احملى بارك الله فيك وأنا أحمل معك (قال الراوى) فكشفت الرغداء بنت الخطاف لثامها وأطلقت عنان جوادها وحملت على القوم وحمل الإمام معها وقال لها يا رغداء لا تخافى ومعك أميرك. فلما سمعت الرغداء ذلك من الامام صارت كالأسد إذا عاين فريسته وحطت فى القوم فصارت كل من ملكته تزيل رأسه عن جثته وجالت فيهم يمينا وشمالا حتى قتلت منهم مقتلة عظيمة فلما عاين المشركون ذلك منها قالوا لاصبر لنا على هذا ثم تأخروا الى ورائهم فصاحت بهم الى أين يا أولاد اللئام دونكم وموارد الحمام فتقدمت اليها الفرسان واحتاطت بها الشجعان وصار الإمام فى أثر الرغداء واحتاطت الرجال وكثر القتال وثار العجاج وارتفع الغبار وأظلم النهار وقال الامام رضى الله عنه قد رأيت حويرثة فى ذلك اليوم وهو قابض على سيفه وهو يجول يمينا وشمالا فأثر آثارا حسنة ولقد رأيت الرغداء فى ذلك اليوم وقد تخضبت بالدماء وهى تقول : شرب دماء الأبطال خير من الماء البارد الزلال هلموا الى المجال يامعاشر الارذال. ثم قال الامام رضى الله عنه مارأيت فى هذا اليوم أخف من الرغداء بنت الخطاف فى القتال ومبادرة النزال ولا أصبر ولا أسرع منها ضربا فى صدور الرجال حتى قد كان بعض القوم يظن أنها الامام من شدتها وقوتها وفراستها وشجاعتها رضى الله تعالى عنها ولعن أباها الخطاف (قال الراوى) ولم تزل الحرب بين الفريقين وازدادت العساكر ووقد الضرب والكرب وعلا الصياح بين الفريقين . فقال الإمام لأصحابه ياقوم ان هذه الساعة ينصرنا الله عليهم فاحملوا بارك الله فيكم واصدقوا الحملة بالضرب ودونكم ومواقع الطعان والحرب (قال الراوى) ثم حمل الامام رضى الله عنه وما زال حتى صار فى وسط المشركين فنظر

علما كبيرا هائلا كثير الجواهر واليواقيت وقد نظم رمحه من أعلاه الى أسفله باللؤلؤ الرطب فكان اذاطلعت الشمس اشرقت الأرض بنوره حتى كاد يخطف الأبصار وكان ذلك العلم أهداه صاحب عمان الى الملك الهضام فلمـــا أراد أن يخرج أخاه غمام الى الامام دفع اليه ذلك العلم وقال له ياأخى خذ هذا العلم معك لتفتخر به على ابن أبى طالب وليعلم أن ابن عمه محمدا وجميع من معه لا يقدرون على مثله وكان اذا سار نصف ذلك العلم على رأسه فأخذه غمام وسار الى الامام فتأمله الامام فى ذلك اليوم ونظر إلى حسنه ولمعان جواهره وإشراق يوافيته وطوله وعرضه وطنين الجلاجل التى فى جوانبه وهى جلاجل من ذهب خالص وكانت احباله من الابريسم موثوقه بجوانبه تحمله الرجال وتمسكه الأبطال فكان لا يطيق حمله الاعدة من الرجال لثقله واهتزازه واطرابه وإذا ركزوه وتفرقوا من حوله وجذبوه بأحباله من كل الجهات مثل الخيمة .

(قال الراوى) فلما نظر الإمام رضى الله عنه ذلك العلم وصفته قال لأصحابه ياقوم حملوا عليهم فانى حامل على صاحب العلم فعسى أن أملكه منه وأقتلعه من يده ان شاء الله تعالى فتقدم إليه ناقد وقال له وأنا معك يا أمير المؤمنين وتبادر القوم الى الإمام وكل منهم يقول وأنا معك يابن عم رسول الله والإمام يقول بارك الله فيكم فحمل الإمام وأصحابه على صاحب العلم وهو ينشد ويقول :

يارب فارزقنا من القوم العـــلم	وامنن ياذا الجلال والـــكرم
فانت رب المشعرين والحرم	وخالق الخلق وبارىء النسم
يارب طه المصطفى خير الأمم	أنعم به يا واهبـــا كل النعم
بحرمـة الهـادى النبى المحترم	صلوا عليه وسلموا خـــير الأمم

(قال الراوى) فلما فرغ الإمام من شعره حمل وقومه فى أثره الى أن وصلوا الى العلم فاذا هو مع رجل جسيم تام الخلقة طويل السواعد كأنه صخرة أو قطعة جلمود وهو قابض عليه والرجال متفرقون من حوله وبايديهم الأحبال التى وصفناها وقد أضاءت وجوههم من لمعان تلك الجواهر فلما وصل اليهم الإمام رضى الله عنه تصارخوا باجمعهم وصاح كبيرهم ياللعرب أنجدونى قبـــل أن يأخذ منكم العـــلم فتصارخت الرجال بالأمام من كل جانب ومكان وهو لا يلوى الى صراخهم ولا يلتفت اليهم ولا يعبأ من زعاقهم ولم يرجع عن الذى معه العلم حتى ضربه ضربة هاشمية علوية فقسمه قسمين ولم يتحرك ولم ينطق بكلام ولم يبرح من مكانه فمال العـــلم من يده

فلما رآه الذين هم ماسكون الأحبال تركوه وولوا هاربين فبادر الامام رضى الله عنه إلى العلم وأخذه قبل سقوطه الى الأرض ووضعه بين يديه فأسرع القوم إليه وهم يظنون أن لا يطيق حمله إلا الإمام ولما حمل العلم انطلق بهولوى عنان جواده الى قومه فلحقه غمام ومساور يتصارخون بالامام وكان قد خرج الامام بالعلم من بين المشركين ولم يزل يرمح جواده الى أن دخل الى وسط عسكر المسلمين فقال : الله أكبر وكبر المسلمون معه وفرحوا فرحاً شديدا حين اغتنمه المسلمون وكان أكبر غنيمة أغتنموها فى ذلك اليوم .

(قال الراوى) فلما أخذ العلم من المشركين تحسرت قلوبهم وخمدت حركتهم وانقطعت سورتهم وذهبت قوتهم وانقهر غمام قهرا عظيما حتى كاد أن يتفرقع من شدة غيظه وتغير لونه واصفر وجهه . فقال له مساور ياغمام ماهذا الهم والغم الذى داخلك وأخوك يأتينا من خلفهم ونحن نتفرق عليهم أحدنا يأتيهم من جانب والآخر من بين أيديهم ونحن نحجزه كلنا فهو لا يطير فى السماء ولا ينزل فى الأرض . فقال غمام وحق المنيع ان ابن أبى طالب لا يغلبه غالب ولا عاد يخلص هذا العلم من يده كل من فى الأرض جميعا ولو خرج اليه أخى الهضام فى جميع عسكره ولولا أن ابن أبى طالب منصور لما وصل الى ماوصل فالإليه حتار مساور من قول غمام وذهل من كلامه ثم أقبل الإمام على أصحابه وقال ياقوم أن هذا اليوم قد ولى بضيائه وأقبل الليل بظلامه وهاهى الشمس قد اصفرت للغروب فاحملوا بنا على القوم حملة رجل واحد فانا لا تأمن أن القوم عندما ينسدل الظلام ينهزمون الى الحصن ويتحصنون فيه فيعظم علينا الأمر فركب القوم خيولهم واشتدوا بأسلحتهم الى أن صاروا كالأسود المغلغلين الضاريه وقد اشتدعزمهم بأخذهم العلم ونصرهم عليهم .

(قال الراوى) فعند ذلك قال لهم الامام احملوا عليهم بارك الله فيكم وعليكم لحمل الامام وحمل القوم فى أثره فلم يكن الا كلمح البصر وقد انهزمت المشركون فولو الأدبار . وركنوا الى الفرار فأخذهم السيف من جميع الجهات والأقطار فتفرقوا يمينا وشمالا وقد عمد غمام ومساور الى الحصن ومعهم فئة قليلة من قومهم والامام فى أثرهم يحصدفيهم الى أن أيقنوا بالهلاك فدخلوا الحصن وهم لا يصدقون بالدخول فغلقوا الباب وتركوا اصحابهم خارج الحصن وكان من الحجر الأسود لا تعمل فيه المعاول فلما أوثقوا الحصن بالترابيس رجع الى من كان من خارج الحصن ومكن السيف فيهم

فقتلهم عن آخرهم وتفرق المسلمون وراء المنهزمين وصاروا كل من لقوه قتلوه وأخذوا سلبه وفرسه ولم يزالوا كذلك إلى أن انسدل الظلام وفرق بينهم الليل ثم أتى المسلمون إلى الامام فوجدوه قد أفنى من كان قصد باب الحصن عن آخرهم فاقبلوا من جميع الجهات واتوا إلى باب المعركة وأخذوا جميع ما كان على المشركين وقرنوا الخيل بالخيل وحملوا عددهم على الرواحل وقد أقر الله أعين المسلمين بقتل ملكهم وعدوهم وملكهم خيولهم وعددهم وأخذوا الغنيمة ودفعوها إلى الحصن المشرف وارتدوا سالمين وفرح المسلمون بذلك فرحا شديدا .

(قال الراوى) ثم نزل الامام متباعدا عن الحصن وفى قلبه هم وغم من اتخاذ أعداء الله إلى الحصن فجعل يفكر فى حيلة يملك بها الحصن قبل وصول الجيش اليه وقد قدم الامام رضى الله عنه فطوره فلما فرغ من فطوره أمر أصحابه جميعا بالسهر وترك المنام وقال يا معاشر الناس عليكم بقراءة ماعندكم من القرآن والدعاء إلى الملك الرحمن فان هذه الليلة أعظم مما تقدم لكم من الليالى لأننا قريبون من جيش الملك ولا نأمن أن يخرج علينا هذان الفاجران اللذان فى هذا الحصن بمن معهما ويدهمونا فى ظلام الليل فاذا هجم عليكم النوم فليحرس بعضكم الآخر فاذا انتبه النائم يحرس الآخر حين ينام وها أنا أطوف عليكم واشتغلوا بالقرآن والذكر والصلاة على النبى ﷺ فيمنعكم من الرقاد والمنام وكان الامام شهى النغمة وحسن الصوت فيجدون لسماع قراءته لذة وحلاوة وجعل الامام على رضى الله عنه يطوف بأصحابه وقد مضى من الليل نصفه .

(قال الراوى) فبينما هو على ذلك وإذا بشخص لاح له على بعد وهو يظهر تارة ويختفى أخرى فتأمله الامام رضى الله عنه فلما تحققه الامام عرفه وسبقه إلى موضع الوقعة وألقى نفسه بين القتلى إلى أن وصل الشخص وهو يلتفت يمينا وشمالا وهو يقول مالى لا أرى هنا عسكرا فوثب الامام رضى الله عنه اليه كأنه البرق الخاطف ولوح السيف فى وجهه فزعق وهم أن يولى هاربا فتعرض له الامام وقال له إن تعرضت أو نطقت قطعت رأسك بسيفى هذا فعند ذلك شخص الرجل وقال من أنت أيها الشخص العظيم والرجل الجسيم فقال أنا سيد الفرسان وقاتل الشجعان ممزق الكتائب ومظهر العجائب ليث بنى غالب أمير المؤمنين على بن أبى طالب فلما سمع ذلك من الامام لم ينطق بكلمة واحدة وصار يرتعد كالسعفة فقال له الامام رضى الله عنه لا تخف وطمن نفسك وطيب خاطرك

(قال الراوى) ثم ان الامام اخذه بيده كالطفل الصغير فى يد أبيه إلى أن أتى به إلى أصحابه . فعند ذلك قال له من أين أقبلت ومن أى قبيلة أنت وفى أى شيء جئت فأخبرنى ما اسمك فان صدقتنى عن طيب نفسك فلا أكلمك ولا أمد يدى اليك بالخير إلا بالخير وان كذبت وزدت فى المكر والخديعه فلا يحيق المكر السيء الا بأهله فعند ذلك قال له الرجل ياسيدى أنا أصدقك الحق وها أنا بين يديك فافعل بى ماشئت أعلمك يا مولاى أنى رجل من أهل هذا الحصن وما خرجت اليك إلا كرها . قال له من ألزمك الخروج كرها قال يا ابن عم الكرام لى الامان اذا قلت فقال له الامام نعم وحق ابن عمى محمد ﷺ ان صدقتنى فلك الأمان والسلامه فقال الرجل أعلمك يا أبا الحسن أن غماما أخا الملك لما هرب ودخل الى الحصن صرخ بأصحاب الحصن فاجتمعوا حوله ، فقال لهم ياقوم انى سبقت أخى علقمة على أنه يلحقنى ومعه سبعة آلاف فارس وقد أبطأ حضوره وخفى على أثره وقد تركت قومى فى الحرب ودخلت الى هذا الحصن وما أدرى ما كان منهم ان كانوا هربوا على وجوههم أو استووا على أماكنهم فهل فيكم أحد فى هذا الليل ينظر ما كان منهم ويرجع الى بخبرهم فسكت القوم ونظر بعضهم الى بعض ولم يقدر أحد منهم يخرج خوفا وفزعا منك .

(قال الراوى) فقال القوم أيها السيد وقيت الردى وكفيت شر العدا ، ومن الذى لا يخاف من البلاء النازل والموت الفاصل فاشار الى غمام والزمنى بذلك كرها وقال لى أخرج والا قتلتك وذبحت أولادك بين يديك ونكستك على أم رأسك من فوق هذا الحصن فدخل على الاشفاق على نفسى وولدى فخرجت اليك خوفا مما ذكرت لك وها أنا بين يديك فان مننت فطالما أحسنت . وإن أهلكت فما أنا متعرض لك فيما فعلت ، فعند ذلك تبسم الامام رضى الله عنه من قوله وفرح فرحا شديدا وقال له من أين نزلت أمن الباب خرجت فقال له وحياتك يامولاى انهم من حين دخلوا الحصن هربا منك وأغلقوه بالأقفال والترابيس ما جسروا ان يفتحوه خوفا منك يا ابا الحسن وانما اوثقونى بالأحبال وارسلونى من اعلى الحصن .(قال الراوى) فلما سمع ذلك الأمام منه قال له وكيف تصنع حين يرفعونك اليهم اذا رجعت فقال يا ابا الحسن انهم عهدوا الى بعلامات جعلوها بينى وبينهم اذا رجعت اليهم آخذ حجرا من الحجارة وانقر به جدران الحصن ثلاث نقرات فاذا سمعوها علموا انى صاحبهم فيرسلون الى الاحبال فاوثق بها نفسى ويبقى بينى

وبينهم علامة أخرى ، وهو أنى أجر الأحبال ثلاث مرات على الحائط فعند ذلك يرفعونى اليهم . فقال الإمام رضى الله عنه لما سمع ذلك الله أكبر — نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين — ثم التفت له وقال ما اسمك ياهذا ؟ قال اسمى غالب فقال له الإمام قم يا غالب وانزع ثيابك ؟ فقال له وما تريد بثيابى ، فقال له الامام ان لى فيها مأرباً فعند ذلك نزع غالب ثيابه وهو يظن أن الإمام يقطع رأسه وقال بحق ابن عمك محمد لا تقتلنى فان لى أولادا صغارا ولى والدة قد أبادها الزمان فقال الإمام ياغالب لك الأمان ولأمك وأولادك فطيب خاطرك وقر عينك فلا ينالك وأمك منى إلا الخير فلماسمع ذلك غالب طابت نفسه واطمأنت وسكنت روعته وزال عنه ما كان نزل به من الخوف والفزع وناوله ثيابه وكانت قديمة خلقةونزع عمامته وناوله إياها فأخذها الإمام ولبسها وتقلد بسيفه من تحت اطماره وأقبل على أصحابه وسلم عليهم وأمر عليهم ناقدا وجنبلا والرغداء وخالدا وأوصاهم بحفظ العسكر وجميع مامعهم .

(قال الراوى) فأقبل ناقد على الامام رضى الله عنه وقال له ياأبا الحسن إلى أين تريد قال له إلى الحصن إن شاء الله تعالى فقال له ياسيدى لا تغرر بنفسك وترميها فى المهالك فطريق ما طلبت غير سالك كيف ترمى نفسك فى وسط حصن مملوء رجالا وأبطالا وقوما لئاما وهذا ما لأحد إليه وصول كيف تريد أن تهجم على قوم من أشد أعدائك وتصير بينهم وحيداً فريدا فقال له الامام يا ناقد لا تخف على أميرك فوالذى بعث ابن عمى بالحق بشيرا ونذيرا لو ألقيت نفسى بين الانس والجن لم أمت ولى شىء من أجلى فان الله تعالى قال فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون — وإنى ياناقد واثق بماضمن لى ابن عمى وبما بشره الله من كلاءتى وحفظ رعايتى ثم أقبل على أصحابه وقال ياقوم كونوا على خيولكم وتقربوا من الحصن فاذا سمعتم نداء فأتونى مسرعين ولتكن منكم جماعة ينظرون صوب الطريق فاذا أشرف عليكم جيش ووصل اليكم فأعلنوا بالتهليل والتكبير فأنى أسرع اليكم إن شاء الله تعالى ثم سار إلى جهة الحصن والقوم يتعجبون مما عزم عليه فقال له غالب ياابا الحسن تريد أن تصعد الى القوم وليس معك معين يعينك ولا ناصر ينصرك فقال الامام يا غالب إن معى ربى يسمع ويرى وهو بالمنظر الأعلى أتظن يا غالب أنى أثق بجند من المخلوقين بل إن معى رب العالمين يعينى وينصرنى وهو خير الناصرين .

فعندذلك قال يا أمير المؤمنين أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله آمنت

بربك وبمحمد صلى الله عليه وسلم فسر الامام بذلك سرورا عظيما ثم صلى ركعتين شكراً لله تعالى قبل مسيره ومرغ خديه على الثرى وابتهل إلى الله تعالى بالدعاء .

(قال الراوى) ثم سار الامام وهو غير مكترث إلى ان وصل الحصن وكان غالب قد وصف له الموضع الذى نزل منه هذا واهل الحصن منتظرون رجوع غالب وغمام ومساور واقفان على أقدامهما ينتظران قدوم غالب وما يكون من خبره فبينما هم كذلك إذ لاح لهم خيال الإمام رضى الله عنه وهو مقبل فظنوا أنه صاحبهم فقال مساور يا غمام قد جاء رسولك وأرجو أن يكون جاء بسرورك وما زال الإمام سائرا إلى أن جاء الحصن فأخذ حجرا ونقر به جدران الحصن ثلاث نقرات متواليات فلما سمع القوم نقر الحصن أيقنوا أنه غالب فأرسلوا اليه حبلا من ليف النخل فأخذه الإمام وشد وسطه به ويتفكر كيف يطيقون حمله وخشى أن ينكروه اثقله فلما مكن الإمام نفسه بالحبل صبر وحمد الله تعالى وحرك نفسه بالحبل ثلاث مرات فأيقنوا أنه صاحبهم غالب فجروه فلم يستطيعوا أن يحركوه فقالوا ان هذا ثقيل علينا أثقل من المرة الأولى فقال لهم مساور لا شك أنه كسب من مكان الوقعة وحمل نفسه من الأسلحة والدروع فأرسلوا اليه حبلا آخر وأجمعوا عليه الرجال وقالوا اطلعوه من قبل أن يسمع بنا ابن أبى طالب فيأتى إلينا فلا حاجة لنا به .

(قال الراوى) فارسلوا اليه حبلا ثانيا فجر نفسه معهم فهان عليهم ومازال كذلك إلى أن وصل إلى أعلى الحصن برأسه حتى لا ينظروا وجهه فيعرفوه ومازالوا كذلك الى أن وصل الى أعلى الحصن ووقف على رجليه فتقدم اليه مساور وقال له ما أبطأك وما كان من أمرك وخبرك ياغالب فرفع الامام رأسه اليه وقال له ياويلك ما أنا غالب بل أنا على بن أبى طالب . فلما سمع القوم ذكر على التجموا عن الكلام ونظر بعضهم الى بعض من أعلى الحصن فتقدم الامام رضى الله عنه الى مساور السفاك ورفعه بين يديه ونكسه من أعلى الحصن على أم رأسه فنزل يهوى الى الأرض فتهشم عظمه فى لحمه فلم ينطق ولم يتحرك من مكانه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار ثم التفت الامام رضى الله عنه الى غمام وجرد سيفه وقد وقف من دونه الرجال فصرخ الامام فيهم صرخته المعروفة ففرقهم يمينا وشمالا فتقدم الامام إلى غمام وهم ان يعلوه بالسيف فقال يابن ابى طالب سألتك بحق ربك وبحق ابن عمك محمد إلا امهلت على واشفقت بكرمك إلى فنا الامام عنه وعطف

على القوم ومكن السيف فيهم (قال الراوى) فبينما الإمام كذلك ؛ إذ سمع من ورائه ضربا وصراخا وصياحا وضجة عظيمة فأنكر ذلك والتفت الى ورائه وإذا هو غمام وقد جرد سيفه وحمل على أهل الحصن وصار يضرب يمينا وشمالا فقال له الإمام رضى الله عنه ما هذا يا غمام ؟ فقال يا ابن عم رسول الله إنى كرهت أن أموت تحت السيف والآن أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقال له الإمام ياغمام لقد أفلحت ونجحت ولقد عم الله بك السرور وفرح الإمام باسلامه فرحا شديداً ثم أن غماما لصق جنبه الى جنب الإمام وصارا يضربان بالسيف فى أهل الحصن الى أن قالوا جميعاً الأمان الأمان يا ابن أبى طالب لا طاقة لنا بك ولا صبر لنا عليك ولا على أفعالك وقالوا بأجمعهم : نحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ففرح الإمام باسلامهم فرحا شديداً ثم انحدر إلى أسفل الحصن ليفتح الباب وإذا له تارباس من حديد لا ينقله الرجال ولا تزحزحه الأبطال وله سلاسل وأغلال وقد مكنوه من الحائط الى الحائط الأخرى وأوثقوه بالأغلال فقال الإمام رضى الله عنه لولم يأذن الله بفتح هذا الحصن بهذه الحيلة من أعلاه لعسر علينا فتحه ثم أن الإمام فتح الباب وقال : الله أكبر فتح ونصر وخذل من كفر نصر من الله وفتح قريب .

(قال الراوى) فلما فتح باب الحصن كان أول من لقيه من أصحابه الرغداء بنت الخطاف وسيفها مشهور فى يدها فرأت غماما الى جانب الإمام فقالت للإمام رضى الله عنه يا سيدى ما أبقاك على غمام وهو رأس القوم فقال لها الإمام يارغداء أنه قد أصبح أخا لى فى الدين وصار من جملة المسلمين فلما سمعت ذلك تقدمت الى غمام وقبلت رأسه وقالت له زادك الله فخرا على فخرك وعزا على عزك ثم أقبل ناقد ابن الملك فلما نظر الى عمه غمام وهو واقف بإزاء أمير المؤمنين قال يا أمير المؤمنين هل هو باق على كفره وغيه أم لا ؟ فقال له الإمام يا ناقد قبل رأس عمك فانه صار شريكك فى الدين وأصبح من جملة المؤمنين فأقبل ناقد على عمه وقبل رأسه وصافحه مصافحة الاسلام وفرح به فرحا شديداً فقال الامام لقد تمم الله شرف الاسلام بعمك غمام فانه ركن وثيق وقد كان ليس هناك مثله من عسكر عدو الله الهضام .

(قال الراوى) ثم أقبل الامام الى الناس فقال لهم معاشر الناس أغمدوا سيوفكم شكر الله سعيكم وادخلوا الحصن آمنين على بركة الله وعونه وحسن توفيقه فلما دخلوا الحصن ماوجدوا فيه الا من يقول : لا إله الا الله محمد رسول الله فقال له

أصحابه يا أمير المؤمنين أنك لم تفتح لنا حصنا وفيه من يغلت خاطرنا من المشركين لاخاب والله من كنت أميرهم وابن عمك نبيهم ورب السموات والأرض مولاهم ثم أن الإمام رضى الله عنه أمر الناس أن يجمعوا ما كان معهم من الأمتعة والخيول والسلاح والأسلاب مما كان معهم من خارج الحصن وأمر من أسلم من أهل الحصن أن يجمعوا أسلاب من قتل من أهل الحصن فجمعوا أسلابهم وأسلاحهم ووضعوه بين يديه فأخذ الأموال والأمتعة ووضعها فى دار عدو الله مساور وختم عليها وأخذ جميع الخيول والمواشى وحصنهم فى الحصن وجعل فيه أقواما من المسلمين يحرسونه وأمر عليهم من يحفظهم وأقام الإمام ينظر ما يكون من أمر الله عز وجل .

(قال الراوى) وكان الملك الهضام حين أرسل أخاه غماما ومعه السبعة آلاف المتقدم ذكرهم أوصاهم أن يقوموا الى ابن أبى طالب من بين يديه وجهز أخاه علقمة فى سبعة آلاف أخر وأمره أن يسير فى الوادى حتى يأتى إلى ابن أبى طالب من خلفه فهذا ما كان من أمر غمام وقد هداه الله الى الإسلام وأما ما كان من أمر علقمة فقد أخفى الله أمره وبطأ على غمام خبره وقد من الله على الإمام بفتح هذا الحصن وقتل صاحبه مساور واسلام جميع قومه فقال الامام لاصحابه فما ترون من الرأى نقيم ههنا أو نتقدم إلى عدو الله الهضام أو نقصد أخاه علقمة فقولوا ما أنتم قائلون فقال له القوم يا أبا الحسن إنا تبع لرأيك ونحن معك وبين يديك ومطيعون لك فما رأيته رأيناه وما رضيته لنفسك رضيناه .

(قال الراوى) فقام غمام عند ذلك على قدميه وقال يامولاى يا أبا الحسن إنى وإن كنت قريب عهد بالاسلام فقد من الله على وملأ قلبى بالايمان وإنى لم أقل لك شيئاً فكل من ههنا يعرفنى فانى شديد المضارب صبور على النوائب وإنى أشير عليك حتى يأتى أخى علقمة ونفصل أمرنا معه فانا لا نأمن أمرنا معهم إذا التقى الجمعان والرأى عندى أن نقيم فى موضعنا وبعد هذا فاننا معك وبين يديك ولا نخالف لك أمراً ولا نعصى لك قولا فتبسم الامام من قوله وعلم أنه صواب وكان تحقق عند غمام ذلك فقال الامام قد أصاب غمام فيما قال من الرأى ولكن معى من يرانى ويفعل ما يشاء ويختار وهو ربى لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب ولكن إنا نتمهل إلى نصف النهار فان أشرف علينا عدو الله علقمة تدبرت أمراً يكون فيه الصلاح ان شاء الله تعالى (قال الراوى) ثم بعث الامام رجلا من قومه

وقال له اكشف لنا الطريق من تلقاء عدو الله الهضام وانظر ما يظهر لك وعد إلى بالخبر راجعاً بلا تعويق وبعث رجلا آخر وقال اكشف لنا خبر عدو الله علقمة وانظر ما يظهر لك وعد إلى راجعاً بالخبر وها أنا فى انتظاركما إلى أن تعودا إلى ويفعل الله ما يشاء ويختار فخرج كل من الرجلين وقصد كل واحد ناحيته كما أمره الإمام رضى الله عنهم ثم أقبل الإمام على أصحابه وثبتهم فى أماكنهم ثم قال لأهل الحصن ولمن كان عندهم من القوم لاتسرحوا الخيل إلى مراعيها ولا تزيلوا عنها سروجها وإن تطاولت عليكم فقدموا أنفسكم على رعى خيلكم ولتكن مقاودها فى أيديكم ولجمها فى أعضائكم وكونوا محترزين على أنفسكم متقلدين بأسلحتكم متمنطقين بجحفكم قالوا السمع والطاعة لله ولك يا أمير المؤمنين ولم يزالوا كذلك على ما أمرهم الإمام إلى أن ولى نصف النهار . وقد أبطأ على الإمام خبر الفارسين والطليعه فقلق الإمام من ذلك قلقا شديدا

(قال الراوى) وقد كان علقمة لما خرج من عند أخيه الهضام أمضى السير وسلك أرض البرية إلى أن قطع أرض بنى عامر وخرج إلى الحصن المشرف فلما أن قرب من الحصن جمع أصحابه وكان عدو الله كثير الخداع شديد المكر تتحدث العرب بشجاعته وهو الذى فتح حصن الحارث بن الهجام وأخرج مساور بن عميرة وكان بطلا مشهوراً وفارساً صنديداً فقال عدو الله قد ملك على بن أبى طالب حصنا ولم يكن فى حصون الملك الهضام أمنع منه فهو الآن أدخل أهله فى دينه ولا شك أنه رتب فيه رجالا ممن تبعه من قومه فامضوا بنا لعلنا أن نحتال عليه بخديعة نخدعهم بها فقال له قومه وكيف نصل إلى ذلك ؟ فقال له ما أمرتكم به فامتثلوه فقالوا سمعاً وطاعة ياسيدنا

(قال الراوى) ثم سار القوم بأجمعهم إلى أن وصلوا الى الحصن المشرف وكان الإمام قد ترك فيه عون بن صفوان الباهلى وكان معه جماعة من المسلمين فبينما القوم فى حصنهم وعون بن صفوان لا يزول عن أعلى الحصن إلى وقت الصلاة فيصلى بقومه ويأمر بالدعاء والابتهال إلى الله تعالى أن ينصر المسلمين على أعداء الله الملاعين فبينما هم كذلك إذ أشرف عليهم أعداء الله وهم مقلدون بالأسلحة فأنكر ذلك عون بن صفوان وقال لمن حوله ياقوم هذا عسكر جرار ، وقد أقبل مسرعا ولا نعلم ماهو ولعلهم أن يكونوا نصرة من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءوا لأمير المؤمنين على بن أبى طالب

فتطاول الناس اليهم بالنظر وكان علقمة قال لأصحابه ياقوم ان القوم لا ينكرون علينا شيئاً ويظنون أننا نجدة لهم أتينا لصاحبهم على من مدينة محمد لأنهم مؤمنون وان القوم مطمئنون من هذه الجهة وليس لهم فيها عدو يخافون منه فاذا وصلتم اليهم فكبروا بأجمعكم وليكن تكبيركم تعظيما لالحكم المنيع فعسى أن يفتح لنا الباب فندرك منه بغيتنا

(قال الراوى) فلما وصلوا اليهم وعلقمة فى أوائلهم متلثما متنكرا لئلا يعرفه القوم فكبر وكبر القوم بأجمعهم معه تكبيراً عالياً ففرح بهم عون بن صفوان وأجابهم هو ومن معه بالتكبير من أهل الحصن ثم تقدم علقمة لعنه الله حتى وقف بازائهم وقد غير كلامه وقال لهم أيها الناس هل عندكم خبر من الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال عون بن صفوان أسر ما يكون من الأخبار وأحسن ما يكون من الأخبار وأحسن ما يكون من الآثار فانه قد أباد الأعداء الأشرار وجلب لهم الويل والدمار ولاشك انه نازل على الحصن الأسود أمامكم فقال علقمة ياقوم زودونا بالماء ففتح لهم عون بن صفوان الباهلى باب الحصن وأتاهم بالماء والزاد وهم مطمئنون آمنون ولم ينكروا عليهم شيئاً من أمورهم فلما فتح المسلمون باب الحصن بادر علقمة ودخل أصحابه من بعده مسرعين فأمر علقمة أصحابه ان يوثقوا أصحاب عون بن صفوان

(قال الراوى) فلما سمعوا ذلك ترجلوا عن خيولهم كأنهم الأسود الضارية واحتوشوا بالقوم المسلمين وكتفوهم عن آخرهم وملكوهم بأجمعهم ثم أمر باحضار عون بن صفوان فأحضروه بين يديه فأمر بايثاقه فأوثقوه بالقيد واخذوا جميع ما كان خلفه الإمام من الأموال والخيل والأمتعة والغنائم وجميع ما كان فى الحصن ثم أخذ أهل الحصن معه اسارى ليوصلهم الى أخيه الملك الهضام وسار بهم وتركوا الحصن خرابا لم يبق فيه أحد وخرج علقمة بعون بن صفوان ثم قال له ياابن صفوان تركت مواليك وملت الى هؤلاء اللئام فقال عون معاذ الله ماملت الى قوم لئام وماملت الا لقوم كرام وأهل بيت الله الحرام وسادات مضر وبهجة الزمان وإلى نبى أرسل بأشرف الأديان وهو خير الانس والجان فهو محمد خير الأنبياء وابن عمه على ولى الله ونقمته على الأعداء وانا اشهد ان لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله لا أحول عن ملته ولا اتخلف عن دعوته ولو قطعت فى محبته فعسى ان احشر فى زمرته (قال الراوى) فلما سمع ذلك علقمة لطم عون ابن صفوان على وجهه وقال له ياابن اللئام ما اسرع ما تمكن منك سحر بن أبى طالب وابن

عمه محمد حتى قلت هذا الكلام وحق الاله المنيع لأوصلنك الى الملك الهضام ويحكم فيك بما يشاء المنيع ويختـــار ثم بعد ذلك يحرقك بناره وجميع من معك من هؤلاء الغواة ثم ركب النساء والصبيان وقدم الأسارى وأمرهم بجـــرهم وأوثقهم فى بعض وسار وهو فرحان مسرور بما وصل اليه وترك الحصن خراباً خالياً ليس فيه إنسى فبينما هو سائر إذ لاح له غبرة عظيمة وقد ارتفع عجاجها إلى السماء وأخذت شرقا وغرباً ويميناً وشمالا . فلما نظر اليه عدو الله أنكر ذلك وأمر بعض أصحابه أن يكشف له خبرها فمضى ناس من القوم فما لبثوا غير قليل حتى عادوا اليه يتصارخون وهم مستبشرون فقال لهم ما وراءكم فقالوا أيها السيد أبشر بالسرور العاجل والخير الواصل هذه غنيمة أكبر من غنيمتنا و سائقة أعظم من سائقتنا قد ساقها المنيع لقد فاز على بها حيث أرسلها الينا .

(قال الراوى) وكانت هذه الغنائم التى ترونها أرسلها الامام مع جنبل بن وكيع ليحصنها فى الحصن المشرف فلما نظرها عدو الله علقمة قال لأصحابه سيروا بنا الآن نوقع بالقوم الحيلة كما فعلنا مع أهل الحصن ونملك الغنيمة منهم فلما ساروا وقربوا منهم غمدوا سيوفهم ورفعوا الرماح على أعناقهم وساروا على مهل واللعين علقمة فى أوائلهم فلما نظر جنبل إلى كثرتهم وبريق دروعهم ولمعان سيوفهم انكر ذلك منهم واقبل على أصحابه وقال لهم: ياقوم هذا جيش عظيم قد أشرف علينا ولسنا نعلم ماهو ولكن اجمعوا غنائمكم واعطفوا اليهم بجمعكم وخذوا حذركم فخير مااستعمل ان يكون القوم من إخواننا وقد أتوا من مدينة نبينا فذلك إرادتنا وبغيتنا وإن كانوا من أعدائنا كنا منهم على حذر ومنعنا عن أنفسنا وعن غنيمتنا وقاتلنا حتى نقتل عن آخرنا فمضى القوم بعضهم إلى بعض وقوموا سهامهم وأوتروا قسيهم وجردوا أسيافهم فلما نظر علقمة إلى ماقد عزموا عليه أقبل على أصحابه وقال لهم : ياقوم إن القوم تأهبوا للقتال وعزموا على النزال وما رأيت أشد منهم محبة لصاحبهم على وابن عمه محمد وقد احتوى على قلوبهم وآثروه على أنفسهم وقد كرهوا الحياة وانهم يرون الموت مغنما وذلك من شدة حبهم لصاحبهم ولم يكن قتالهم عن المنيع الرفيع وأظنهم مائة فارس وقد عزموا على قتالنا أفرأيتم سحراً أكبر من هذا .

(قال الراوى) ثم أقبل علقمة على أصحابه وقال لابد ان أرمى القوم بحيلتى وخديعتى فان أجابوا وسلموا والا فبادروهم وأوثقوهم كتافاً وإن أبوا

فانا نحمل عليهم و نطحنهم طحن الحصيد فتقدم عدو الله علقمة وهو يسير على مهل الى أن أشرف عليهم ، فلما قرب منهم أمر أصحابه بالتهليل والتكبير ، فلما نظر القوم إلى ذلك صاحوا يامعشر الناس لاتقربوا مناحتى تكشفوا لنا عن أخباركم وتقولوا لنا من أنتم والى أين قصدكم فوقف القوم عن المسير وتقدم علقمة الى جنبل وقد غير كلامه ونادى برفيع صوته ان كنتم من أهل الإيمان فنحن من أهل الإيمان وان كنتم من أصحاب محمد فنحن من أصحاب محمد ومن شركائكم فى الدين وأنا أرى معكم غنائم وأسارى ولا شك أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب قد اغتنمها من أعدائه فقال جنبل يافتى ان الحرب حصن فلاخاب من تحصن به وأنافى انكار من أمرك فقال له عدو الله علقمة لعنه الله اليكم قصدنا فان خفتم من انكارنا رجعنا فقال له جنبل كلام غريب من رجل مريب وان أمير المؤمنين أقسم على ابن عمه محمد ان لاينتدب معه أحدا ولا يرسل وراءه أحدا ولا عددا وحاش لله ان يقول محمد قولا ويخلفه وهذه واحدة أخرى وانكم ماجردتم سيفا وما أوترتم قوسا ولا أحد منكم مد رمحا فما هذه شيم المؤمنين إذا كانوا فى أرض المشركين فان كان قد داخلكم الطمع فينا لقتالنا والوصول الينا فهذا أمل بعيد ولا نسلم هذه الغنائم حتى نتجندل حولها قتلى ولم يبق منا أحد ، فعند ذلك يستوضح عذرنا عند ربنا ولا نيأس من نصرة أمير المؤمنين ، فلما سمع علقمة من جنبل ذلك قال لا والله انا جئناكم نصرة لكم . فقال جنبل يا هذا اطلب الكلام فيما لا يخطر على الأوهام اكشف عن لثامك فقد راعنى أمرك وبان لى مكرك فما أنت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد هجس بى هاجس وما أظنه إلا حقا وكأنى أسمع كلامك وكأنى به عارف فلعلك أن تكون علقمة بن الحجاف .

(قال الراوى) فلما سمع علقمة منه ذلك الكلام علم انه عرفه فاسفر عن لثامه وقال استأثرت يا ابن اللئام يا ويلك والويل لأبيك وقومك انت نسيت سروحك واغنامك وحملك الأدلية على عاتقك واشتمالك بحبالك وحملك العصا وصرت اليوم تخاطب الشجعان فاستسلم أنت ومن معك من قبل أن آمر السبعة آلاف الذين معى أن يحملوا عليكم حملة واحدة فيجعلوكم دمارا واعلم أن على بن أبى طالب الذى ذكرته قد انقطع خبره وفنى أمره وقد خرج اليه أخى غمام فى سبعة آلاف فارس أبطال عوابس وقد أخذوا على بن أبى طالب بجميع أصحابه وجئت أنا

الحصن فأخذت جميع مافيه من الغنائم وهذه السائقة وأصحابها من الأحبال موثقين فالحق بنا فلعلك أن تفوز بان يبقى عليك أخى الهضام .

(قال الراوى) فلما سمع جنبل منه ذلك الكلام قال له يا عدو الله : أما قولك لى أنى كنت عبدا مملوكا للقوم الظالمين فقد اعتقنى منهم رب العالمين وكان السبب فى ذلك سراج المؤمنين أمير الأنوار وبدر الأزهار الفارس الكرار الذى لا يقطع فيه انكار المعروف بحيدرة الذى عظمت منه مناقبه واشتهرت منه مضاربه وعمت عجائبه زوج البتول وابن عم الرسول ممزق الكتائب ومظهر العجائب النجم الثاقب البطل المحارب المعروف فى المشارق والمغارب ليث بنى غالب أمير المؤمنين على بن أبى طالب فأيدنى بعد التعب والعنا بالعز والغنى وصرت إلى الحصن الحصين به اقدم على القتال وأبادر به إلى النزال فوحدى لا أبالى بالرجال وصرت بعد سوق الأغنام أدافع اللئام واجندلهم بحد الحسام وافنى كل أسد ضرغام وأهشم العظام فان كان ربى الخالق قد قضى على بالحقائق أسلكنى خير الطرائق فهو ربى عليه توكلت واليه انيب . وأما قولك لى الامام قد اخذه أخوك غمام واصحابه اسارى فكيف وقد ضمن إله السموات والأرض لرسول الله ﷺ سلامته وكلاءته وحفظ رعايته فلا تروعنا بكلامك ولا تخدعنا بخديعتك ولا ترمنا بمكرك فوالذى بعث ابن عمه بالحق بشيرا ونذيرا لا تقدر على شيء الا إذا لم يبق منا واحد حيا ولو انك فى سبعين الفا فانا محب للموت على الحياة وان كان والله كلامك حقا واخذ صاحبنا على بن أبى طالب فلأطلبن آثاره وأتبع أنواره وأقاتل أعداءه فان احيانى الله تعالى عشت مؤمنا وان مت مت مسلما فقد قال الله تعالى ـ كل نفس ذائقة الموت ـ ، وقال تعالى ـ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ـ فان شئت فادن منى ياعدو الله تنظر منى قتالا يقرب العبد إلى الله فو الله ما أنت بالغ منا ماتريد ثم ان جنبلا تجرد وسل سيفه وأنشد وجعل يقول بعد الصلاة على الرسول :

يا مرحبا بالموت اذا الموت نزل ... يا رب قدمنى الى خير العمل
فادن ان شئت ودع عنك العلل ... واقدم فان الضرب لا يدنى الأجل
فلتنظر الطعن من يد بطل ... ليث همام ليس فيه من فشل

(قال الراوى) فلما سمع علقمة منه ذلك فار بالغضب والتفت الى قومه وقال لهم .

ياقوم ما رأيت أشد من نفاق هذا العبد اللئيم فكيف وهو وجميع أصحابه يريدون أن يمنعونا ويدافعونا عن أخذ هذه الغنيمة وعن أنفسهم فوحق المنيع لقد يلحقنا من هؤلاء العار ولو علمت أنى ألقاه فى طريق هذه ماعبرتها بهذه الأبطال ولا يقال عنى فى أندية العرب أنى جعلته كفؤ الى. وهذا من أكبر العار أن يكون معى هذه السبعة آلاف فارس ولقيت بهم عبيدا رعاء وهم مائة شخص كلهم عبيد أراذل ليس فيهم سيد فان أنا قتلته وقتلت جميع من معه وسأل الملك ووجدنى قاتلت غير كفء فلا يلحقكم بهم ولا يمكن أن يخلص هذه الغنيمة من أيديهم من غير أن اتقدم أنا اليهم فعند ذلك تقدم اليه رجل من أقاربه يقال له غيث فقال أيها السيد أنا آتيك به وأثر رأسه فاخطفه خطف الغشمشم ولا أحطه الا بين يديك فاذا نظر أصحابه وقد احتوينا عليه استسلموا اليك بغير قتال ولا نزال فقال علقمة أنت لها يا غيث ولكل كريهة مثلها فقال له ايها السيد انى لا اخرج اليه إلا على شرط فقال علقمة وما الشرط يا غيث؟ قال ان يكون لى سلبه فقال لك ذلك يا غيث فخرج غيث على جواده وبيده سيف مشهور ومازال سائرا الى ان وصل ابازاء الفتى جنبل ونادى ادن منى لأسقينك كأس الحمام وافنيك بحد الحسام فسر جنبل لذلك وقال له دونك والمبادرة الى النزال قرب الله روحك الى النار وبئس القرار ثم التفت جنبل الى اصحابه وقال لهم ياقوم ان قتلت فاقرئوا محمدا منى السلام وبلغوا سلامى الى الأسد الضرغام واوصيكم على انفسكم فلا تستسلموا الى هؤلاء اللئام الكفرة عبدة الأصنام وقاتلوا حتى لا يبقى منكم احد ولا تخشوا الموت اذا نزل بساحتكم فى مرضاة ربكم فان الذى لا يموت اليوم يموت غــدا ولا يبقى الا الإله الأعلى خالق الأرض والسماء اما سمعتم اميركم وهو يتلو قوله تعالى ـ كل نفس ذائقة الموت ـ فأوصيكم الوصية الحسنة موتوا كراما ولا تموتوا لئاما . ثم ان جنبلا لما فرغ من وصيته لقومه اخذ حجفته وسيفه مشهور فى يده فلما رآه غيث وقد تأهب لقتاله وقال له ياجنبل اولك يد تثبت ان تجاربنى ولك قوة على قتالى فقال جنبل اى والله يا عدو الله ورسوله وعدو وليه

(قال الراوى) فلما سمع عدو الله غيث كلامه حمل عليه وأسرع اليه فتجاولا وتكافحا وشخصت الناس اليهما بالأحداق وتطالوا اليهم بالأعناق فاظهر جنبل حيل الحرب وكان من مكره حسن التيقظة فولى جنبل من بين يدى عدو الله هاربا منهزما وصار جنبل ينادى عدو الله ويقول يا ابن

الكرام أبق على وجد بكرمك الى هذا وعدو الله غيث من ورائه يناديه يا ويلك ألق حسامك وقف مكانك فقصر جنبل فى ركضه حتى كاد عدو الله أن يصل اليه فعطف اليه جنبل كأنه شعلة وضربه بالسيف على رأسه فوصل السيف الى صدره ولم يزل الى أن وصل الى السرج فتجندل عدو الله إلى الأرض صريعا يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار وأخذ جنبل جواده ودفعه الى رجل من أصحابه ثم وقف وهز سيفه وقال يا ويلكم يا أعداء الله فأنا رفيق ولى الله أبى الحسن.

(قال الراوى) فلما نظر عدو الله علقمة ذلك من جنبل اشتد غضبه حتى قام فى سرجه وقعد من شدة قهره ، وقال وحق المنيع لقد كبر عارنا وزاد شرنا بوصول هذا العبد اللئيم الى غيث صاحبنا ولقد غفل المنيع عنا ورمانا بكل شنيع ثم عطف جنبل وسيفه بيده مخضب بالدم الى عدو الله علقمة ومازال كذلك الى أن أراد قتاله فنادى برفيع صوته يا أهل الكفر والطغيان هلموا الى أهل القرآن ومن رفضوا عبادة الأصنام والأوثان وعكفوا على عبادة الاله العظيم الملك الديان الذى لا يشغله شأن عن شأن وكل يوم هو فى شأن سبحانه من ملك ديان ثم صبروا وصاروا من أصحاب محمد سيد ولد عدنان هلموا الينا يا معاشر اللئام . اليوم يوم السعادة : اليوم يوم الفوز بالجنة والعتق من النار بقتل هؤلاء الكفار . اليوم قد استسلمنا للقضاء والقدر ورضينا بما قضاه الله عز وجل وقدره علينا فقد رضينا القتال لأنفسنا ونقاتل عن الدين حتى نموت مسلمين . فهل من مبارز الى القتال . هل من مبادر الى النزال والافتخار بالاحساب والتباهى بالانساب أنا ارفع الناس حسبا وأعلاهم نسبا وأزكاهم منصباً : من عبر الصراط الرقيق ووصل الى الرب الرفيق وصار بعد ذلك الى النعيم المقيم فى جوار رب العالمين : هل من مبارز . هل من مناجز فانا الأسد الظمآن الى شرب دماء الأبطال والشجعان (قال الراوى) فلما سمع عدو الله علقمة ذلك من جنبل نزع عمامته من رأسه وجلد بها الأرض وقال واذلاه بعد العز والملك تنادينا العبيد الأرذال أن هذا من أعظم النكال ثم قال وحق المنيع لأزيلن عن المملكة حجابها ولأهدمن سورها ولأخرجن الى هذا العبد اللئيم بنفسى ولأبردن بقتله كبدى ثم أخذ لامة حربه وهم بالخروج إلى جنبل فتعلق به رجل يقال له شكا وكان ذلك الرجل من أصحاب الملك الهضام وكان شديداً سريع الاختلاس فقال له أيها السيد انى وحق المنيع

عازم على الخروج إليه وقاصد بالهجمة عليه ولقد كنت أقسمت بالمنيع ان لا أقاتل أحدا حتى اقاتل على بن ابى طالب والآن قد هاجت مروءتى ولا عاد لى مصطبر عن الخروج إلى هذا العبد الذميم : اسره . ام اقتله : ايهما احب اليك اسره . ام قتله فقال له علقمة ايها المسكين لا تقتله بل ائتنى به اسيرا لأشفى منه غلتى وابلغ منه مرادى فخرج شكا كأنه شعلة من نار وهز سيفه وأدار رمحه إلى ان دنا من جنبل ونادى : ويحك ياجنبل . امجنون . انت ام سكران : ياويلك اتظن انك بهذه الشرذمة القليلة والعصابة اليسيرة تنجو من بيننا ولم يبق لك مخلص من بين ايدينا ونحن فى سبعة آلاف فارس ابطال عوابس ولو هموا أن يحملوكم على أطراف الأسنة لهان ذلك عليهم فاستأثر لمولاك واستسلم لهم وكن معهم واسألهم أن يبقوا عليك ويصفحوا عما جرى منك وارجع عن على بن أبى طالب ولا تعد اليه ولا تركن إلى دينه فقال جنبل : حاش لله أن افعل ذلك وان ارجع عن دين الاسلام وعن الملك العلام وأعود الى السكر وعبادة الأصنام بعد انقاذى من الضلال وانتم والله وجميع معكم صائرون الى النار وبئس القرار فلما سمع شكا منه ذلك حمل عليه وأرسل سنان رمحه إليه فعطف عليه جنبل ولوحه بالسيف فقصفة من أعلاه بالسنان وصار بقية العود فى يده كالجريدة فألقاه من يده الى الأرض وأراد أن يجرد سيفه فبادره جنبل بضربة قبل أن يمس حسامه وضربه بالسيف على رأسه فقطع البيضة ونزل الى أن وصل السيف إلى محازمه وسحب السيف منه فتنكس عدو الله على أم رأسه على الأرض يخور فى دمه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار (قال الراوى) فلما نظر عدو الله علقمة الى ذلك لم يطق صبرا دون ان صرخ بقومه فاجتمعوا كلهم بين يديه وقالوا له ماتريد أيها السيد : أتريد ان نحمل عليهم بجمعنا فقال لا وحق المنيع لا يخرج اليه غيرى فكفانى هذا العار ثم انه صرخ بعبيده فأتوه بصنـــدوق واستخرج منه قوسا مذهبا ودرعين مكعبين داوديين وافرغ عليه ثوبا من الخز ولبس بيضة عاديه على رأسه وفى وسطه زمردة خضراء وحزم وسطه وركب جواده وأخذ سيفين مرهفين وأخذ محارقيق الشفار كأنه شعلة نار يلمع وخرج كأنه صخرة من جلمود لعظم خلقته وطول سواعده وغلظ جثته وكان علقمة جريئا على قتال الرجال لا يهاب الأبطال ويبادر الى النزال فلما نظر جنبل الى خروجه تهيأ لقتاله وبادر بالخديعة قبل ان يصل اليه وقال له ياسيدى

نفسك أن تخرج الى قتالى وسفك ذمى و نسيت ماوالیتنى و أكرمتنى وما كنت الذى أمد يدى اليك بسوء ولقد ندمت على فعلى ولو علمت أنك تبقى على لألقيت يدى فى يدك واستسلمت اليك ولكن أنا أعلم مافى قلبك على من الغيظ فلا آمن لك فصاح به علقمة عند ذلك وقال له اليك عنى فما أسوأك من عبد لقد تعلمت الخداع يا ملعون دع عنك هذا الكلام فلا بدلى من قتلك وآخذك وأرميك فى نار المنيع بكل أمر شنيع فقال جنبل وحق الذى من على بالإسلام وهو الذى خلق السموت والأرض لئن أظفرنى الله بك يا لعين لأقطعن رأسك النميمة وأحملها على رأس رمحى وأنادى عليها الى أن أوصلها الى أمير المؤمنين فتقدم الى حتى أقدم عليك وحسبنا الله ونعم الوكيل وبعد ذلك أقتل أصحابك وأخلص هذه الاسارى من أيديهم ما أظنك الا خدعتهم بخديعتك حتى وصلت إليهم وليس بغائب عن الله ما فعلت بهم ان لهم من يخلصهم من بين أيديكم على رغم أنفك .

(قال الراوى) فلما سمع علقمة ذلك من جنبل فار بالغيظ فما أمهله دون أن وثب إليه بجواده وضربه ضربه يريد أن يتوسط بها جنبل فزاغ منها فوقعت الضربة على جواد جنبل فكاد أن يتكردس فوثب اليه جنبل كالاسد ونزل عن جواده وعاد يسعى على الأرض ماشيا فلما نظره علقمة قد صار بلا جواد طمع فيه فحاد بجواده وأمل الوصول اليه وعاجله بضربة وقصدبها هامته فزاغ عنها جنبل وخادعه وانبرم عليه بالسيف وضرب قوائم فرسه فانكب الجواد على رأسه وتكردس علقمة فمن خوفه من جنبل وثب قائما على قدميه حذرا على نفسه وهو زائد الغيظ على جواده . فقال له جنبل : ياعدو الله جواد بجواد وقد قرب منك البعيد فعدل اليه علقمة وقد تزايد غيظه حسرة على جواده وحمل عليه كالبعير الهائج وحمل عليه جنبل وتجاولا على وجه الارض بجولة عظيمة وإذا بالفريقين عاينا منهما قتالا شديدا لم يروه من غيرهما وخشى عدو الله أن يصل اليه فتشجع نفسه وحمل على جنبل وأشار الى أصحابه ان احملوا على أصحاب جنبل (قال الراوى) فلما رأى أصحاب جنبل ذلك لصقوا بمناكب بعضهم وعزموا على القتال وقال بعضهم لبعض : اليوم يوم القتال والفوز بالجنة فقاتلوا بنا الى ان نقتل عن آخرنا فاذا قتلنا عن آخرنا ولم يبق منا باق فعند ذلك يتضح عذرنا عند الله تعالى ويتصرف فيهم بما يشاء ويختار . فبينماهم كذلك والمسلمون قد أيسوا من أنفسهم لقلتهم وكثرة عدد عدوهم وبعضهم شجع بعضا وبشروا

بعضهم بالجنة والنظر الى وجه الله الكريم فبينماهم كذلك وإذقد أشرف عليهم غبرة هائله مرتفعة وقدتحندس ظلامها وعلا قتامها فبهت الفرسان وتطاول نحوها الشجعان واشتغل عدو الله اليها بالنظر فتأخر جنبل وشخص نحوها وإذا قد انكشفت عن كتائب ومواكب تبع ودروع وسيوف تلمع ورماح تفرع ورجال أمجاد على خيول جياد وإذا بالعلم يلوح من بينهم والرياح تلعب بعذباته وقد أشرقت جواهر ولمعت بريقاته وصاحت جلاجله .

(قال الراوى) فلما نظر علقمة الى ذلك صرخ صرخة وصفق بيديه فرحا وسرورا قال ويلك ياجنبل أخذتك المصائب من كل جانب ألم أقل لك ان صاحبك عليا قتل وقد صار الى الفلاة جديلا أما تنظر الى العلم الانور مع أخى الأزهر وقد قتل صاحبك وأخذ مامعه من الغنائم الى أن وصل بها الى الملك الهضام وإلهه الرفيع وأن أخى سائر إلى الحصون فيأخذ جميع مافيها ويعيدها كما كانت وأنا آخذك وجميع مامعك وأوصلك إلى الملك والاله المنيع فيحكم فيكم ويحرقكم بناره فلما سمع جنبل ذلك ظن أنه صحيح فكبر ذلك عليه وجزع من ذلك جزعا شديدا ففاضت عينا جنبل على أمير المؤمنين وصار جنبل وأصحابه حيارى حزنانين وهم لايدرون مايصنعون فبينما المسلمون قد أيسوا من أنفسهم إذدنت منهم تلك الغبرة وانكشفت وقدظهر من تحتها جيش عظيم كأنه الجراد المنتشر وقد بادر فى أوائلهم فارس كأنه شعلة نار وتحته حصان هوار والشجاعة تلوح من شمائله كأنه قشعم قد انقض .

(قال الراوى) فلما دنا منهم صرخ صرخة عظيمة تزعزعت منها قلوب الفريقين وأذهلت قلوب الجمعين ونادى برفيع صوته ياويلكم أما تعرفونى أنا صاحب العجائب أنا الأسد الغالب أنا القرم الطالب . أنا الصنديد المحارب أنا ليث بنى غالب . أنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب فلما سمع عدو الله علقمة نداءه وقد انكشف عن وجهه ونظر العلم فى أثره والكتائب متلاحقة به تيقن انه الامام وقد قتل اخاه وأتى اليه فتاخر عن جنبل ورجع الى قومه هاربا وللنجاة طالبا فناداه جنبل الى اين يا ابن اللئام كل هذا جزع من هذا الغلام الم تزعم فى بدء قولك ان أخاك قدقتل الامام وان الوحوش اكلت لحمه فلم يلتفت اليه اللعين ولم يسمع الى كلامه واقبل على قومه وقال ياويلكم خذوا الانفسكم الحذر من الموت المفرق هذا على بن ابى طالب قدرجع اليكم وما ملك العلم إلا بعدقتل اخى وقتل جميع من ادخلهم فى

دينه وأرجو أن يكون المنيع قد ساقه اليكم ليكون غنيمتكم ويكون هلاكه على أيديكم وتكون المراتب الظعام والخلع الكرام عند أخى الملك الهضام وعند الإله المنيع . فقال له قومه وحق المنيع هذا العبد الذميم ما كان لنا طاقة به فكيف نطيق ممزق الكتائب ومظهر العجائب على بن أبى طالب فعنـد ذلك حار عدو الله علقمة لما سمع ذلك من قومه وعلم أنهم لا يجسرون على قتال الإمام فتحير وضاقت عليه الأرض بما رحبت وعاد لايدرى كيف يصنع هذا ما كان من أمر عدو الله .

(قال الراوى) وأما ما كان من أمر الإمام رضى الله عنه فلم يزل سائرا إلى أن أتى إلى جنبل وقومه وقال لله درك ياجنبل أنت ومن معك والله انى قد علمت أن هذا سيكون منكم وكان السبب فى ذلك أن الإمام رضى الله تعالى عنه لما أصبح على الحصن الأسود وقد أبطأ عليه خبر علقمة قلق لذلك قلقاً شديدا وأقبل على أصحابه . وقال يامعشر الناس إنه قد هجس فى خاطرى هاجس وإنى أظن أنه حق فقالوا وماهو يا أمير المؤمنين قال إن علقمة أخا الملك ما تأخر عنا إلا وله خبر وإنى قد بعثت الغنائم مع جنبل ومعه شرذمة قليلة وأخشى أن يكون عدو الله علقمة وقع بهم فى طريقه وهو فى سبعة آلاف فارس فيأخذ الغنائم من أصحابنا ويقتلهم عن آخرهم وما أرى من الرأى إلا أننا نرجع على عقبنا لنكشف الخبر عن هذا الأمر والملك بين أيدينا سنعود اليه فقالوا له افعل ما بدا لك وماتريد فاننا لكلامك سامعون ولأمرك طائعون وأقام عنده عدة من الرجال ثم أمرهم أن يتحصنوا فى الحصن الأسود وأمر عليهم رجلا من المسلمين وأوصاهم بحفظ الحصن ثم أخذ المسلمين وساروا جرائد بلا عوائق على الخيل السوابق ومازال الأمير يسير ويجد فى المسير ورب السماء يطوى البعيد ويهون عليه كل صعب شديد إلى ان وصل إلى القوم فوجدهم فى الحرب وشدة القتال (قال الراوى) فلما نظر جنبل إلى الامام وعرفه قال اهلا وسهلا بالمولى والولى العارف الذكى صاحب الوجه المنير وابن عم البشير فلما سمعه الامام جزاه خيرا على ذلك ثم قال ياجنبل : هل وصل عدو الله إلى احد من اصحابك قال لاولم يبرز لقتاله غيرى فقال له الامام رضى الله عنه : فما كان امرك معهم فقال ياامير المؤمنين قتلت منهم فارسين عظيمين احدهما صاحب الملك . والآخر ابن عمه فسر الامام بذلك سرورا عظيما وشكره على فعله ثم ان الامام رضى الله عنه صف اصحابه ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وجعل على الميمنة ناقدا وعلى الميسرة جنبلا

ووقف الامام رضى الله عنه فى القلب وأحدقت به الأبطال ثم أقبل على حويرثة وقال ياحويرثة انى أرى مع القوم ساقة وأسارى فما ذلك ؟ قال له حويرثه ياأمير المؤمنين يمكن أن القوم وصلوا إلى الحصن المشرف وقد دخلوا بحيلة وأشهروا لهم التهليل والتكبير فاجابهم أهل الحصن بالتكبير فسألوهم عنك فقالوا لهم إن الامام نازل على الحصن الأسود فأظهروا لهم السرور والفرح وقالوا نحن من إخوانكم المسلمين جئنا لنصرة أهل الإيمان ومانريد منكم سوى أن تزودونا بالماء والزاد فهذه هى الكرامة الزائدة فعند ذلك ظنوا أن ذلك حق فأمر عون بن صفوان بفتح الحصن فدخل عليهم عدو الله وهجم عليهم بقومه وهم آمنون مطمئنون وأخذهم أسارى وأوثق عون بن صفوان وأخذه أسيرا وأخذ جميع من فى الحصن ولم يترك فيه شيئاً وتركه خرابا وأصحابنا معه أسارى موثوقين

(قال الراوى) فلما سمع الإمام ذلك بن حويرثة ترك الناس وولى إلى مكان عال من الأرض وصار يرمق بطرفه إلى السماء بعد أن نظر إلى الأسارى وهم مكتفون وصار يدعو الله تعالى بعد أن نظرهم وكبر ذلك عليه وصعب لديه ورجع إلى أصحابه وقد انهملت دموعه عليهم فقال له قومه ما بالك يا أمير المؤمنين تبكى فقال لهم ياقوم أبكى على إخوانكم الأسارى والله ياقوم يعز على تلك الحالة التى رأيتم فيها ولاشك أن عدو الله احتال عليهم بحيلة حتى وصل اليهم بها وأخذ الغنائم التى كانت عندهم فقال له أصحابه يا أمير المؤمنين فما يمنعنا أن نحمل عليهم بجمعنا حملة واحدة فعسى أن نصل إلى أصحابنا ونخلصهم من أيديهم رغما عن أنفهم وكل من ملكناه منهم قتلناه فعند ذلك قال لهم الإمام رضى الله عنه تمهلوا حتى نوضح لهم الحجة فما أهلك الله قوما إلا من بعد ما حذرهم .

(قال الراوى) ثم ان الامام سار بنفسه إلى ان وصل إلى اصحابه وقال أين غمام بن الحجاف وأخو الملك الهضام فأجابه بالتلبية وقال لبيك ياأمير المؤمنين فقال الامام رضى الله عنه : ياغمام اخرج إلى أخيك بنفسك وإلى هؤلاء القوم الذين معه وادعهم إلى الله ورسوله فعسى الله تبارك وتعالى ان يهديهم إنه على مايشاء قدير . فقال غمام السمع والطاعة لله ورسوله ثم لك يا أمير المؤمنين ثم انه أفرغ عليه لامة حربه وخرج قبالة أخيه علقمة ونادى برفيع صوته معاشر الناس انا أدعوكم إلى الاسلام وعبادة الملك العلام القدوس السلام وان تتركوا عبادة الأصنام ونحن نرعى لكم الود والزمام وقد

وقد كرهنا أن نسفك دماءكم لأن الله من علينا بالإسلام ونجانا من عذاب النار وولى علينا ممزق الكتائب ومظهر العجائب أمير المؤمنين على بن أبى طالب وأنا غمام أخو الملك المضام قد منى اليكم فيا أخى يا علقمة قل معى أنت وقومك لا إله إلا الله محمد رسول الله تكن من الفائزين المنعمين بجنات النعيم ثم أنشد يقول :

زال الظلام وبان النور للهادى ... واستظهر الحق للمسترشد الغادى
وأوضحت طرق الإسلام واتضحت ... للبدو والحضر فى جمع من النادى
بالسيد الأبلج المعروف من مضر ... المرتضى نجل عم المصطفى الهادى
وضارب القوم فى بدر وفى أحد ... ويوم خيبر أيضا فتحه بادى
فوزوابه واحذروا يا قوم سطوته ... وجانبوا كل ذى شر وأنكاد
فانه قائد للحق متبع ... مكفر ماح ومخصوص بارشاد

(قال الراوى) فلما سمع علقمة ذلك قال وحق المنيع هذا أخى غمام . قال له القوم هذا أخوك غمام ولكنه صبأ إلى دين الاسلام وصار من جملتهم وقد قدمه أميرهم الينا يدعونا إلى دينهم . فقال علقمة ما اظن ذلك حتى أدنو منه وأسمع كلامه وأتحقق الأمر بنفسى فتقدم ناحية غمام وكان قد استدعى بلامه حربه ولبس ثوبا من الديباج وتكور بعمامة من الخز وأخذ سيفه واعتقل برمحه وأقبل الى أخيه غمام . فلما قاربه قال له ألست أنت أخى غمام ؟ فقال أنا أخوك قبل اليوم والآن فلست بأخيك ولا من زمرتك قال فكيف ذلك يا أخى ؟ فقال إن لم تدخل فى دين الاسلام وتتبع محمدا عليه أفضل الصلاة والسلام فقال له علقمة ان جز الجماجم وقطع المعاصم ونقل الجبال ونسف الرمال أيسر على من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم مد إليه سنان رمحه وحمل عليه وكاد أن يقتله فحمل غمام عليه وصار كل منهما حريصا على قتل صاحبه فتعاركا وتطاولا حتى شاهد الناس منهما مشهدا هظيما وقد تراجع علقمة الى أخيه غمام ووصل اليه وطعنه فى صدره وكان على غمام درع حصين منيع ضيق الزرد كثير العدد فقطع السنان الزرد وجرحه جرحا موهنا فتألم من ذلك غمام فصبر نفسه فلما ازداد به الأمر تأخر وراءه وعدو الله أخوه يداركه بحملاته وضيق عليه فنظر ذلك الامام رضى الله تعالى عنه إذ هو صرخ عليه صرخة عظيمة فذهل منها عدو الله علقمة وحملت عليه الزغداء وقالت له إليك يا عدو الله قد همك الموت العجول . ثم هجمت عليه كأنها شعلة نار فحمل عليها ورجع عن أخيه فتطاعنا

بالرماح حتى انكسرت وتضاربا بالسيوف حل تثلمت وكلت منهما النفوس إلى أن تعجب الناس منهما قد فقال لها عدو الله علقمة ويلك يا رغداء أما لك أرب فى المملكة أن تحتوى يدك عليها فقالت له وماذا أفعل قال لها اتركى وهمك من هذا الغلام فتصيرى زوجة لى وأنا أسير لك زوجا وقد علمت مالى ورفعه حالى ويصير لك نصيب من المملكة وهذا على بن أبى طالب سوف يأخذه الملك الهضام ويصير هو ومن معه خدما لنا وأسارى بين أيدينا فقالت له اليك عنى يا ابن الأراذل فانا إلسنا يحول عليهم المحال فدع عنك هذه الفعال واترك هذا االضلال فلا يخلصك اليوم منا إلا شديد القتال وان أحببت أن أبقى عليك فاستأثر لى وأنت نحوى . فقال لها يارغداء هذا يكون منك وقد اشتد غضبه حين سمع مقالتها فحمل عليها وضربها بالسيف على رأسها وكان على رأسها بيضة فانقصف سيفه على البيضة التى على رأسها وسقط أكثره على الأرض . فلما نظرت الرغداء الى ذلك أمنت منه فداخلته وضربت يدها على مجامع مراق بطنه وأرادت أن تقتلعه من سرجه فلم تقدر على ذلك لعظم خلقته وكبر جثته فتعارك عراكا شديدا حتى عيت من تحتهما الخيل وعدو الله والرغداء انساقا جميعا على الأرض وزاد بينهما القتال الى أن كل عدو الله وداخله الانبهار من شدة ما ناله من الرغداء وثباتها فزاد به الأمر فصرخ على قومه وقال ياويلكم ادركونى قبل ان أهلك فلما سمعوا صرخته أتوا اليه مسرعين

(قال الراوى) فلما نظر الامام الى ذلك قال لقومه يامعاشر الناس احملوا مع صاحبتكم وكبروا بارك الله فيكم وعليكم فكبروا وحملوا والإمام فى أوائلهم فلم يصلوا الى الرغداء ولا الى عدو الله ولم يعرفوا مكانهما لشدة الناس فى الازدحام فكبر ذلك على المسلمين وداخلهم الفزع والخوف والجزع على رفيقتهم الرغداء فحزنوا عليها وقطعوا الرجاء منها فعلعلت السيوف وظهرت الألوف وتعلقت الجماجم وانتردت المعاصم وتقصف الرماح وكثر الصياح وثار الغبار وأظلم النهار وحار الجبان وثبت الشجاع واندرست الناس سنابك الخيل وصار النهار كسواد الليل حتى ان الرجل لا يعرفه صاحبه من عدوه وقاتل الامام فى ذلك اليوم قتال شديدا حتى دهشت له الجمعان وبهتت اليه الشجعان وهو يضرب يمينا وشمالا وأماما وخلفا فكان يقبض على قوائم الجواد فيقلبه على راكبه . وكان إذا نظر اركردوس عطيا أتى نحوه

بالرماح حتى انكسرت ويعرض درقته فى صدورهم ويدفعهم إلى ورائهم فيكردسهم جميعا بشماله ويقف عليهم فكل من قام ضربه فقطع رأسه إلى أن أفنى ذلك الكردوس عن آخره وهو مع ذلك ينادى ويقول: هذا قتال الأبرار هذا قتال الفتى الكرار ابن عم المصطفى المختار رسول الملك الجبار

(قال الراوى) فلما نظر القوم إلى تلك الفعال وإلى شدة قتاله تأخروا عنهم إلى ورائهم : وقالوا وحق المنيع ما هذا قتال آدميين وما هو إلا قتال المردة والشياطين وقد قاتل جنبل فى هذا اليوم قتالا شديدا وهو متسرول بسرواله وقد حزم وسطه بمنطقته وهو قابض على سيفه وحجفته وهو ينادى ياأعداء الله أتانا الفرج من عند الله وكذلك حويرثه ينادى يا أهل الإيمان الصبر الصبر الجنة الجنة وقد اختفى على الجميع صوت الرغداء وخفى على الإمام خبرها فاذا هى قد انعزلت بعدو الله علقمة بعيدا عن المعركة وقد حولته عن قومه وضيقت عليه المسالك والإمام رضى الله عنه لما خفى عليه أمر الرغداء خشى أن يكون حدث عليها حادث فمال يمينا وشمالا فلم يجدها فبينما هو كذلك إذ نظر إلى غبرة هائلة فقصد اليها وهو يجد فى طلب الرغداء وإذا برجل من المشركين قد تعرض للإمام وفى يده سيف مليح ودرقه عظيمة منيعة كأنه صخرة جلمود لهوله وكبر جثته وإنما عارض الامام ليصده عن مراده ويرده عن الرغداء فنادى يا ابن أبى طالب ارجع بنفسك سالما وإلا أزلتك كما أزلت غيرك

(قال الراوى) فقال له الإمام ياويلك والويل لآبائك وأجدادك إلى من وصلت قبلى قال وصلت إلى صاحبتكم الذميمة المعجبة بنفسها الطاغية دون جنسها المتعاظمة فى مرامها فارجع لئلا يلحقك ما لحقها .

فلما سمع الإمام ذلك من مقالته ظن أنه صحيح فغضب غضباً شديدا وقال له ياعدو الله . إن كنت وصلت اليها فأنا آخذ بثأرها واكشف عارها ثم حمل عليه حملة شديدة وهو زائد الغضب وضربه ضربة يريد بها هامته فاستترعنها عدو الله بدرقته فرد الإمام الضربة إلى وسطه فقطعه نصفين وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار ثم تركه الإمام وركض جواده فى طلب الرغداء فما زال كذلك إلى أن وصل إلى ذلك العجاج المرتفع فوجد الرغداء مع عدو الله علقمة فى قتال ونزال فصرخ عليه الإمام صرخة فازعجه بها قال له اليك ياعدو الله من ولية الله فانها خير منك عند الله وخير من جميع قومك ثم تقدم الإمام وضرب بيده على أطواقه وسحبه فاقتلعه من سرجه وصار فى يده كالعصفور مع الباز الجسور (قال الراوى) وكان الامام رضى الله عنه حين طلب

الرغـداء وقـد خفي عن المسلمين خبرها وهم قلقون لذلك فبينماهم كذلك إذ سمعوا صوت الإمام من تحت العجاج وهو ينادي فتح ونصر وخـذل من كفر يالثام نصر من الله وفتح قريب فاستبشر الناس بصوته وأجابوه بالتـكبير من كل جانب ومـكان وإذا هو خارج من تحت العجاج وعـدو الله معلق في يده كالثوب الخلق والرغـداء إلى جانبه فعنـد ذلك سلم الإمام علقمة إلى أصحابه وقال لهم أوثقوه كتافا عظيما ثم قال أيها الناس إن أعـداء الله قد خمدت جمرتهم فاحملوا بناعليهم حتى نخلص منهم الأسارى وتـكون همتكم لاخوانكم همة عظيمة على كل من اعتدى عليـكم من المشركين فاقتلوه فامتثلوا ماأمرهم بهوقوموا الأسنة واطلقوا الأعنة وكبروا تـكبيرة واحـدة شديده ارتج لها الوادي ولم يزالوا في حملتهم والامام في أوائلهم وهم ينادون يامعشر الـكفار عمن تقاتلون وقدقتل صاحبـكم علقمة

(قال الراوي) ثم ان الإمام التفت إلى أصحابه وقال لهم حطوا حطة واحـدة في أعـدائكم بالسيف فوضعوا السيف فيهم حتى أزالوا الرجال عن مراتبهم والفرسان عن أماكنهم وأبادوا الشجعان وقدوصلوا إلى أصحابهم الأسارى فبادرهم الامام رضي الله عنه ودنت الرغداء وناقدوجنبل وحويرثة وخالدفأخذ الامام عون بن صفوان وكل من المذكورين جاء بآخر وصار أصحاب الامام يحفظون أصحابهم من عسكر المشركين كالبازات وصاروا بهم حتى لحقوا اخوانهم ثم التفت الامام إلى أصحابه وقال لهم ياقوم ارجعوا الى أصحابكم فما بقي إلا اليسير وقد كفاكم الله شرهم فقالت الرغداء نحن معك ياأمير المؤمنين فوالذي بعث ابن عمك محمدا بالحق بشيرا ونذيرا لارجعنا عنهم بمشيئة الله تعالى حتى نشتت شملهم ونخلص بقية الأسارى منهم ان شاء الله تعالى فشكرها الامام على قولها وقال يارغداء على الأصول تفرع الغصون ومن أشبه أباه فما ظلم وقال ناقد وجنبل وحويرثة مثل ذلك فجزاهم الامام خيرا ثم قال لهم احملوا بارك الله فيـكم وعليكم وأدركوا إخوانـكم

(قال الراوي) فحمل الامام ومن معه حملة شـديدة فولى المشركون الأدبار وأخـذهم السيف من جميع الجهات والأقطار فما نجا من المشركين إلا من له جواد سابق وكشف الله عن بقية الأسـارى وما كانوا فيـه من الأسر والايثـاق وحلهم المسلمون وهنأ بعضهم بعضاً بالسلامة ونصر الله المسلمين وأهلك المشركين ثم أمر الامام أصحابه بأخذ الغنـائم وجمـع الأسلاب والخيول والعـدد وكل ما كان

من المشركين ثم أمر باحضار علقمة عدو الله فأحضروه بين يديه فقال له الإمام أيا عدو الله ماتريد أن أصنع بك قال يا ابن أبى طالب أنأ بقيت علينا أبقيت عليك فقال له ياعدو الله ومن يبقى على قال يبقى عليك أخى الملك الهضام ألم تعلم أنه قادم عليك بجيوشه وشجعانه وأبطاله وأبطال العرب واليمن فقال له الإمام ألم تعلم ياعدو الله أن ابن أبى طالب مدمر العرب ومفرق الكرب والجالب للاعداء العطب فقال ياابن أبى طالب خذ منى الفداء وأطلقنى قال له ومن يعطينى فداءك قال أنا أعطيك وأخى الهضام مثلى يعطيك عشرة من الخيل العتاق وعشرة من البختيات السباق وعشرة مطايا محملة من حلى اليمن وفوق كل واحدة كيس من الذهب الاحمر وعشرة من العبيد وألف شاة يتبعها أولادها وعشرون بيضة من الكافور وعشرون نافشة من المسك الاذفر وخمسون سناما من العود الند ومائة من الجمال محملة من البر وبعد ذلك أطلق لى السبيل .

(قال الراوى) فقال الإمام رضى الله عنه كل ذلك وجميع ماتملكه يدك ويد أخيك الهضام سائر الى ان شاء الله تعالى أحمله إلى رسول الله ﷺ ولكن أدعوك لشىء أقرب مما ذكرت وأيسر مما نعت قال وماهو ؟ قال ان تقر لله بالوحدانية ولمحمد ابن عمى بالرسالة وتمضى الى حال سبيلك مصاحبا بالسلامة حيث شئت مباركا لك فى مالك وجمالك وخيلك وعبيدك ورجالك ولا ينالك منا إلا الخير والسلامة ويصير لك مالنا وعليك ماعلينا فقال ياابن أبى طالب ماكنت بالذى أقولها ولو قطعت إربا إربا ولم أكن بتارك دين المنيع والاله الرفيع وماشئت أن تفعل فافعل فقال له الإمام ياعدو الله لابد من قتلك فقال له ياابن أبى طالب إذا وصلت إلى المنيع الاله الرفيع فأخبره أن علقمة مات على دينك فغضب الإمام رضى الله عنه عند ذلك غضبا شديدا ووثب اليه ليضربه بالسيف فسبقته الرغداء وضربته بسيفها فأزالت رأسه عن جثته وقالت يا أبا الحسن انى أرحتك منه ومن قتله فتبسم الإمام ضاحكا من قولها وشكرها على فعلها وقال لها لله درك يارغداء ثم ان الإمام رضى الله عنه سار بالغنائم هو وأصحابه راجعين الى الحصن الاسود وهو فرح مسرور بما فتح الله على يديه والمسلمون سائرون معه الى أن أتوا إلى الحصن الاسود فوجدوا أهل الحصن متأهبين شاخصين وربيعة ابن سالم الذى ولاه الامام فى الحصن متحزم وأصحابه كذلك وهم على حذر .

(قال الراوى) فلما وصل الإمام اليهم فرحوا بقدومه واستبشروا به ونزلوا اليه

حسر عين وفتحوا له باب الحصن يستقبلوه وسلموا عليه وعلى من معه وسروا برؤيته سرورا عظيما فقال له ربيعة بن سالم ألا يا أمير المؤمنين أخبرنا عما كان من أمرك فقال له خير لنا شر لأعدانا ثم ان الامام حدثه بحديثه وما جرى له مع علقمة وكيف قطعت الرغداء رأسه وكيف نصرهم الله على عدوهم ففرحوا بذلك فرحا شديدا ولم يزالوا واقفين على باب الحصن إلى أن تكامل العسكر فأمرهم الامام بالنزول خارج الحصن لكثرتهم وكثره غنائمهم فقال ربيعة ماهذه الغنيمة يامولاى فقال له غنيمة اغنمتها بأمر الله من أعدائه لعباده نخذها وكن محتفظا عليها إلى أن أعود اليكم ان شاء الله تعالى فان أتاك أحد من أصحابى يطلب هذه الغنيمة فلا تسلمها لأحد إلا أن ترى وجهى وإياك ياربيعة أن يخدعك خادع كما فعل باخوانكم ويقال لكم كما قيل لهم فقال ربيعة ياسيدى حاشا أن يخدعنا خادع وإنما يقال هذا للصبيان فسر الامام بذلك سرورا عظيما وجازاه خيرا

(قال الراوى) ثم قال الامام رضى الله عنه ياربيعه هل عندك علم أو بلعلكم خبر عن الملك الهضام فقال يا أمير المؤمنين هاهو نازل على حصن الفواكه وجميع ماله وثقاله وما معه فى ذلك الحصن فعند ذلك أقبل الامام رضى الله تعالى عنه إلى أصحابه وقال ياقوم ماترون من الرأى هذا صاحبكم وهو فى الحصن الذى بين أيديكم وهو فى جمع كثير فما أنتم قائلون فلما سمع أصحابه منه ذلك الكلام قالوا ياأمير المؤومنين نحن نقاتل معك وبين إل أن نقتل عن آخرنا فان شئت أن نتقدم وان شئت أن نتأخر فجزاهم الامام خيرا وقال بل أتقدم أمامكم وأقاتل بروحى دونكم ثم قوله تعالى — كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ـ ثم أقام بقومه إلى وقت العصر وأمر بالرحيل فركب أصحابه ومازالوا سائرين إلى أن دخل الليل فأمر الناس بالنزول فنزلوا وتولى الامام حرس قومه بنفسه إلى أن طلع الفجر فأذن الصبح وصلى بالناس صلاة الصبح فلما فرغ من صلاته أمر الناس بالركوب فركبوا وسار بهم الى أن قرب من حصر الفواكه فأرسل رجلا ليأتيه بالأخبار فما غاب عنه غير بعيد حتى عاد اليه وأخبره ان الملك بجيوشه على الحصن وان معه قوم فى تكاثر من العدد

(قال الراوى) فأمر أصحابه بافتقاد لامات حربهم واصلاح شأنهم فبات الناس متأهبين للقتال . فلما أصبح الصباح صلى بهم الامام صلاة الفجر ولما فرغ من

صلاته أمر الناس بالرحيل فارتحلوا ولم يقدم الامام طليعة بل سار بجميع جيوشه حتى أشرف على حصن الفواكه فنظر الإمام فرأى جيشا قد ملأ الأرض فى الطول والعرض وعدو الله الهضام عازم على الرحيل وإذا قد أشرف عليه الإمام رضى الله عنه فوقعت العين على العين فهذا ما كان من خبر الإمام رضى الله عنه (وأما) ما كان من خبر عدو الله الهضام وسبب خروجه من حصنه الذى كان فيه وهو حصن الحصون . فهو أنه حين وصل له خبر ما فعل بحويرثه واخوته وما فتح من حصونه وما فعل بجيوشه عظم ذلك عليه وكبر لديه فألقى التاج عن رأسه وقال لم يبق إلا سجننا فى الأوطان مع الصبيان وقد بعثت جميع الجيوش والعساكر فلم أر منهم من يجيب وما للحاجه إذا عسرت إلا صاحبها فمن رضى لغنمه براع لا يحتاط بها فقد ضيعها . ثم نادى بعبيده وقال لهم طوفوا فى القبائل ونادوا فى العشائر معاشر القاصدين والوافدين ومن هم للمنيع عابدون ألا من أراد المسير إلى الملك الهضام فليأت اليه لأنه سائر الى مدينة يثرب ولى محمد بن عبد الله وجنوده ابن عمه على الذى هو فى طريقنا فمن أراد أن يعطيه الملك مدينة يثرب يسكنها أو ملكا يملكها أو حديقة من من حدائقها أو أرضا من أراضيها فليبادر الى الملك يعطيه ما طلب ويدفع اليه ما أحب . فقال له العبيد السمع والطاعة .

(قال الراوى) ثم تفرق العبيد فى قبائل العرب وهم ينادون بما أمرهم به الملك فأقبلت اليه سادات كل قبيله وأجابوه الى ما يريد فجعل يعطى كل واحد منهم ما طلب وفتح خزائن السلاح وكانت عنده أسلحة مدخرة ففرقها على الناس وهى من الدروع الدوادية والبيض العادية والسيوف الهندية والرماح الخطية وأعطاهم الخيل العتاق وأظهر أعلاما ملونة وبنودا مذهبة وفرقها على الرجال ولم يتم تلك الليلة حتى فرغ من أهبته فلما برق الفجر نادى العبيد فى القوم بالرحيل فارتجت الأرض لصهيل الخيل وقعقعة اللجم وتصافقت الرماح وتشابكت الصفاح وكبر صياح الأبطال والرجال وركب الملك وعليه رعافية حمراء فقال أصحابه عند ذلك أظهر الملك خلعة الغضب ولبس درع الغضب فالويل لمن لقيه من أعدائه ثم سار ولم يقدم أمامه طليعة ولا أنفذ سرية بل تقدم أمام القوم وتلاحقت به العساكر والخيل والرايات والبنود وأقبلت الكتائب يتلو بعضها أثر بعض وقبيلة أثر قبيلة وتقدم أمام الملك شاعره الغضبان بن فائد وقال ايها الملك هجس ببالى ابيات شعر فى سيرك الى عدوك اتأذن لى ان اقولها فقال له الملك قل ما عندك من الأبيات

بشرى فأنشد الغضبان يقول :

رفيقى بلغــــن عنى الأعادى — وأهـل الجـادتين ببطن وادى
ألا أبلـغ محمــدا التهامى — وأبنـاء الأكاسرة الشـداد
وقيلة والحصـار ونسل قيس — وأوسا ثم خزرجها الأعـادى
وبلـغ هاشمـا وبنى لؤى — وسكان البــلاد بنى أياد
وبلـغ يا أخا الهيجا عليـا — بأفضل ما به أضحى أنادى
فلسـنا مثل من لقيت طرا — وأهل المدن مـع أهـل البوادى
بلى أنا رجال الحرب قدما — نقد . بسيفنا هام الأعـادى
وملك الأرض سائقنا اليكم — فأين مقامــكم عنـد الجلاد
هو البطل السميدع عند حرب — يكـر على الفوارس فى البواد
سنخذل كل قسورة همام — من الأبطـال يطعن فى الفؤاد
ونملك يثربا عما قليــــل — ونسكن فى البطاح وكل وادى
ونقتل كل مــــن والى عليـا — ونخمد من قريش ومن أياد

(قال الراوى) فلما سمع الملك الهضام من شاعره تلك الأبيات فرح فرحا شديدا وقال لا فض فوك ولا ذل أبوك ثم أنه خلع عليه خمس خلع من الديباج وخمس عمائم قبطية مذهبة وحمله على حمراء سريعة وقرب بين يديه خمس رؤوس من الخيل العربية وساروا إلى أن أتوا إلى حصن الفواكه فلما وصلوا اليه سمعوا صياحا وصراخا والقوم من أعلى الحصن يستغيثون اليه ويشيرون فقال الملك لمن حوله انظروا إلى هؤلاء القوم ما بالهم يبكون ويصارخون وما هم اليه يشيرون فمضى اليهم أناس ثم عادوا اليه وقالوا له أيها الملك لا بد فى العيش من رغد وأن صراخ القوم من أجل هذا الغلام الذى فتح الحصون وخرب الديار وأيتم الاطفال . فقال يا ويلكم والويل لآبائكم فهل وصل اليكم أو أشرف عليكم فقالوا له أيها الملك إنما صراخنا وتصايحنا من مخافته قبل هجمته وقلقنا قبل طلعته فانه ماتوجه لقوم ووصل اليهم وأشرف عليهم ووصل بحسامه اليهم إلا وبطلت الحيل وانقطع الأمل لأنه ما وقعت عينه على شى . الا وصل اليه ولا ساوى منازلا فى الحرب الا وقدر عليه .

(قال الراوى) فوثب الملك بجواده الى أن وصل الى الرجل المخاطب ونظر اليه فاذا هو رجل من قومه يقال له مالك بن رباح وكان قد نزل به الخوف قبل هجمته

عليهم فلما تحققه الملك نظر إليه نظرة الغضب وضربه بسوط كان فى يده ، وقال له اسكت لا أم لك . فقد أرعبت قلوب الناس بوصف هذا الغلام ، ثم بعث إلى أهل الحصن وأحضرهم بين يديه وأرسل إلى صاحبهم فأحضر ، وكان اسمه مسطاح الأقرن الجراح بن دعامة الباهلى وكان الملك قد رباه مع ولده ناقد وكان محله محل الأولاد عنده فلما مثل بين يديه قال له الملك يامسطاح ماهذا البكاء والصراخ وماوصل إليكم واصل ولأدهمكم داهم . فقال مسطاح الأقرن وقد كان قوى الجنـــان فصيح اللسان أيها الأب القديم والملك الرحيم أما الفزع فمن سيف الإمام وهو رجل لم يبق بين يديه حصن إلا فتحه مسلوب من الطباع البشرية وصفاته منفردة عن الصفات الآنسية له مناقب علوية وأسرار خفية يلق نفسه منفردا وحيدا فى الجموع المتكاثرة وفى وسط الجيوش المتوافرة ولا يبالى بفتح الحصون وحده بغير معين كانه ملك سلط على العالمين وهاهو أيها الملك قد وصل إلى ديارك ونازل بجوارك وهو مصبحك أو مماسيك ولا يغرنك من معك من الجيوش والعساكر فهذا الغلام كالنار كلما حركت حطبها زاد لهيبها .

(قال الراوى) فلما سمع الهضام من مسطاح ذلك الكلام فار بالغضب فما صبر دون أن اخترط سيفه من غمده وضرب به مسطاحا على رأسه فقطع أكوار العمامة ووصل السيف إلى رأسه فشجه شجة عظيمة فسال الدم على وجهه وصدره وهم أن يثنى عليه بأخرى فتقدمت السادات من قومه والأكابر فمنعوه عنه وقالوا له أيها السيد انه ولدك الذى ربيته وأحسنت اليه وقدمته فلا تؤاخذه بسوء فعله فقال لهم ياقوم هل رأيتم أحدا وصف عدوى بهذه الصفة ونعته بهذا النعت بين يدى فلم يزالوا به إلى أن سكن غيظه وأمر بادخال الأحمال والأمتعة فى الحصن فنادى المنادى أيها الناس من علم من نفسه تقصيرا ومن جواده ضعفا فعليه بالحصن يدخل فيه فادخل الناس جميع ما يملكهم فى الحصن وصاروا جرائد بلا عائق وكان عدو الله الهضام ليس مراده مجرد ملتقى الإمام وإنما كان يقصد السير إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يظن أنه يملك مدينة يثرب كما ظن أهل خيبر والله قاض بخلاف ذلك .

(قال الراوى) فبينما عدو الله يهيء فى نفسه وهو عازم على المسير إذ رأى غبرة مرتفعة وزوابع هائلة وإذا هو بأمير المؤمنين قد أشرف عليه بجيشه وقد علا قتامه واسود ظلامه وجيوشه قد سدت منها الطريق وضاقت بها الأنق وأطلق

بها الجو فلما عاين الملك الهضام ذلك الغبار الطالع بعث طليعة من قومه وأمر عليهم قتادة بن عطية فمضى قتادة [و]من معه يتراكضون فلما عاينوا ذلك عادوا إليه مسرعين وأقبلوا إلى الملك الهضام فنظر اليهم وقد تحولت ألوانهم إلى الاصفرار فقال لمن حوله ما بال هؤلاء القوم وجوههم كالحة وما هى فالحة . فقال لهم حين أقبلوا ما وراءكم؟ فقال قتادة أيها الملك ان ابن أبى طالب لا يكافئه اكفاء ولا يزعجه الالتقاء وها هو قد أتاك باهل الأرض والسماء وقد عبأهم تعبئة الحرب وهم على أهبة القتال والضرب وهو أمامهم سافر لثامه وبيده رمح طويل ساوى به صدور الكتائب ويرد به قوة المواكب وهو مرة يحوم على الميمنة ومرة يحوم على الميسرة وهو لا يترك عنانا يخرج عن عنان ولا سنانا يبعد عن سنان والقوم له سامعون ولأمره طائعون وتحت لوائه منقادون ومن شره آمنون وها هو قد وصل اليك وكانك بة وقد أشرف عليك .

(قال الراوى) فلما سمع الملك الهضام منه ذلك قال له لقد ملئت قلوبكم هلعا وخشيتم منه جزعا وهل معه إلا عبيدكم ورعاة أغنامكم وسكان حصونكم وما خرج من يثرب إلا وحيدا فريدا ثم تقدم عدو الله الهضام فى الوادى إلى أرض واسعة هينة لينة تصلح لمجال الخيل وراءه ومد صفوفه ونشر بنوده ورتب جنوده ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وجعل القباب على الجمال وأوقفها على كثيب مشرف يلوح باختلاف الألوان فما فرغ من ترتيبه حتى أقبل عليه الإمام بعساكره وعليهم السكينة والوقار والهيبة والأنوار وهو بأزائهم كانه البدر إذا أنار فتارة يعدل يميناً وتارة يعدل شمالا ولا يترك عنانا يعدو عن عنان ولا سناناً يعدو عن سنان الى أن وقعت العين على العين فنظر الامام الى صفوف المشركين فصاح بأعلى صوته: معاشر المسلمين ان أعداءكم متأهلون لقتالكم فكونوا على صفوفكم ومراتبكم الى أن أعود إليكم ثم خرج الامام بنفسه وتقدم إلى القوم بالاعذار والانذار ولم يزل يتقرب اليهم حتى كاد أن يخالطهم وهو يسير على مهل من غير طيش ولا عجل فاضطربت الصفوف وتصارخت الرجال من حول الملك وقالوا له قف مكانك ياغلام فهذا محل الوقعة مرتبة للملكة ومواقف السلطنة والملك بعينه يراك ويرعاك فان كنت رسولا فقل ماعندك والإمام رضى الله عنه لا يسمع كلامهم ولا يردجوابهم الى أن دنا منهم وقاربهم (قال الراوى) فلما قاربهم أسفر عن لثامه وأجهر كلامه وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات

لأولى الألباب ـ الى قوله ـ أن آمنوا بربكم فامنا ـ ثم قال لهم يا أمة السوء ما بالكم أأنتم عمى عن الهدى أم صم عن النداء ، قدقفل الشيطان على قلوبكم أفلا تعقلون افلا تتفكرون فى السماء ومن خلقها ورفعها بغير عمد ترونها وخلق كواكبها ونور الشمس والقمر واجراهما وهى سبع سموات طباقا مملوءة بالملائكة الكرام يسبحون الليل والنهار لرب الأيام وقد خلقها بمشيئته وأمسكها بقدرته ودبرها بحكمته ورفعها بمعرفته بلا قوائم ولا دعائم ولا سند فلم لا تتعظون ولا تسمعون ولا تنزجرون وأنتم لا تعقلون فهذه ساعة الانفصال وساعة الارتحال فمن قال منكم : لا إله إلا الله محمد رسول فأنا منه وهو منى ومن ابى فأنا برىء منه وهو برىء منى فأنا ابن عم رسول الله انا سيف الله انا صاحب السر الخفى اناصاحب الحق الصفى انا المسمى بعلى انا ابن عم النبى فهل من طالب هل من راغب هل فيكم من هواه إلى الله صائب ويعود اليه تائب ومن الذنوب هارب انا ممزق الكتائب انا مظهر العجائب انا مبدى الغرائب انا الغيث الساكب انا فارس المشارق والمغارب انا ليث بنى غالب انا امير المؤمنين على ابن ابى طالب ثم انشد وجعل يقول

ايقظت لو ينفع الا يقاظ من جهلوا ... وقلت قولا ففيه الرشد ان قبلوا
طرق النجاة لكم أوضحت منهجها ... الى المهيمن ذى الغفران فامتثلوا
أولا فدونكم حربا يدمركم ... فان أبيتم فلا سهل ولا جبل
انى نصحتكمو والله يشهد لى ... وهل سواء على شاهد عدل

(قال الراوى) فلما فرغ الإمام من قوله وقف وهو صامت ينظر جواب القوم فالتجم لسانهم جميعا وصمتوا عن الجواب وأمسكوا عن الخطاب وعدو الله الهضام بينهم تحت الحيرة مما سمعه من كلام الإمام وكادت الأرض تموج به فبينما هو بين الذهلة والحيرة وهو باهت إذ تقدم اليه مسطاح الأقرن صاحب حصن الفواكه وقال بقوه الملك أعوذ برحمته ألوذ انه قدكان منى بالأمس لفظات أتت بها الجهلات من وصف هذا الغلام الكثير الكلام وقد أردت أن أخرج اليه وأنحو لديه وأقلل كلامه وأذكر له فضل المنيع ودلائله ومعجزاته وقدرته وإرادته وأرغبه فى جنته وسكانها وقصورها وحور وغلمانها وولدانها ونعيمها وأحذره من ناره وجحيمها وعذابها وأليمها وأعود اليك بالرضا وفوق الرضا .

(قال الراوى) ففرح الملك بذلك فرحا شديدا وكان بغيته أن يسير اليه الإمام تحت طاعته أو يرغب فى جنته ثم قال يامسطاح ائن رغبت ابن أبى طالب

فى جنتى حتى يدخل تحت طاعتى لأجعلنه الموكل بنارى وجنتى وأما أنت يامسطاح فلك عندى ما تطاولت اليه يدك من الاحسان والفضل والامتنان فعند ذلك عطف مسطاح بجواده مبادرا الى نحو الامام رضى الله عنه فناداه الملك قف هكانك يامسطاح فامسك جواده ووقف مكانه فأمر له الملك بخلعة من الديباج وتاج مرصع بالدر واليواقيت والذهب الوهاج وعقد له قبة من آخر قبابه ثم قال يامسطاح كن فى هذه القبة ليراك بعين المهابة والفخار ويشاهد عليك من هذه المملكة آثاراً ثم خلع من أصبعه خاتما من ياقوت وقال يامسطاح خذ هذا الخاتم وقل له هذا خاتم الأمان من عند الملك وسير بين يديه النجائب عليها سروج من الذهب الأحمر وقد نثر على رأسه علمين زاهرين والعبيد يقودون النجائب وسار مسطاح الى أن وصل الى الإمام رضى الله عنه ،

(قال الراوى) فلما وصل الى الإمام نظر اليه والى زينته فظن أنه الملك الهضام فتأهب له الإمام فلما أن قرب منه الامام وتقدم مسطاح صاح به الإمام قف مكانك واحبس زمامك وحل لثامك وأظهر كلامك فاللسان ترجمان الانسان فمن أنت ياهذا وفيم أقبلت ؟ فناداه مسطاح يا مولاى أنا رجل فى محبتك ومن أجلك مجروح وأنا بغير مطال ولا كثرة مقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن ابن عمك محمدا رسول الله فناداه الامام سعدت ياهذا بالايمان فما الذى قدمت اليه وعزمت عليه فقال له مسطاح الأقرن يامولاى إن لى أمرا أتيت إليك مساعدا ومسارعا ولأمرك طائعا وأنا صاحب حصن الفواكه وإن معى رجالا فى الحصن يسمعون قولى ويطيعون أمرى فان أحببت أن أرجع إليهم وأدعوهم الى الاسلام وما من الله به على من الايمان وأكره اليهم الكفر والفسوق والعصيان واتسبب أن ينقذهم الله من ضلالة الكفر والطغيان فانى لأمرك مطيع ولقولك سميع وإنى يامولاى آمل من الله تعالى أن يكون هلاك القوم وعدو الله الهضام على يدى إن شاء الله تعالى فشكره الإمام رضى الله عنه وجازاه خيرا وقال يامسطاح من رب السماء ربه ومحمد المصطفى نبيه والاسلام دينه فعليه كل أمر يسير ثم قال ارجع الى أن يحكم الله بما يشاء ويختار .

(قال الراوى) فرجع مسطاح إلى الملك الهضام وقد أشرق وجهه بنور الايمان فنظر اليه الملك فرأى نور الهداية يلوح من وجهه وعليه هيبة الاسلام فاستقبله الملك وقال له يامسطاح أرى وجهك منيرا وهو يدل على خير كثير فما الذى قلت وما الذى قيل لك فقال أيها الملك انى لما سرت

من عندك وتوجهت إلى ناحية القوم مازلت سائرا إلى أن أتيت الى رجل قل فى الناس مثله لايجوز عليه خديعة ولايخفى عليه مكر وإنى ذكرت له مناقب الملك وكرمه وقوته وشدته ورغبته فى جنتك وحذرته من نارك فلان واستكان ودخل تحت الطاعة والأمان إلا أنه ذكر لى أن له معك خطابا وعتابا وأمر أن يظهر عندك هناك فى مشهد من قومك فلما سمع الملك الهضام من مسطاح ذلك الكلام فرح فرحا شديدا وظن أن ذلك حق وغرق فى بحر التحير وأمر الناس بالنزول فنزلوا وتفرقوا فى تلك الأرض وكان الملك الهضام قد قاد معه أربعة آلاف مطية للنحر ففرق منهم فى تلك الليلة على القوم ماعمهم ودفع منها لمسطاح مائة ينحرها لأهل الحصن وقال يامسطاح خذ هؤلاء النوق وانحرها لقومك ليكونوا امعنا فى السرور ثم قال هذا يوم الأكرام واطعام الطعام وشرب المدام فقام مسطاح وقاد المطايا بين يديه إلى أن وصل الى الحصن لجمع قومه وسائر أصحابه وقام فيهم كالخطيب وشوقهم إلى الجنة وحذرهم من النار ورغبهم فى عبادة الملك الجبار ودعاهم الى الإسلام وشوقهم الى رسول الله ﷺ وخوفهم من ابن عمه على بن أبى طالب رضى الله عنه فقالوا له ياسيدنا ما الذى تريدمنا أن نفعله؟ فقال لهم أن تقروا لله بالوحدانيه ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة فقالوا بأجمعهم نحن نشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله فعند ذلك خرج مسطاح ساجدا شكرا لله تعالى ثم قال لهم انحروا الآن الجزر على اسم الله تعالى جمعت الآن فرحتان ونحن مسرورون بأخذ الأمان من ابن أبى طالب فأبشروا يا قوم بأنى نجيتكم فى الدنيا من العار وفى الآخرة من عذاب النار فهذا ما كان من أمر مسطاح

(قال الراوى) وأما ما كان من خبر الإمام رضى الله عنه فانه حين رجع مسطاح من عنده نزل وأمر الناس بالنزول ثم جمع أصحابه وقال لهم كونوا فى مكانكم الى الفجر وأنا أرجو من الله تعالى أن تكون هذه الليلة آخر الليالى مع الكفرة اللئام فاستبشر الناس عند ذلك بقوله فلما أتى الليل وانسدل الظلام أضرمت المشركون النيران وتحارست الفئتان فلم ير الناس فى تلك الليلة أكثر حرسا على القوم من الإمام حذرا من حيلة أو كبسه فى ظلام فكان يحوم بنفسه على أصحابه اذ لاح له فارس يركض جواده ركضا خفيفا فامتشق الامام سيفه بيده وما زال سائرا الى أن وصل الى الفارس وهم أن يضربه فصاح به فاذا هو مسطاح. فقال أهلا وسهلا ومرحبا يا مسطاح ما الذى أتى بك فى

هذا الوقت فقال له يا سيدى فرج عاجل وسرور شامل فيما أنت اليه متطاول فقال له الإمام أتبشرنى باسلام قومك فقال يا سيدى قومى أسلموا وأبشرك بالوصول الى عدوك وعدوى الهضام وان قومى الذين أسلموا أربعة آلاف فارس والملك الهضام قد وصل الى فى عسكر قليل من قومه الكفرة اللئام واعلم يا مولاى أن القوم متحيرون فتبسم الامام من قوله وقال أخبرنى بالخبر على حقيقته فقال يا مولاى انى لما رجعت من عندك قال لى الملك ما كان خبرك يامسطاح وما قال لك هذا الغلام فقلت له أيها الملك انى لما سرت من عندك توجهت الى الإمام فما زلت سائرا الى أن أتيت الى رجل قل فى الناس مثله وانى ذكرت له مناقب الملك وكرمه وقوته وشدته ورغبته فى جنتك وحذرته من نارك فلان واستكان ودخل تحت الطاعة الا أنه ذكر لى أن له معك خطابا وعتابا فلما سمع منى ذلك الكلام أولم للعسكر باذعانك وليمة عظيمة وفرح بذلك فرحا شديدا وظن أن ذلك حق وإنما هو مكر منى وخديعة خدعته بها وقد كان أتى معه بأربعة آلاف ناقة للنحر فلما أخبرته أنك دخلت تحت طاعته فرقها على سائر القبائل أجزاء ليكرمهم بها وأعطانى مائة ناقة وقال لى خذ هذه وانحرها لقومك ولأهل حصنك فأخذتها وسرت بها حتى دخلت حصنى وجمعت قومى ودعوتهم الى دين الاسلام فأجابونى عن آخرهم فقلت لهم الآن فانحروا جزركم فنحروها وسوينا الطعام والعرب كذلك واذا بالملك قد خرج فى ألف غلام من خاصة قومه وهو يدور على قبائل العرب وهم جلوس فجعل يأكل من كل جفنة لقمة ليكون ذلك زيادة فى اكرامهم فتقدمت اليه وقلت له أيها الملك ان قومى قد شملهم الاكرام لأكلك معهم الطعام من الخاص والعام وقومى متطاولون اليك ليكون لهم أسوة بالناس فى الاكرام فلما سمع منى ذلك نهض معى دون غلمانه وما زلنا الى أن وصلنا الحصن وقد بسط عرصات الحصن بالبسط والفرش وقد جلس الملك فى ديوان الملك والغلمان من حوله وهو منتظر لقدومك والناس قد امتنعوا عن الطعام وهو بين أيديهم منتظرين اليك

(قال الراوى) فلما سمع الإمام ذلك الكلام من مسطاح تقلد بسيفه وتمنطق بحجفته وركب جواده وسار ومسطاح بازائه فلما وصلوا الى الحصن وجدوا الناس جالسين فى انتظارهم فلما نظر أهل الحصن الى الامام رضى الله عنه وهو قادم عليهم ومعه مسطاح نادوا بأجمعهم أهلا بسيد الشجعان أمير المؤمنين وفارس الفرسان

وسيد الموحدين فناداه الملك الهضام أين كنت يا مسطاح فقال أيها الملك كنت عند صديق لى ولك دعوته يأكل معك الطعام ليشمله من الملك الاكرام فلما نظر الملك الى الإمام والى هول خلقته وكبر جثته وعرض منا كبه امتلأ قلبه خوفا وفزعا وقال من هذا يامسطاح ؟فقال أيها الملك هذا الذى ذكرت لك أن بينك وبينه خطابا وعتابا وشروطا وجوابا وقد أتى ليوافيك عليها فلما سمع ذلك تغير لونه وارتعدت فرائصه وهم بالـكلام وهو لا يستطيع الـكلام وقال ويحك يا مسطاح وإيش يكون الخطاب والعتاب

(قال الراوى) فكشف الإمام عند ذلك لثامه وأظهر كلامه واخترط سيفه من غمده وقال ويحك يا مسطاح كيف تنافق على الملك وهو لا يعرف الخطاب : أنا أعرفه بنفسى أعلمك أيها الملك : أنا ريب المنون . أنا رحا الطاحون : أنا فاتح الحصون . أنا زوج البتول . أنا ابن عم الرسول . أنا سيف الله المسلول : أنا مزق الـكتائب أنا مظهر العجائب أنا مبدى الغرائب أنا الحسام العاطب أنا القرم الغالب أنا الأسد الطالب أنا فارس المشارق والمغارب أنا ليث بنى غالب أنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب ثم تقدم اليه الامام فتواثب القوم وتركوا الطعام وأسرع مسطاح الى باب الحصن فاغلقه واخترط حسامه وقال : الله أكبر فتح ونصر وخذل من كفر باللثام والتفت الى قومه وقال ياجند الله اظهروا سيوفكم فأظهر الناس أسيافهم ونادوا بأجمعهم نحن نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ومال القوم بأجمعهم الى ناحية الإمام رضى الله عنه وهو مضيق على الهضام ودار القوم بالملك الهضام وأصحابه فأمر الإمام بالضرب فيهم فناداهم الملك الهضام مهلا مهلا يا قوم حتى ننظر كما نظرتم ونسمع كما سمعتم ونرضى لأنفسنا كما رضيتم لأنفسكم وان تكن الأخرى فالحرب والقتال بين أيديكم فناداهم الإمام أيها الناس امهلوا عليه وتفرقوا عنه واتركوه فرجع الناس عنه وسيوفهم مشهورة فى أيديهم .

(قال الراوى) ثم ان الملك الهضام قال يابن أبى طالب عليك بالمهل واترك العجل فقد رفعت عندى منزلتك ولولا أنه لاح لى من أمرك الحق وبان الصدق لما بعثت اليك هذا الخائن الغدار استخرتك بروحى الى نعمى وأبحت لك جنتى ونعمتى فلا يكون عليك اليوم فى ذلك سبيل وان أردت أن تزداد من ذلك الاكرام فارم هذا الغدار منك بالسيف والانتقام وانى لو أردت حربك لحاربتك ومعى مائة الف عنان ولقد كان يجب على اللئيم مسطاح لما ان شرب من كاسك ان ينصف انا ماظهر منك والآن

قد ظهر الأمر بما فيه وقد ملكك منا ورمانا بين يديك وفى قبضتك فأوردنى المنهل البارد وأوضح الطريق للقاصد السالك فان سلكته اقلت وان تركته قتلت ، فلما سمع الإمام ذلك من عدو الله الهضام قال لهاسمع الآن بأذنك واوع بقلبك : ان الله تعالى قد أحل لنا سفك دماء الكفار والمشركين وتملك أموالهم آمنين إلا من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله . فمن قالها صادقا غير منافق كان لدين الإسلام موافقا

(قال الراوى) فلما سمع ذلك عدو الله الهضام قال وهل فيه شيء غير ذلك فقال له الإمام رضى الله تعالى عنه لا يكون شيء غير هذا فقال الهضام :

انا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله فقال له الإمام عند ذلك قم بنا الآن إن كنت آمنت بالله ورسوله وادع قومك إلى الإسلام وإن كنت غير ذلك فالله أعلم انهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم قال تعالى ـ وما يؤمن أكثرهم بالله الاوهم مشركون ـ ومن خلق من أهل النار فلا يكون من أهل الجنه ومن خلق من أهل الجنة فلا يكون من أهل النار ثم قرأ قوله تعالى ـ من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجدله وليا مرشدا ـ ثم قال ياهضام انك والله اعلم لن تؤمن حتى يلج الجمل فى سم الخياط ولكنك تكلمت بكلمة منعتنى عنك وهى كلمة النجاة التى قلتها والله يجازيك على مااضمرت عليه فى قلبك ثم التفت الإمام الى أصحاب الهضام وقال لهم ما أنتم قائلون فقال رجل منهم فأنا أقول أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فتأمله الامام فاذا هو جميل بن كثير العابد الذى أرسله النبى صلى الله عليه وسلم أمام الإمام بالكتائب وارتد عن الإسلام فلما تحققه الإمام وعرفه تبسم ضاحكا وقال ياجميل لاجمل الله أمرك ولارفع قدرك ياملعون كفرت بعد ايمانك ياويلك . ثم وثب اليه الامام كأنه الاسد اذا عاين فريسته وضربه بذى الفقار من فوق رأسه فسقط نصفين

(قال الراوى) فلما نظر ذلك الهضام . قال يا ابن أبى طالب ما أراك تبق على من دخل فى دينكم ولا من شهد بربكم فقال الامام رضى الله عنه هذا رجل قد ارتد عن الاسلام وكفر بعد الايمان ولا أمان عندى لمن يرتد عن الدين بعد اقراره لرب العالمين فانظر لنفسك وتدبر امرك كيف شئت وانشد يقول :

هذا الجزاء لمن أراد فراقنا ... وارتد جهلا عن ضيا الاسلام
أنظر ابا هضام نظر مفكر ... لا تخد عن خديعة الاقوام
من فاز بالاسلام ثم بدا لنا ... منه الفناق وباء بالآثام

نملا له كأس المنية مترعا   ونذقه من بحر الهلاك الطامى
ثم الصلاة على النبى محمد   ما لاح بدر التم جنح ظلام

(قال الراوى) فلما فرغ الإمام من شعره التفت إلى أصحاب الهضام فقال لهم ما أنتم قائلون ؟ فقالوا له ما نحول عن ديننا أبدا فقال الإمام لمسطاح هو وقومه دونكم وإياهم فما استتم كلامه حتى عطفوا عليهم فقتلوهم عن آخرهم والهضام ينظر اليهم وهو يرتعد كالسعفة فى الريح العاصف حيث رأى الموت بعينه وقد يبس فى مكانه واصطكت أسنانه بعضها فى بعض فالتفت اليه الإمام وقال له دونك وقومك ياهضام امض اليهم وأسرع بالجواب فقد أمهلتك وامهلت قومك وجميع من معك إلى الصباح فمن اصبح واتى الينا مسلما فله الأمان عندنا ومن طلعت عليه الشمس وهو مصر على دينه فلا امان له عندى إلا السيف فتقدم الهضام إلى جواده وركبه حين اعطاه الإمام الاذن بالخروج وكان لايصدق بالخلاص ابدا فصار مسطاح وقومه يشير للإمام ان لايسمح له بالخرج لما يعلمون من كفره وخديعته فتبسم الامام رضى الله عنه من كلامهم ضاحكا حتى خرج الهضام من الحصن فلما خرج قال مسطاح يا أمير المؤمنين لقد اطلقت من يدك اسدا عظيما وقل ان يعودوان يقع فى يدك كما وقع هذه المرة فقال الإمام يامسطاح لقد حمى نفسه بقوله لاإله إلا الله محمد رسول الله ولا سبيل لنا على من قالها والليلة هذه آخر لياليه والله مهلكه ومؤذيه وانكم لترون منه ومن صنعه عجائب وغرائب

(قال الراوى) ثم هم الإمام بالخروج فقال مسطاح ياسيدى اما تأكل من طعامنا وتشرفنا وتسر قلوبنا بأكلك عندنا فاننا قد ذبحنا على اسم الله تعالى فقال الإمام إنى اخشى على إخوانكم ان يطرقهم طارق من هذا الكلب المنافق فجاء الأكل فأكل الإمام رضى الله عنه فلما أكل حمد الله واثنى عليه وركب جواده وهم بالخروج وأوصاهم وقال اغلقوا حصنكم ولا تخافوا فانى راجع اليكم واطلق عنان جواده وخرج من الحصن فنظر الأرض وهى تموج من اصطكاك حوافر الخيل وصهيلها وقعقعة اللجم ورماحها وتصافح الرماح واشتبا كها وطنين السيوف وزعاق الأبطال وتلاحم القوم فى ظلام الليل فقال الامام رضى الله عنه لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم:

(قال الراوى) وكان عدو الله الهضام لما خرج من الحصن وفاز بنجاة نفسه أطلق عنان جواده حتى وصل إلى عسكره وصرخ فيهم وقال ياويلكم اركبوا الخيل

واهجموا على القوم فى الليل فقد حصدوا قومكم بالسيف وقد كاد أن يحصد صاحبكم لولا سبق الأجل فاغتنموا غفلة القوم لأن الإمام على بن أبى طالب قد خلف أغنامه سائبة ثم عدل عدو الله بنفسه إلى أصحاب الإمام وحمل قومه فى أثره فلم بشعر أصحاب الامام إلا وقد غشيهم جنود عدو الله الهضام وزحفت عليهم الرجال وتزاعقت بهم الأبطال وقد كان أصحاب الامام متأهبين للقتال كما أمرهم الامام رضى الله عنه وقد كان تولى حرسهم ناقد ابن الملك والرغداء وجنبل وخالد وحويرثة وبقيه القوم كل واحد منهم قابض على سيفه وعلى عنان جواده فلما سمعوا زعقة عدو الله الهضام على قومه ثواثب أصحاب الإمام إلى خيولهم كالأسود الزائرة أو كالبازات الطائرة واجتمعوا وألصقوا مناكبهم إلى بعض والتفوا حتى صاروا كالحلقه الدائرة ثم قال بعضهم لبعض كونوا شدادا لأن أميركم لا يغفل عنكم فاحتوت جنود الملك الهضام من كل جانب ومكان وهم يظنون أنهم ظافرون بهم فلما التقى الجمعان علم أصحاب الهضام أن ما أملوه منهم بعيد والوصول اليه صعب شديد

(قال الراوى) فاشتد القتال وازدحمت الأبطال وصرخت الرجال واشتد الغضب وعظم الكرب ونادى أصحاب الامام إلى أين يا أولاد اللئام أتحسبون أننا نيام وثار الغبار وقدح الشرار من حوافر الخيل الأشرار وصار الرجل لا يعرف صديقه من عدوه فبينما القوم كذلك اذ سمع الفريقان زجرات ونهرات وصرخات مزعجات وكان الامام رضى الله عنه قد أقبل وعلا صوته على جميع الأصوات فخمدت عند صرخته جميع الصرخات فلما سمعه أصحابه وهو يقول : الله أكبر فتح ونصر وخذل من كفر بالنام ـ نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ـ يا محمد معاشر المسلمين الصبر الصبر. الجنة الجنه . يا أولاد الكرام قد أتاكم الفرج من عند من لا ينام . قد أتاكم الأسد الضرغام والبطل المقدام مفرجها عند الزحام إذا اشتد الكرب وعلا القتام ممزق الكتائب ومظهر العجائب ومبدى الغرائب فارس المشارق والمغارب ليث بنى غالب أبو الحسن على بن أبى طالب ثم أنشد وجعل يقول :

أنا على خائض أهوالها	أنا على كاشف زلزالها
أنا أبو الحسنين سبطى محمد	أنا لها أنا لها أنا لها
أنا على وابن عم المصطفى	هو خير من وطىء والثرى بنعالها
يا أيها المغرور أقبل لا تخف	فلتنظرن هامات ليث مجالها

(قال الراوى) ثم حمل الإمام عقب كلامه وكبر تكبيرة عظيمة فأجابه قومه عند ذلك بالتكبير لحمد الله وخمدت أصوات المشركين ولم يزل الإمام رضى الله عنه يخترق المواكب ويشتتها وهو يضرب فيهم بالسيف يمينا وشمالا إلى أن وصل الى قومه فى جنح الظلام وكان قد طحن الأبطال وأردى الرجال فلما وصل الى أصحابه نادى معاشر الأصحاب قد أتاكم أميركم وحامى حومتكم احملوا بارك الله فيكم فحملوا وحمل الامام فى أوائلهم وعمد الى الكافر الغدار المنافق رأس الكفار وقال هلم الى الموت والدمار من الفارس الكرار قاتل الكفار ومبيد الفجار وقامع الأشرار وسائقهم الى الويل والدمار ومفنيهم بالصام البتار فلم ير الامام رضى الله عنه لهخبرا ولا وقع له على أثر وقد اختلط بالقوم الظلام وأذاقوا بعضهم الويل الى أن كلت الخيل من تحتهم وعمل فيهم الحسام تزلزلت الأقدام وأريقت الدماء وكثر البلاء وعملت الصوارم وطارت فى الجماجم وتواثب الكرام وولى اللئام واشتد الزحام وعلا القتام وكانت ليلة يالها من ليلة ما رأى الناس أعظم من قتالها ولا أشد من نزالها ولم ير مثلها على عهد رسول الله ﷺ ولم يزل القوم كذلك الى أن طلع الفجر فافترق القوم عند الصباح وقد ملئت الأرض أشباحا بلا أرواح الى أن خاضت الخيل فى الدماء.

(قال الراوى) فلم يكن غير قليل من الليل حتى افتقد المشركون صاحبهم الهضام فلم يجدوه وافتقد المسلمون أميرهم فلم يروه فقلق كل من الفريقين على أميرهم فلا المشركون علموا بغيبة الهضام ولا المسلمون علموا بغيبة الامام فاشتد القلق من المسلمين على الإمام فجعل ناقد ينشد ويقول

لئن غاب عنى شخص مولاى حيد … فأنى عليه فى المنام حزين
ولكننى أرجو من الله عوده … على حالة الإكرام وهو مصون
وصل على خير البرايا محمد … نبى الهدى للعالمين أمين

(قال الراوى) فبينما المسلمون كذلك وقد فوضوا أمرهم الى الله عز وجل وقد أجمعوا أمرهم على أن يقاتلوا الى أن يفنوا عن آخرهم فبينما المسلمون فى أشد القلق والحيرة على الامام رضى الله عنه اذ ظهر فارس من عسكر المشركين الى أن قرب من عسكر المسلمين ثم نادى برفيع صوته معاشر العرب ان عرصات الحرب مملوءة قتلى منا ومنكم فهل تواعدونا ونواعدكم الى أن نحمل قتلانا وتحملوا قتلاكم وتريحوا خيلكم ونريح خيلنا بقية يومنا هذا الى غداة غد

فأجابهم المسلمون لذلك وفرحوا فرحا شديدا وهم يرجون أن يسمعوا للإمام خبرا وكذلك المشركون يرجون أن يسمعوا عن الهضام خبرا فأخذ كل فريق قتلاهم وجعلوا فى مواراتهم تحت التراب هـذا ما كان من الأقوام .

(قال الراوى) وأما ما كان من أمير أمير المؤمنين رضى الله عنه فانه كان يدور من حول العسكر فى القتال وهو يطلب عدو الله الهضام فلم يجده ولم يقع على خبره فى وقت الحرب فبينما هو كذلك إذ نظر إلى عدو الله الهضام وهو خارج من معمعة الحرب هاربا وعلى وجهه طالباً إلى الحصن الذى هو حصن الحصون فخرج الإمام رضى الله عنه فى أثره وكان الإمام قد نزل عن جواده وجد السير وهو ماش على أقدامه وهو يقول : توكلت على الله وكان رضى الله عنه إذا أراد السعى يسبق الخيل السوابق وقد حاد عن الطريق بجواده لأنه رضى الله عنه كان لا يتبع هازما فى طريقه قط فسار الإمام وجد المسير والى الله المصير وهو ينشد ويقول :

أسعى على اسم الله ذى الجلال بعون مولى قادر فعال
أجندل الكفار فى النزال وأضرب الهامات بالنصال
أسقيهم الويل مع النكال باذن رب واحـد متعال

(قال الراوى) ولم يزل سائرا إلى أن وصل إلى الحصن الأقصى قبل أن يصل عدو الله الهضام اليه فنظر الإمام الى الحصن فاذا عليه الحرس الشديد فأراد أن يصل الى باب الحصن فلم يجد اليه سبيلا فجعل يطوف حول الحصن يميناً وشمالا فاذا هو بخرق كانوا اصطنعوه لأجل خروج المطر منه اذا اجتمع فى الحصن فنظر الإمام فيه فوجده ضيقاً فشبك فى حجر بيديه وجذبه فاقتلعه من مكانه وأزاله عن بنيانه ثم قلع آخر من مكانه وأزاله عن بنيانه ثم قلع آخر وآخر ولم يزل كذلك الى أن دخل الحصن والقوم لايعلمون بشىء من ذلك بتوفيق الله تعالى (قال الراوى) وأقبل الإمام يمشى فى الحصن كانه يعرفه سابقاً أو يعرف طرقه ومسالكه هذا هـدى من الله سبحانه وتعالى ولم يزل كذلك الى أن وصل الى القبة التى فيها الصنم وجعل يدخل من باب الى باب ومن بيت الى بيت ومن قبة الى قبة الى أن دخل الى القبة التى فيها الصنم وهو معلق فى الهواء والقناديل موقدة لا تطفأ ليلا ولا نهارا وليس عنده مساعد ولا خادم فنظر الامام الى الصنم فماج الصنم واضطرب فى القبة وتخبط فى حيطانها ورمت المردة الموكلون به بنيرانها وارتفع الصنم حتى صار فى سماء القبة ورمى الإمام من أعلى القبة بالصخر

والجنادل وخرج من فم الصنم لهيب النار حتى اشتعلت القبة بالنار وظهر للناس رؤوس بلا ابدان وأبدان بلا رؤوس فلما نظر الامام رضى الله عنه الى تلك الفعال من الصنم والشياطين والمردة لم يكبر عليه شيء من ذلك بل تبسم ضاحكا وصاح بهم ويلكم : أنا من تعرفونه ولا تنكرونه . أنا البلية النارية . أنا الصاعقة عليكم . انا مفنيكم جيلا بعد جيل وقبيلة بعد قبيلة فهيهات هيهات أن يكون لكم على سبيل .

(قال الراوى) فلما فرغ الإمام رضى الله عنه من أوصافه ازداد الأمر وكثر الشر وهجمت النيران وعلا الدخان وتصاعدت الزعقات وعظم الشأن ودارت المردة والشياطين حول الامام من كل جانب ومكان فلما نظر ذلك الامام رضى الله عنه عزم عليهم باسماء الله العظام التي تخضع لها الرقاب وشمر عن ساعده وامتشق سيفه من غمده وصاح بهم يا معاشر الفجار وقبائل الأشرار ومردة الكفار وسلالة الفجار انكم لا تعلون على ولا تصلون لدى أنا ريب المنون ورحا الطاحون ثم ضرب بسيفه فيهم يمينا وشمالا وهو يتكلم بكلام علمه له رسول الله ﷺ وهو حجاب عظيم وهو حاجز من الجن والمردة وجميع الأعوان الطاغين ، وهو : بسم الله الرحمن الرحيم سلام قولا من رب رحيم فعند ذلك خمدت نيرانهم وذهب دخانهم وعاد الصنم المنيع ، ملقى صريع ، فأخذه الامام رضى الله عنه ووضعه فى مكان آخر فهذا ما كان من أمر الامام رضى الله عنه .

(قال الراوى) وأما ما كان من أمر الهضام لعنه الله فانه لما سمع زعقات الامام ونهراته وزجراته وصرخاته خاف خوفا شديدا وخشى أن يعرفه أو يعرف مكانه فى معمعة الحرب فجعل يحب عنه يمينا وشمالا وهو يؤمل أن أصحابه يظفرون بأصحاب الامام رضى الله عنه فلما نظر الى قومه وهم خاسرون مغلوبون خشى على نفسه أن يأتيه الامام رضى الله عنه بالصباح ويراه فغافله وخرج من معمعة الحرب هاربا يركض جواده إلى أن وصل الى الحصن الأقصى وهو حصن الحصون وكان قد ترك فيه سرية من الرجال ومنعة من الأبطال فلما أن وصل إلى باب الحصن صرخ بقومه فعرفوا صرخته فنزلوا إليه مسرعين وفتحوا له الباب وسألوه عن حاله فلم يرد عليهم جوابا ولم يبد لهم خطابا غير أنه قال أغلقوا بابكم واحفظوا حصنكم لئلا يدخل على بن أبى طالب ولا تفتحوا لأحد ومضى هاربا وإلى الصنم المنيع قاصدا فنزل عن جواده وجعل يهرول ويوسع فى خطاه حتى فتح القبة ودخل إلى الصنم مستغيثا ومستجيرا به فلما توسط القبة

وكان الصباح قد أصبح نادى إلهه المنيع وقال إلهى هل عندك ملاذ من سيف الامام على ثم رفع بصره اليه فلم يره وطلبه فلم يجده لخار وذهل وجعل يمسح عن عينيه وينظر اليه فلم يلقه فقال ما أنا وأنت إلا فى البلية سواء فكل منا هارب من على بن أبى طالب فأما أنا فوجود وما أنت فمفقود ويا ليت شعرى هل نزلت الى الثرى أم طلعت إلى السماء ووقف وهو حائر .

(قال الراوى)واذا بقائل يقول له : لا نزل الى الثرى ولا طلع الى السماء بل نزل به البلاء من يد الامام المرتضى فلما سمع ذلك الهضام التفت إلى ورائه فاذا هو بالامام واقف يخاطبه فاندهش من ذلك وحار ، وقال يا ابن أبى طالب أنت من السماء نزلت أم من الأرض نبعت فقال له الامام انا عليك ومعك أينما توجهت ثم انى لصنمك أخذت وهاهو بين يدى فلما نظر الهضام إلى صنمه مد يده اليه وجعل يقبله ويبكى عليه ويسأله ويتضرع اليه ثم أنشد وجعل يقول :

قد بلغ الأمـــر هل من مجير | وهل من معين وهل من نصير
وصعب الكرب وغاب المشير | والأزمة اشتدت وعز النصير
وأيدى الأعادى بنا أنشبت | وهـــذا الأوان عسير عسير
فويل لنـا ثم ويـــل لنـا | فهذا عـلى همـــام كبير

(قال الراوى) فلما فرغ الهضام من كلامه انقض عليه الامام كأنه الأسد إذا عاين فريسته وقبض عليه قبضة مزعجة ولوحه وجلد به الأرض فقال يا ابن أبى طالب خذ الفداء عنى وعن صنمى المنيع الاله الرفيع فقال له الامام رضى الله عنه تعسا بك وبصنمك ولعن الله اباك وجدك وامك ثم مد يده إلى عمامته لحلها واوثقه بها كتافا وتركه لا يستطيع أن يتحرك فبينما الامام رضى الله عنه كـذلك إذ سمع صرخات قد علت وضجات تواترت فلما تحقق ذلك ترك الهضام فى مكانه وصعد حتى سار على أعلى السور وتخالط بالقوم وهم لا يعلمون ماحل بالهضام ولم يعرفوا الامام وهو بينهم كالأسد الضرغام .

(قال الراوى) فبينما هو ينظر الى الوادى إذ رأى المنهزمين من المتركين متوجهين من حصن الفواكه الى الأقصى من بين يدى المسلمين والمسلمون من ورائهم يأخذونهم من كل جانب ففرح الإمام بذلك فرحا شديدا وسمع مسطاح الأقرن وهو ينادى الى أين يا أبناء الأراذل وريب المنون بكم نازل أيا عصبة الكفار ونسل الفجار الى أين تروحون والى أين تمضون

فلما نظر الإمام رضى الله عنه إلى أفعال المسلمين فى المشركين زادت به الأفراح وايقن بالنصر والنجاح هذا والمشركون ينادون يا ضرار بن طارق افتح لنا الباب فصرخ ضرار لا تفتح لكم الباب لئلا يدركنا على بن أبى طالب كل هذا والامام بينهم ولم يرد عليهم جوابا ثم امتشق سيفه ووثب فيهم وقال لهم ياويلكم والويل لآبائكم وأجدادكم يامعاشر الأشرار وسلالة الفجار هاأنا على قد هجمت عليكم وطلعت إليكم فى الديار وملككم الهضام اللعين الغدار أسير عندى وكسرت إلهكم المنيع وصنعت به أبشم صنيع ثم قال لهم ان سلمتم إلى أنفسكم واستأثرتم بأجمعكم والا محوتكم بهذا السيف عن آخركم فوثب اليه رجل منهم فضربه فقطع رأسه ومسكه من رجليه وضرب به الآخر فقتله وصرخ فى وجه الثالث فمات من صرخته ثم أمسكه وضرب به الآخر فقتله والخامس قبض عليه وهو حى وضرب به السادس فقتلهم جميعا فلما رأى القوم ذلك من الامام صار بعضهم يتأخر إلى ورائه إلى أن يقع من أعلى الحصن على أم رأسه وبعضهم يتقدم الى ناحية الحصن فيقع فيموت

(قال الراوى) فلما نظروا ذلك علموا أنهم لاطاقة لهم بالإمام فنادوا بأجمعهم الأمان الأمان يا ابن أبى طالب وهو يلوحهم يمينا وشمالا فقال لهم لا أمان لكم عندى حتى يكتف بعضكم بعضا وهو ينادى الله أكبر فتح ونصر وخذل من كفر نصر من الله وفتح قريب يا لثام فلما سمع المسلمون صرخات الإمام من أعلى الحصن أجابوه بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير فلم تكن فرحة عند المسلمين أعظم من هذا الوقت حين رأوا الامام فوق الحصن وقد ملكهم إياهم ولم يزل المسلمون يضربون بالسيف فى المشركين حتى حاروا واندهشوا وصاروا لايدرون اين يذهبون؟ فقال بعضهم لبعض يا ويلكم ان اقمتم هنا افنوكم بالسيف عن آخركم فى الحصن ولو لقيتم على بن ابى طالب فهو اعظم ممن قصدكم فانه لايغلبه غالب ولاينجو منه هارب فعند ذلك صاحوا بأجمعهم الأمان الأمان يا ابن ابى طالب فقال لهم الآن كتفوا بعضكم بعضا فأخذ القوم فى تكتيفهم حتى لم يبق أحد منهم الا وهو موثق (قال الراوى) وأما المسلمون فانهم قد احتاطوا بالمشركين واما الرغداء بنت الخطاف فانها حلفت بحياة رأس امير المؤمنين ان لا ترجع عنهم حتى تذيقهم الحمام وتبيدهم بحد الحسام ثم نادت هل من مبارز للنزال هل من مناجز للقتال فأنا الأسد الضرغام والبطل المقدام فلم يكن فى القوم من يرد لها جوابا ولا جسر

أحد أن يرد عليها خطابا وكان القوم قد خمدت نيرانهم وعظمت عليهم البلية وقلت حيلتهم فلما رأت الرغداء رضى الله عنها ذلك منهم حملت على الميمنة فقلبتها ميسرة وعلى الميسرة فقلبتها ميمنة وأشارت على المسلمين بالحملة فحملوا حملة منكرة وكبروا مع حملتهم فارتج لذلك الوادى واشتدت القتال وعظم النزال وعملت الصوارم وطارت الجماجم وكانت الرغداء لا تتوجه إلى فرقة إلا طحنتها طحن الحصيد وفلت الفرسان وأبادت الشجعان وهى تنادى إلى أين يا أولاد اللئام فصارت الفرسان تحيد عن أماكنها حتى ظن الناس أنها الإمام لقوتها وشدتها وقوة حطمها وهى تقول الصبر الصبر يا أولاد الكرام فبينما هم كذلك فى شدة القتال وإذا بعجاج قد طلع من ناحية حصن الفواكه وارتفع ذلك الغبار إلى السماء ثم انكشف عن الف فارس وبينهم فارس طويل على جواد سابق تلوح الشجاعة من بين عينيه والفروسية تشهد له لا عليه ولم يكن أسرع منه إلى القوم .

(قال الراوى) فلما وصل الى القوم حمل هو وقومه على المشركين حملة عظيمة ووضع السيف فيهم ففرح بذلك المسلمون حين نظروه واذا هو مسطاح الأقرن وهو ينادى ويقول : أبشروا بالنصر يا حزب الرحمن ، فأنا مسطاح الأقرن أنا قاتل الفرسان أنا مبيد الشجعان فلما سمع ذلك المشركون وقع بهم الذل والاحزان والخبل والخذلان وأخذهم السيف من كل مكان فقالوا لبعضهم يا ويلكم هذا جانب من العطب وابن أبى طالب غائب وقد حلت بكم هذه الكتائب فكيف اذا كان حاضرا ؟ فلو كان حاضرا لبليتم منه بالمصائب ولم يعقه منكم ماش ولا راكب فارجعوا بنا الى حصن الحصون لعل أمرنا يهون وتسلموا من هذا الملعون فولت المشركون الأدبار وركنوا الى الفرار وتوجهوا نحو الحصن والديار ففعل البتار أخذهم السيف من جميع الأقطار وتبعهم المسلمون الى آخر النهار فما وصلوا إلى آخر الحصن إلا وقد حانت الشمس الى الغروب .

(قال الراوى) فلما وصلوا الى الحصن نادوا يا سرار يا ابن طارق افتح لنا الباب والمسلمون من ورائهم يضربون فيهم بالسيف حتى كلت النفوس وهم يضربونهم من كل جانب ومكان هذا والامام قد كتف الملك الهضام فى مكانه فسمع الضجات والصرخات والنهرات والزعقات وصعد الى أعلى الحصن فلما وصل الى أعلى الباب وزعقوا على سرار ابن طارق فلم يجبهم أحد وقد حاروا فى أنفسهم وما تكامل عليهم الجيش حتى أظلم الليل ثم ان ساما نادى الى المشركين وقال يا معاشر العرب احملوا معنا فلما صبر

دون أن حمل على المسلمين والمشركون معه ، وهو راكب على جواد غائر شاك فى سلاحه مستحسن فى صفاته أحسن من الغزلان فى التفاته ، ومن الديك فى معرفته وهو كما قال فيه الشاعر حيث قال :

وأبرش كالريح السريع إذا مشى ... ويخترق الميدان فى الجولان
يطير بـــلا ريش بمن كان فوقه ... وينساب فى الوادى بدون توانى
له قامة قد دورت ليس شاهقا ... وما مثله فى سائر العـــربان

(قال الراوى) ثم ان ساما ساق جواده فى الميدان ونظر اليه المسلمون فعرفوه فنادت الرغداء يا غمام خذ حذرك من خصمك فانه معاند فى الحرب وإلا خلاه عنك واتركنى لهذا اللئيم أدخله رمسه وأعدمه حسه فلم يقبل منها غمام بل أنه دهمهم كأنه الليث الهمام والأسد الضرغام واستقبل ساما بقلب قوى فنظر اليه ساما وقال له ويحك يا غمام تركت إلهك المنيع وديارك وأهلك وعيالك وأموالك واتبعت رجلا سحارا سحرك بسحره وعمى بصرك وسوف تلقى من الملك الهضام من أنواع الإنتقام فقاطع عليه الأمير غمام وقال ويحك يا سام يا ابن الكفرة اللئام دع عنك هذا الكلام ودونك وضرب الحسام وموارد الحمام ولسوف تعلم من يقع به الانتقام ، فلما سمع ذلك سام اشتد به الغضب وحمل كل منهما على صاحبه فارتجت منهما الأرض بالطول والعرض وكأنهما جبلان تصاعدا أو بحران تلاطما فتعاركا وتجاولا حتى شاهد الفريقان منهما مشهدا عظيما .

(قال الراوى) ثم ان غمام خادع ساما وضربه بضربة أراد بها قتله فتلقاها عدو الله سام بدرقته وكانت قد أحكمت من جلود الأسود فلم يعمل السيف فيها شيئا ثم نهض سام وضرب غمام ضربة فوصلت إلى كتفه فجرحته جرحا هينا غير قاتل فولى غمام هاربا حين أ .س بالضرب نحو المسلمين فلحقه سام فتلقاه فارس من المسلمين وهو عند يدغائص فى الحديد وبيده سيف معتدل ثقيل ورمح طويل وهو راكب على جواد أبلق أصيل ماله فى الخيل من مثيل يفرج عن راكبه الكروب من شدة الحروب مدور الحدق كالنار اذا انطلق مليح الوجه حسن القامة وهو كما وصفه يزيد بن معاويه حيث قال :

أبلق ذى طول مديد الذيل ... رحب الذراعين شبيه السيل
سريع الانطـــلاق لا يلحقه ... حتى الظبا ولا جـــواد الخيل

(قال الراوى) فلما أن توسط ذلك الفارس الميدان ولعب بالسنان حتى حير

الفريقين ثم كشف عن لثامه فاذا هى الرغداء بنت الخطاف رضى الله عنها ثم أنها جالت به بين الصفين واستطالت وحملت على سام وزجرته ونهرته وقالت يا سام دونك وموردة الحمام والضرب بالحسام فقد دنا لعمرك الانصرام وحل بك الانتقام من الرغداء بنت الكرام لأنها كانت إذا زعقت على الوحوش تبطل قوتها وتقف مكانها فانظر لنفسك وتدبر أمرك فقد آن أوانك ورماك زمانك فغضب سام من كلام الرغداء غضباً شديداً فما صبر دون أن حمل عليها حملة منكرة وضربها ضربة شديدة وأراد أن ينفذ الوعد فيها فحادت عنها وألقتها عن نفسها لأنها كانت تعلمت حيل الحرب من صغرها ثم انها داخلته وأرادت أن تقلعه من سرجه فما أمكنها فعالجته وضربته بالسيف فأزالت رأسه عن جسده وكبرت وكبر المسلمون معها وقالت له خذها ياعدو الله من يدى وأنا الرغداء بنت الخطاف

(قال الراوى) فلما رأى المشركون ذلك ذهلوا وحاروا من فعل الرغداء ثم انها أوسعت فى الميدان وأكثرت الجولان فما جسر أحد ان يخرج اليها ولا يبرز لقتالها فعند ذلك نادت يا أبطال الزمان ويا أهل الفتيان هل من مبارز هل من مقاتل فلم يجبها أحد فقالت لهم قولوا لى ما أنتم طالبون وما الذى أنتم عليه عازمون أبشروا بحلول المنون فانا رحا الطاحون ثم أنشدت تقول :

يا أيها القوم الأولى حال بينهم … وجرتهم الأقـــدار نحو المقابر
لقد برزت رغداً اليكم ومن غدت … تبيد الأعادى بالسيوف البواتر
فهل فيكمو من ينزل الحرب من فتى … صبور على ضرب القنا والشوافر
وأعدمه بالسيف خيلا ومهجة … وأسكنه رغما لحود المقـابر
لقد غاب عنـــكم سيد القوم حيدر … ويعرف من قوم كرام أكابر
كريم يحامى عن خليل وصاحب … له حشمه ما بـــين باد وحاضر
أما تعرفوا قرما هجوما بنفسه … يكيد العدا ضربا بحد البواتر
وإنى لأفـــديه بنفسى ومهجتى … أقاتل عنه فى جميع المحاضر
لعـــلى أحظى بالشفاعة فى غـد … من السيد المرضى خير الأكابر
محمـــد المختار من آل هاشم … وأفضل من داس الثرى بالحوافر
وأفضـل مبعوث إلى خير أمة … بخير كتاب جاء من عند قادر

(قال الراوى) فلما فرغت الرغداء من شعرها جعلت تحوم بين الصفوف وهى تنادى هل من مبارز هل من مناجز هل من مقاتل ؟ فلما رأى المشركون ذلك

اشتدبهم الكرب والبلاء ونادوا بأجمعهم من وراء السور الأمان الأمان . فقالت الرغداء لا أمان لكم حتى يكتف بعضكم بعضا فناداهم الامام من أعلى السور ارفعوا عنهم السيف ذلك إلى أن آتيكم وخذوا القوم أسارى فلما سمع ذلك مسطاح نادى يامعشر الناس ارفعوا عنهم السيف فقد قيد القوم أنفسهم عن آخرهم وأقبل ناقد على عمه غمام والرعداء وجنبل وحويرثه وخالد وجميع السادات يسلمون على بعضهم بعضا وأتاهم مسطاح الأقرن وسلم عليهم وصافحهم مصافحه الاسلام وفرحوا فرحة عظيمة وأشار لهم مسطاح أن ينزلوا عن خيلهم حتى يأتيهم أمير المؤمنين فنزلوا على باب الحصن وقد ضجت الأرض من خيلهم وأسلحتهم وغنائمهم وتجددت المسرات وبات المسلمون وهم ينتظرون الصباح فلما أشرق ضياء الفجر أذن بينهم ناقد وأقام الصلاة وصلى كل منهم بأصحابه .

(قال الراوى) ثم ان الإمام رضى الله تعالى عنه نزل من أعلى الحصن الى المكان الذى فيه الهضام وقال له ويحك ياعدو الله ورسوله وعدو نفسه ياويلك ما أنت قائل ، فقال الهضام أشهد يا ابن أبى طالب أنك أخذت بسحرك جميع أولاد الملوك فما رأيت على وجه الأرض اسجر منك ولا ابغض الى منك ولا من ابن عمك محمد فعند ذلك غضب الامام غضبا شديدا فما صبر دون ان أقام اليه ومسكه من رجله وجلد به الأرض فدخلت أضلاعه بعضها فى بعض واخده فى يده واقبل الى باب الحصن وفتحه وأشرف على اصحابه وقال لهم ياقوم أبشروا فما بقى لكم معاند ولا مضاد وسلمه الى أصحابه وأوصاهم بحفظه وقال لهم كونوا فى أماكنكم حتى آتى اليكم ثم دخل الامام الحصن واقبل على القبة التى فيها الصنم وحمله بشماله وأتى به اليهم فلما رآه الهضام قال يا ابن أبى طالب اين ولدى ناقد وعمه علقمة واخوه غمام وولدى غنام فقال له ياعد والله اما غنام وعلقمة فقد صار الى الهاوية واما ناقد وغمام فقد هداهما الله إلى الاسلام .

(قال الراوى) فلما سمع ذلك الهضام قال واأسفاه على هؤلاء الأقوام لقد امتلأت قلوبهم بسحرك ياغلام فعند ذلك غضب الامام غضبا شديدا وقام اليه وعلقمة فى يده وهزه هزا امتداركا والقاه على الأرض مغشيا عليه وقال لقومه أوثقوه كتافا وقيدوه بقيد ثقيل ، فلعله ان يتوب ويرجع إلى الله تعالى ويعتبر بما رآه من صنمه . فاجابه قومه بالسمع والطاعة ، وقيدوه وأوثقوه كتافا ، ثم أمر باحضار الأسارى فأحضروهم بين يديه وعرض عليهم الاسلام فقالوا بأجمعهم : نحن نشهد ان لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ففرح بذلك أصحابه فرحا شديداً . وقاموا اليه وسلموا عليه وهنئوه بالسلامة والنصر من الله تعالى

وجلسوا يتحدثون معه على ماجرى له ولهم وقعد يحدثهم بخبر الهضام والصنم المنيع وما فعل بهم وكيف فعل بالمتعلقين بالصنم من الأول إلى الآخر .

(قال الراوى) وإذا بالهضام قد أفاق من غشيته ، وقال يا ابن أبى طالب أشهد بأنك سحرت بسحرك جميع من على وجه الأرض وما رأيت أسحر منك ولا من ابن عمك ، فلما سمع الامام قوله غضب غضباً شديداً فما صبر دون ان أقام اليه ورفعه وجلد به الأرض فأدخل أضلاعه بعضها فى بعض ولم يتحرك ولم ينطق وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار وتقدم الامام إلى الصنم وأخذ صخرة عظيمة وضربه بها فقطعه قطعا وأمر به وبالصنم ان يحملوهم ويطرحوهم فى نارهم التى صنعوها وجعل عليها العبيد زبانية وأخذ عبيدها ودخل الجنة التى صنعها وأخرج منها النساء والغلمان الذين أقامهم فيها للخدمة وأخذ كل شيء فيها من الذهب والجواهر واليواقيت والأبواب والأوانى والحرير والثياب والفضة والزمردات الفاخرات وأهرق خمورها وكسر مواعينها .

(قال الراوى) فلما فرغ الامام رضى الله عنه من نقل الأمتعة التى كانت فيها هدمها وأخربها وقلع أشجارها وردم أنهارها وأخذ مافيها ثم انتقل إلى النار التى صنعها وأخمد حرارتها وهدمها وأمر باحضار النساء والغلمان وزوجة الهضام واولاده الصغار وعرض عليهم الاسلام فأسلموا جميعا وحسن إسلامهم وأعادهم إلى منازلهم وقد من الله تعالى عليهم بالاسلام بعد أن كانوا كافرين بالملك العلام القدوس السلام وأزال دولة الأصنام وأيد دولة الايمان والاسلام ثم عمد إلى قبة الصنم وأخذ كل مافيها من الذخائر والأمتعة والأموال واللآلىء والجواهر ثم أمر باحضار ناقد ابن الملك الهضام وعمه غمام وقسم بينهما ما كان فى الجنة من الفرش الحرير والحلل والتيجان واللؤلؤ والمرجان والذهب والفضة وجميع ما كان .

(قال الراوى) فلما فرغ الامام رضى الله تعالى عنه من ذلك أرسل إلى جميع الحصون أحضر أمراءهم بين يديه وأقام عليهم سلطانا كما كان أبوه أولا وأوصاه عليهم وأقام بينهم شرائع الايمان والاسلام وأمر ببناء المساجد وتلاوة كلام الرحمن وأكارم الفقراء والمساكين والأيتام وأمر على حصن الحصون عمه غمام كعادته فى حياة الهضام وأقام أياما قلائل وأراد ان يتوجه إلى مدينة يثرب لمشاهدة ابن عمه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ فأقبل عليه ناقد بن الملك وقال يا أمير المؤمنين لى اليك حاجة ولك الثواب والأجر فيها فى الدنيا والآخرة فقال له الإمام سل عما بذلك تعط كل ماتريد إن شاء الله تعالى فقال

الرغداء بنت الخطاف فقال له الإمام السمع والطاعة وأرسل [إلى الرغداء "وأعلمها بذلك فقالت له السمع والطاعة لله ورسوله ولك ياأمير المؤمنين فصنع لهم الإمام رضى الله تعالى عنه وليمة عظيمة ولها بين العرب قيمةوذبح لهم الأغنام وحضر الأنعام وكسا العريان من الصغير والكبير والصغير والغلمان وزوجه أمير المؤمنين بالرغداء فى تلك الليلة وأعطاها جميع ماتحتاجه النساء وأقام معها فى عيشة هنيئة واجتهد فى بناء المساجد الإسلامية حتى أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات ولا يدوم إلا رب البريات ومفنى الأرض والسموات .

(قال الراوى) ثم ان الإمام رضى الله عنه بعد أن صنع لهم الوليمة وأرخيت عليهم سرادقات الخلوة تجهز إلى السير نحو مدينة يثرب فقام معه ناقد وكبراء قومه ورؤساء حصونه ومن معه من أصحابه المسلمين وصاروا يودعون أمير المؤمنين فكان كلما أتى إلى حصن من الحصون يقيم يوما أو يومين وهو يعلمهم شرائع دينهم حتى خرج من الحصون وناقد معه وقومه يشيعونه ويودعونه فأمرهم الإمام بالرجوع وسار وجد فى المسير وكان كلما أتى إلى حصن يقسم غنائمه خمسة أخماس ويعطى الأمير الذى هو فيه وهو خمسا ويحمل الأربعة أخماس إلى بيت مال المسلمين وسار والعلم الأنور الذى اغتنمه منصوب على رأسه إلى أن أتى المدينة المنورة (قال الراوى) فلما قرب منها هبط جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم سيد الأنام ومصباح الظلام ورسول الله الملك العلام وبشر بقدوم الفارس الهمام والبطل الضرغام ليث بنى غالب أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى الله عنه وبشره بما فتح الله على يديه وقتل عدو الله الهضام فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين والمهاجرين والأنصار إلى البراز لملاقاة على الكرار ففرحوا بذلك فرحا شديدا وركبوا خيولهم وركب النبى صلى الله عليه وسلم وركب أهل المدينة لملاقاة الإمام رضى الله عنه فلما قربوا منه وتلاقوا به وتعانق النبى ﷺ بالامام وضمه الى صدره وضمه المسلمون والجيوش كذلك وفرحوا بذلك فرحا شديدا وأخذ النبى صلى الله عليه وسلم الغنائم والعلم الانور التى جاء بها الامام رضى الله تعالى عنه وفرقها على أهل المدينة الكبار والصغار ولم يترك أحدا من المسلمين إلا وأعطاه نصيبه من ذلك وكانت مدة غيبة الامام رضى الله عنه ورجوعه أربعين يوماً وقد تم الكلام على قصة فتح حصون الهضام على التمام والكمال والحمد لله على كل حال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

خاتمة الطبع

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد خير مرشد ومدافع عن الإسلام والمسلمين وعلى آله وأصحابه الذين خدموا الإسلام فجزاهم الله خيراً .

(أما بعد) فقد تم طبع هذا الكتاب بمطبعة عبد الحميد أفندى أحمد حنفى ونسقنا بأحسن نظام بديع ، فعلى جميع الأدباء والكتاب مطالعة هذا الكتاب الجامع لضروب الشجاعة والإقدام والمهابة والقصص الظريفة والنوادر المدهشة للعقول كل هذا فى أسلوب خيالى جذاب ومن المدهش أنه جمع العجب العجاب ويكفينا أن الذى قام بوضعه العلامة القصصى الشهير (أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن البكرى) ومما يروى أنه موجود به قصص خيالية رائعة ذات وقائع فى الحروب الطاحنة العظمى ، وهى منسوبة لسيف الله الصمصام الغالب سيدنا ومولانا الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه آمين وكان الفراغ منه فى العاشر من شهر رجب سنة ١٣٧٤ هجرية على صاحبها أزكى السلام والتحية آمين